الجمهـوريـــــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــــم العـــالـــي والبحث العلـــــمي

جـــامعة محمـــد خيضـــر – بسكـــــرة–

كليـــة الحقـــوق والعلـــوم السياسيـــة

قسم العلوم السياسة والعلاقات الدولية

أثر التوجه العلماني على النظام السياسي في منطقة المغرب العربي

-تونس نموذجا –

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية

تخصص :دراسات مغاربية

إعداد الطالبة:

وحيدة كحول

إشراف الأستاذ الدكتور:

عمر فرحاتي

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.الدكتور:عمار جفال	جامعة الجزائر	رئيسا
أ.الدكتور:عمر فرحاتي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
أ.الدكتور:حسين قادري	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
الدكتور:لعجال محمد لمين أعجال	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:2011/2010

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة شكر

إلى أستاذي الكريم الأستاذ الدكتور عمر فرحاتي على رحابة صدره و رجاحة عقله و آرائه المتميزة

وعلى جهوده الطيبة في إرساء دعائم البحث المغاربي

إلى كل الأساتذة المشرفين على تخصص دراسات مغاربية

إلى جميع أساتذتي بكلية الحقوق و العلوم السياسية والعلاقات الدولية

إلى الأساتذة والعاملين على مستوى مختلف الكليات والمصالح بجامعة محمد خيضر–بسكرة

إلى زملاء الدرب المغاربي دفعة الماجستير الأولى في تخصص دراسات مغاربية

إلى كل من علمني حرفا

وحيدة كحول

الإهداء

إلى من أقر رب العزة بهما عيني

وأراح برؤيتهما نفسي

وأطاب بذكرهما مجلسي والديا

إلى التي حملت وأنجبت وإلى الذي تعب وكد

إليهما اللذان رباياني وعلماني وفهماني معنى الحياة

والشكر موصول

إلى الغالي زوجي على دعمه المادي والمعنوي

إلى عائلتي الكبيرة أخواتي يمينة ويمامة وصبرينة وإخوتي محمد لمين ومحمد الحسين

إلى البراءة فاطمة الزهراء ريم الهديل وريان هبة الله

إلى كل من اسمعني كلمة تشجيع

وحيدة كحول

مقدمة

اكتسى مفهوم العلمانية منذ القرون الوسطى في أوروبا صبغة من الغموض وعدم التحديد المفهومي والنظري ، فالعلمانية هي من أهم المصطلحات في الخطاب التحليلي الاجتماعي والسياسي الحديث في الغرب و الشرق . فقد ارتبطت مسألة العلمانية منذ ظهورها بجملة من التراكمات التاريخية التي كانت سببا في انتشارها بين الأوساط الشعبية البسيطة ثم تبنيها من قبل الأنظمة الأوروبية أنذاك .

وقد لعبت السيطرة الكنسية على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية دورا مهما في إنكار الناس إلى كل ماهو ديني وربطه بجميع المعاني السلبية من قتل ونهب واستغلال خصوصا بعد الحروب الدينية الدامية التي شهدتها أوروبا خلال القرون الوسطى والتي خلفت انقسامات عميقة داخل المجتمع الأوروبي .

استخدم مصطلح " **secular** " والذي يعني علماني أول مرة مع توقيع صلح واستفاليا عام **1648** وذلك مع نهاية حرب الثلاثين عاما وهو التاريخ الذي يعتمده الكثير من المؤرخين بداية لميلاد ظاهرة العلمانية في الغرب ، وكان معنى المصطلح في البداية محدود الدلالة لا يتسم بأي نوع من الشمول، إذ تمت الإشارة إلى علمنة ممتلكات الكنيسة وحسب ،بمعنى نقلها إلى سلطات سياسية غير دينية أي إلى سلطة الدولة التي لاتخضع إلى الكنيسة ،وقد وضع هذا الصلح إلى جانب ذلك قواعد وأسس لقيام الأمن الجماعي واتخذت العلاقات الدولية بعدها اتجاه التعاون والمشاركة بدلا من السيطرة والإخضاع وأهم ما أوجدته هذه المعاهدة :

- إنهاء الحروب الدينية المندلعة في أوروبا بين الطوائف المسيحية الكاثوليكية من جهة والبروتستانتية من جهة أخرى .
- ظهور الدولة القومية الحديثة وذلك بإرساء دعائم أولية لعلمنة أوجه الحياة الأوروبية المختلفة وذلك بفصل الدين عن الدولة وعن جميع المؤسسات السياسية فيها.

وبهذا فإن العلمانية لم تبرز كتصور منظر للتاريخ والمجتمع والفكر بل كانت حلا عمليا لقرون مظلمة عاشتها أوروبا تميزت :

- الطبقية الشديدة حيث برزت ثلاث طبقات متمايزة اجتماعيا واقتصاديا وهي رجال الدين ، الأشراف و أخيرا العامة.

- انتشار عدم الوعي بين الأوساط الشعبية البسيطة .
- إضطهادات صارخة من قبل السلطة البابوية والمؤسسة الإمبراطورية.
- التخلف العلمي وانتشار الجهل.

من المهم النظر إلى موضوع العلمانية من زاوية كونها تسوية عملية للانقسام الديني والطائفي الذي شهدته القارة الأوروبية منذ القرن الخامس عشر وهذا ماذهب إليه المفكر "**وحيد عبد المجيد**" إلى اعتبار أن العلمانية في الغرب ليست إيديولوجية أو نظاما فكريا وإنما مجرد موقف جزئي يتعلق بالمجالات غير مرتبطة بالشؤون الدينية ويرى أن الصراع بين الملوك والسلطة البابوية وظهور العلم التجريبي المنفصل عن الدين وسيادة مفهوم سلطان العقل هو الذي أدى إلى ظهور العلمانية اللادينية.

إن انتقال العلمانية للمنطقة المغاربية جاء مع الغزو الغربي الذي تعرضت له جميع أقطار المغرب العربي منذ بداية القرن التاسع عشر ، فقد اتخذ الفرنسيون من حادثة المروحة حجة لاحتلال الجزائر, فأرسلوا حملة حاصرت العاصمة الجزائرية واضطر" **الداي** " للتسليم في **1830** م. وبذلك وقعت الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي ،كما ادعت فرنسا أن بعض القبائل التونسية تغير على الحدود الجزائرية, فاحتلت تونس وأجبرت "**الباي**" على توقيع معاهدة باردو سنة **1881** م, وبعدها معاهدة المرسى. وانتهزت فرنسا في المغرب الأقصى فرصة قيام بعض القبائل بالثورة على السلطان عبد الحفيظ فأرسلت قوة عسكرية دخلت فاس عاصمة المغرب آنذاك وفي عام **1912** م, عقدت معاهدة مع السلطان أصبحت بموجبها المغرب تحت الحماية الفرنسية .

وعليه فإن التوجه العلماني للمنطقة المغاربية جاء نتيجة عوامل أساسية أولها النفوذ الخارجي الذي تعرضت له دول المنطقة وما خلفه من نتائج تغريبية على المجتمع والسياسة والاقتصاد بدعوى الديمقراطية وحقوق الإنسان والحداثة .

فالبرغم من أن الكثير من الباحثين يربط بين المفهومين العلمانية والديمقراطية من حيث أن الاثنين يدعمان الحرية الشخصية و يسهمان في بناء دولة مؤسساتية إلا أن الفرق بينهما واضحا للعيان فإذا كانت العلمانية هي حلا إجرائيا كانت نتيجته النهائية فصل الدولة عن أي معتقدات دينية أو غيبية وحصر أمور الدولة في الأمور المادية فقط، فإن الديمقراطية في أساسها هي جملة الآليات الإجرائية التي تسمح بإدارة الشأن السياسي بصورة رشيدة

، وبهذا فإن الحاجة السياسية لدمقرطة مختلف القوى الفاعلة في المجتمعات المغاربية وعلى رأسها الأحزاب السياسية واقع تفرضه المعطيات السياسية والتحديات الثقافية والحضارية.

أهمية الدراسة:

إن موضوع العلمانية هو من بين المواضيع الشائكة في العالم ككل ، فالعلمنة منذ ظهورها مازالت تطرح العديد من التساؤلات داخل المجتمع الأوروبي التي خلقت فيه نتيجة التراكمات التاريخية التي حصلت منذ القرون الوسطى والتي انتهت بفصل الدين عن الدولة .

وعلى المستوى المغاربي يطرح موضوع العلمانية نفسه بشدة لاسيما انه من جهة أولى لا يعبر عن نتاج فكري لباحثي المنطقة و من جهة ثانية لايعتبر حلا إجرائيا لظروف دينية كما مرت بها القارة الأوروبية وهذا مايجعل طرح الموضوع ومعالجته في العديد من زواياه الفكرية والدينية في غاية الأهمية وخصوصا أن عبارة فصل الدين عن الدولة تثير حفيظة الأوساط الدينية في المجتمعات المغاربية حيث يعتبر هذا الموضوع من الخطوط الحمراء التي لاينبغي على السياسي تخطيها.

بالرغم من كل هذا الاحتدام الفكري والسياسي القائم نجد أن العلمنة تغلغلت على المستوى العربي وذلك يرجع للعديد من الأسباب الثقافية والسياسية والاقتصادية .

أهداف الدراسة :

إن المسعى من الدراسة هو:

1/ إبراز جوانب جديدة لموضوع العلمانية خصوصا عند اقترانه بالمنطقة المغاربية التي ننتمي إليها والتي طرح هذا الموضوع فيها بحدة على مستويات عدة السياسية والثقافية وحتى الشعبية منها.

2/ تحديد أهم الأسباب الحقيقية في تبني الأنظمة المغاربية للنهج العلماني .

3/ مدى توائم النهج العلماني لخصوصية المنطقة المغاربية وإبراز آثاره ونتائج تطبيقاته .

الإشكاليـة :

إن موضوع الدراسة يكتسي أهمية كبرى على المستوى المغاربي لأن نموذج الدراسة " تونس" لها تاريخ طويل مع العلمانية التي تبنتها النخب الحاكمة منذ الاستقلال السياسي للبلاد وهذا ماخلف آثارا عديدة على كافة المستويات ، ومن هنا يواجهنا الإشكال الرئيسي التالي:

إلى أي مدى أثر التوجه العلماني لأقطار المغرب العربي على مؤسسات النظام السياسي فيها؟ وماهي انعكاساته على التجربة التونسية ؟

الفرضيـات :

الإجابة على أي إشكال علمي يحتاج إلى بناء حلول أولية يعبر عنها بالفرضيات

- **الفرضية الأولى**: يحمل المنهج العلماني لأي نظام سياسي أساسات ديمقراطية .
- **الفرضية الثانية** : تمنح العلمنة الحرية الشخصية لأفراد المجتمع المكون لأي نظام سياسي .
- **الفرضية الثالثة** : لا تتوافق الأنظمة السياسية المغاربية و التي تعتنق الدين الإسلامي مع أسس العلمانية الغربية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة .
- **الفرضية الرابعة** : تتكيف الخصوصية العلمانية مع كل أنوع الأنظمة السياسية ، ومن بينها النظام السياسي التونسي.

المناهج المستخدمة:

لأن الدراسة تحتاج لتسليط الضوء على أهم المراحل التاريخية التي مرت بها العلمانية في أوروبا من جانب وفي منطقة المغرب العربي من جانب آخر ، كان لزاما أن نرتكز على جملة من المقاربات النظرية التي ظهرت منذ بداية العلمانية واستمرت فيما بعد ، فلدراسة مجمل الظاهرة الاجتماعية السياسية المعاصرة لا بد من دراسة جذورها و امتداداتها التاريخية ، و مرد ذلك قناعة مسبقة تبنى على أساس أن الحاضر إنما يعكس الماضي ، و إن المستقبل هو محصلة لقانون أزلي يتحكم لوحده في تطور الظواهر و التحولات الاجتماعية المختلفة ، وهو القانون التاريخي .بالإضافة إلى ذلك اعتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة الذي وظف في إبراز أهم خصوصيات نموذج الدراسة – تونس– ، و ما يميز منهج دراسة الحالة أنه يمكن الباحث من النفاذ إلى أعماق الظواهر أو المواقف التي يقوم بمعالجتها،بدلا من التركيز على الجوانب السطحية العابرة التي قد تكون ذات دلالة غير حقيقية،كما تعتبر دراسة الحالة مصدر للفرضيات التي تستدعي التحقق والاختبار عن طريق المزيد من المشاهدات ولكي يتمكن الباحث من اختبار الفرضيات ونتائج البحث،يجب أن تكون الحالات المدروسة ممثلة للمجتمع التي يراد التعميم عليه تمثيلا مناسبا، وتبرز أهمية منهج دراسة الحالة في كونه يساعد الباحث في الحصول على المعلومات الأساسية التي يمكن

الاستفادة منها في تخطيط الدراسات الرئيسية في العلوم الاجتماعية ويوفر معلومات متعمقة ويبين المتغيرات والتفاعلات التي يتطلب دراستها شمولية أكثر.

الدراسات السابقة :

إن ولوج باب البحث العلمي تحتم على الباحث كخطوة أولى و أساسية إلى اختيار الموضوع بصورة دقيقة و متمعنة إضافة إلى ذلك فإن الدراسة العلمية لأي موضوع تستلزم من الباحث الاعتماد على مراجع أصلية حيث يستدل بها في إنجاز محاور و فصول دراسته .

و عند التطرق لهذا الموضوع وجدنا أن الدراسات السابقة التي اهتمت بموضوع العلمانية من جانبها النظري و التطبيقي هذا الأخير المتعلق بالتوجه العلماني في المنطقة المغاربية و أنها قليلة جدا.

الهيكل التنظيمي الدراسة :

اعتمدت الدراسة على ثلاث فصول رئيسية ورد الفصل الأول تحت عنوان التأصيل المفاهيمي و النظري للدراسة ويحوي مبحثين ، تطرق المبحث الأول إلى مفهوم العلمانية ونشأتها وأهم أنواعها، كما تطرق إلى أهم المقاربات النظرية للعلمانية،والتي تم تلخيصها في ثلاث مدارس أساسية وهي المدرسة البراجماتية ،المدرسة الوضعية و المدرسة العضوية ، وثلاث نظريات هما النظرية الماركسية ونظريتا الحداثة و ما بعد الحداثة .

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان التأثيرات السياسية والمرجعيات الفكرية للعلمانية في منطقة المغرب العربي حيث ضم ثلاث مباحث ، يدور المبحث الأول حول المكانة الجيوسياسية لمنطقة المغرب العربي أما الثاني فكان تحت عنوان التأثيرات الداخلية والخارجية لتبني الخيار العلماني في المنطقة المغاربية حيث تم التطرق فيه إلى تأثيرات الفترة الاستعمارية والنخبة الفرانكفونية والقيادة السياسية في دول المنطقة هذا من جانب ومن جانب آخر ورد في الدراسة العلاقات المغاربية الأوروبية من جهة أولى والعلاقات المغاربية والأمريكية من جهة ثانية كعوامل خارجية ساعدت في التوجه العلماني للمنطقة أما المبحث الثالث فعنون بالتيارات السياسية الرئيسية في منطقة المغرب العربي.

وقد تطرق الفصل الثالث لنموذج الدراسة تونس حيث ضم ثلاث مباحث ، يدور الأول حول مظاهر النهج العلماني في البنية العامة للنظام السياسي التونسي.أما الثاني فقد تطرق إلى الحركات السياسية في تونس والثالث حمل أهم الآثار المترتبة على تطبيق هذا النهج بالإضافة إلى أهم السيناريوهات المحتملة على مستوى الساحة السياسية التونسية خصوصا بعد أحداث 14 من يناير 2011 .

الفصل الاول

التأصيل المفاهيمي والنظري

للدراســـة

نشأت العلمانية نتيجة ظروف تاريخية وقعت في أوروبا خلال القرون الوسطى و التي سميت بالمظلمة حيث ساهمت مجموعة من الأسباب في ظهور وتطور الفكر العلماني كممارسة نجملها في الآتي:

1 -**الاضطهادات الكنسية**: التي مست مختلف الحالات حيث كان لها تأثيرا بالغا على الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية وقد ازدادت خلال هذه الفترة الهوة بين الطبقة العامة و طبقة رجال الدين و الأشراف حيث استعبدت هذين الطبقتين الشعب و سلبته جميع حقوقه.

2 -**الحروب الدينية** :حيث شهدت أوروبا خلال هذه الفترة حروبا دينية كان طرفيها الرئيسيين الطوائف الكاثوليكية من جهة و من جهة أخرى الطوائف البروتستانتية، وقد كانت نتائج هذه الحروب وخيمة، إذ خلفت آلاف القتلى والجرحى كما ساهمت في الحد من الحريات الشخصية أهمها حرية المعتقد.

وبهدف الوقوف عند أهم المحطات التي شهدتها العلمانية تطرق البحث بنوع من التفصيل إلى تعريف العلمانية وتبيان أهم أسباب ظهورها حيث قسم الفصل الأول إلى مبحثين أساسيين:

تطرق المبحث الأول إلى مفهوم ونشأة العلمانية، حيث ارتبط التطور التاريخي للعلمانية ارتباطا وثيقا بظهور المسيحية والكنيسة، كما ابرز هذا المبحث اثر حركة الإصلاح اللوثري على ظهور العلمانية، و يبين المطلب الثالث من المبحث الأول أسباب ظهور العلمانية التي تم تقسيمها إلى أربع فروع أساسية:

- طغيان رجال الكنيسة
- الصراع بين الكنيسة والعلم
- دور معاهدة واستفاليا في ظهور العلمانية
- دور الثورة الفرنسية

وقد عرج المبحث الثاني في هذا الفصل إلى أهم المدارس المعاصرة للعلمانية و المقاربات النظرية حيث تم إجمالها في ثلاث مدارس أساسية تمثلت في:

- **البراجماتية**
- **الوضعية**
- **العضوية**

وثلاث نظريات أساسية:

– النظرية الماركسية

– نظرية الحداثة وما بعد الحداثة

عند التطرق إلى الإطار المقارباتي تمت ملاحظة الآتي:

- لا يوجد نظرية تسمى العلمانية بل جاءت كحل عملي لظروف اجتماعية وسياسية مضطربة عاشتها أوروبا خلال القرون الوسطى.
- يوجد العديد من النظريات التي تحمل إحدى صفات العلمانية والتي كانت نتاجا فكريا للكثير من الباحثين أثناء تلك الفترة وبعدها وقد تم إجمالها في المدارس والمقاربات النظرية الثلاث التي حاولت الدراسة التأكيد على التقارب الفكري لها مع مفهوم العلمانية .

المبحث الأول: العلمانية مفهومها، نشأتها، أنواعها.

المطلب الأول: مفهوم العلمانية.

الفرع الأول : التحديد اللغوي

إن تحديد مفهوم العلمانية يحتاج إلى نوع من التدقيق في مختلف القواميس الغربية وحتى العربية، وذلك لان مفهومها هو موضع اختلاف لدى كثير من الباحثين لذلك في إطار تحديدنا لمفهوم العلمانية سنتطرق لمختلف التعاريف القاموسية التي وردت في المعاجم حيث تتشابه في أحيان وتختلف في أحيان أخرى.

- فكلمة علمانية كما جاءت في القواميس الغربية هي ترجمة لكلمة Sécularism بالانجليزية حيث تعني "الاعتقاد بعدم توظيف الدين في تنظيم المجتمع، والتربية وغيرها".[1]
- والعلمانية أو اللائكية Laïcisme "هي النظام الذي يبعد الكنائس عن ممارسة السلطة الدينية وعن التنظيم التعليمي العام"[2]
- وبالرجوع إلى أصل الكلمة في اللغات الأوروبية نجدها مشتقة من الكلمة اللاتينية Saeculum وتعني العصر أو الجيل أو القرن، أما في لاتينية العصور الوسطى فان الكلمة تعني العالم أو الدنيا، وهناك لفظ لاتيني آخر للإشارة في العالم وهو Mundus
- ولفظةSécularism مرادفة لكلمة اليونانية Aeon والتي تعني العصر، أما مندوس Mundus فهي مرادفة للكلمة كوزموس Cosmos والتي تعني الكون، في مقابل كيوس Chaos بمعنى فوضى، ومن هنا فان كلمة سيكولارزم Sécularism تؤكد على البعد الزماني أما موندوس Mundus فتؤكد على البعد المكاني.[3]

وفي موضع آخر يعرف معجم المصطلحات السياسية و الإستراتيجية العلمانية على أنها مصطلح يعني بعد الدولة واستقلالها عن العقيدة، بحيث لا تقوم وفقا لمبادئ دينية لان الدولة مخلوق إنساني خلقته الأغراض الإنسانية وهي التي تعمل على استمراره.

---

[1] - Oxford Advanced learners' dictionary, (Oxford university press,2000,6th ed,p1202.

[2]- Le petit harasse, libraire Larousse, canada, 1990, p557.

[3]- محمد براهيم مبروك، ***المرجع في العلمانية: حقيقة العلمانية و الصراع بين الإسلاميين و العلمانيين***، ج1، مصر، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 2002، ص 5.

ويعني مصطلح العلمانية في اللاتينية كما سبق الذكر **العالم** أو **الدنيا** وقد استخدم من قبل مفكري عصر التنوير بمعنى المصادرة الشرعية لممتلكات الكنيسة لصالح الدولة، ويمكن وضع مفهوم العلمانية من خلال تعريفها بأنها العقيدة التي تذهب إلى أن الأخلاق لا بد أن تكون لمصالح البشر واستبعاد كل الاعتبارات الأخرى المستمدة من الإيمان بالإله أو الحياة الآخرة فهي ببساطة فصل الدين عن الدولة فصلا تاما.[1]

الفرع الثاني :تعريف العلمانية في الفكر العربي المعاصر :

وفي اللغة العربية أول ما ينبغي الإشارة إليه أن كلمة علمانية هي حديثة الاستعمال، ولعل ما يلفت انتباه الباحث عند تصفح القواميس العربية أو ما يكتب في هذا الحقل التخصصي هو ندرته وحالة الالتباس الدلالي لمصطلح علمانية ومشتقاته الأخرى.[2]

هناك اتجاهان رئيسيان في تحديد أصل كلمة علمانية في اللغة العربية هما :

- الاتجاه الأول: يرجع اشتقاقها من العلم بكسر العين (علمانية)
- الاتجاه الثاني: يشتقها من العالم بفتح العين (علمانية)

في البداية نشير إلى ان مفردة الدنيوية عندما نقلت إلى اللغة العربية لم تنقل بمعناها (اللادين) إنما ترجمت إلى كلمة علمانية وتم تداولها على لسان المفكرين والسياسيين ، أمام هذا الإشكال يبرز التساؤل التالي :لماذا لم تتم الترجمة الحرفية لهذه الكلمة ، وهل تكون الظروف التي نشأت في ظلها العلمانية بفتح العين تستدعي العلم ليقوم بهذا الربط ؟

لقد تم الخلط بين مفهوم العلمانية في الغرب والترجمة التي تم نقلها إلى أذهان المفكرين المسلمين والعرب ، وحين نقلت هذه الكلمة إلى العالم الإسلامي بمفهومها ونظامها ، تم ربطها بالعلم الذي يحبه المسلمون .

إن كلمة العلم المأخوذة منها علمانية إما أن تكون بكسر العين وسكون اللام (العلم) وإما أن تكون بفتح العين وسكون اللام (العلم).

- على الاحتمال الأول معناها : العلم ضد الجهل وعلى هذا الأساس نستطيع أن نطلق على عِلمانية (بكسر العين وسكون اللام) منسوبة إلى العلم .

---

[1]- إسماعيل عبد الفتاح، ***معجم المصطلحات السياسية والإستراتيجية***، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع،2008 ، ص 195.

[2]- عزيز العظمة، ***العلمانية من منظور مختلف***، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،2001 ، ص 17.

– على الاحتمال الثاني معناها : العالم (بفتح العين وسكون اللام) أو الدنيا ، وعليه يكون معنى عَلْمانية. (الدنيوية) مقابل الآخرة وهنا ننطق العَلْمانية بفتح العين وسكون اللام وهو اللصق بمدلولها وما تقوم عليه ذلك أن العلمانية جاءت ترجمة لكلمة لاصلة لها بالعلم وهي SECULARISM وتعني الدنيا في مقابل الدين بوجه عام ، فلو كانت مفردة العلمانية مشتقة من العلم بكسر العين وسكون اللام لجاءت ترجمتها SCIENTIFIC أي العلمية نسبة إلى العلم عندئذ يمكن التوافق بين الكلمة الأصلية والكلمة المترجمة .

يرتبط ظهور العلمانية تاريخيا بتعليم العلوم العقلية في المدرسة مقابل العلوم الدينية في الكنيسة ، إن مفردة العَلْمانية عندما ترجمت إلى اللغة العربية إنما ترجمت بهذا اللفظ العلمانية (ذات الصلة اللفظية بالعلم) لان اللذين تولوا الترجمة لم يفهموا من كلمتي الدين والعلم إلا مافهمه الغربي المسيحي منها ، والدين والعلم في المفهوم الغربي متضادان متعارضان ، فما يكون دينيا لايكون علميا ، وما يكون علميا لايكون دينيا ، فالعلم والعقل يقعان مقابل الدين ، والعلمانية والعقلانية في الصف المضاد للدين .[1]

توجد في المعجم العربي ترجمات مختلفة لكلمة " سيكولار" و"لاييك " حيث تعني :

– العلمانية بكسر العين نسبة إلى العلم . وهو ما لم يتفق عليه المفكرين العرب .

– العلمانية بفتح العين نسبة إلى العلم بمعني " العالم" وهو المعنى الأقرب .

– الدنيوية أي الإيمان بأنها الدنيا ولاحياة أخرى سواها .

– الزمنية بمعنى أن كل الظواهر مرتبطة بالزمان وبالدنيا ولا علاقة لها بأي ماورائيات . [2]

لقد ورد بعض تعريفات العلمانية للمفكرين العرب من أبرزهم :

يرى **محمد عابد الجابري** مفهوم العلمانية جزءا من التشكيل الحضاري الغربي الذي يعني "فصل الكنيسة عن الدولة ".

يصف **فؤاد زكريا** العلمانية بأنها " الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة" ويلتزم الصمت بشأن مجالات الحياة الأخرى (الاقتصاد – الأدب – الجنس....إلخ) ولكن الدكتور فؤاد زكريا في كتيبه المهم المعنون بالنموذج الأمريكي بأنه " مجتمع مادي " ، بل من " أكثر المجتمعات مادية في عالمنا المعاصر التي تعرف الإنسان باعتباره كائنا لا يعمل

---

[1] - إنعام أحمد قدوح ، ***العلمانية في الإسلام*** ، بيروت: دار السيرة ، 1995 ، ص ص،12 – 16 .

[2] - عبدالوهاب المسيري ، ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية***، المجلد 1 ، مصر :دار الشروق للنشر والتوزيع ،1999 ، ص132 ،133 .

إلا من أجل المزيد من المال ، ومن الأرباح ، ومن المستوى المادي المرتفع " ، يرفض الدكتور فؤاد زكريا هذه المادية العدمية التي تؤدي بالإنسان إلى لآثار جانبية ويضع في مقابلها" القيم الإنسانية والمعنوية" ثم يطرح رؤية للإنسان مختلفة عن الرؤية المادية التي تهيمن على المجتمع الأمريكي . فما يحرك الإنسان –حسب ه\ه الرؤية الإنسانية –" ليست الماديات وحدها ، لان في الإنسان قوى تعلو على السعي المباشر إلى الكسب والاقتناء ، أي تعلو على المادية ، ويبدو أن هذه هي المرجعية الثنائية التي تجعل من الإنسان إنسانا .

ويذهب **محمود أمين العالم** إلى أن العلمانية ليست مجرد فصل الدين عن الدولة وإنما هي " رؤية وسلوك ومنهج " .وهذه الرؤية " تحمل الملامح الجوهرية لإنسانية الإنسان وتعبرعن طموحه الثنائي الروحي والمادي للسيطرة على جميع المعوقات التي تقف في طريق تقدمه وسعادته وازدهاره".كل هذا يعني أن علمانية د. العالم لاتسقط في النسبية والعدمية ولا ترفض فكرة الكل والجوهر والروح والمطلق . في هذا الإطار يرى الأستاذ العالم أن العلمانية لاتتعارض مع الدين " بل لعل العلمانية تكون منطلقا صالحا للتجديد الديني نفسه بما يتلاءم ومستجدات الحياة والواقع " .[1]

الفرع الثالث :مفاهيم مشابهة(اللائكية والمادية).

أولا: اللائكية Laïcisme

نجد أن اللائكية من أكثر الكلمات شيوعا واستعمالا وهي ذات خصوصية فرنسية، وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة في القاموس البيداغوجي الصادر ما بين 1887/1882 تحت إشراف **بوسان فردينان** Ferdinan Bussan .

وقد استخدم المصطلح في عملية إصلاح التعليم التي قادها الجمهوريون في إطار السعي لتحويلهم من سلطة الكنائس إلى سلطة الدولة الجمهورية، وقد شاع هذا المصطلح مع بداية علمنة التعليم ونظام المدارس أواخر القرن العشرين ميلادي وقد ازداد شيوعه أكثر مع مطلع القرن العشرين ميلادي وتحديدا في أجواء الفصل بين الدولة والكنيسة الذي تم إعلانه رسميا سنة1905.[2]

---

[1] - عبد الوهاب المسيري، ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية***، المجلد 1 ، مصر :دار الشروق للنشر والتوزيع ،1999 ،ص235 -237 .

[2]- Jean Baubérot, **Analyses et réflescions la laïcité** ; France ; Janvier 2001 . p2

وميز الفرنسيون بين العلمنة laïcité و العلمانية Laïcisme فالعلمنة حياد و العلمانية موقف عدائي من الدين لمحق الدين.[1]

و اللائكية هي من اقرب المصطلحات المشابهة للعلمانية حيث أن اختلافها اللفظي لا ينم إطلاقا على اختلاف المعنى بينهما.

ثانيا: المادية Matérialisme

تطلق على تأسيس الفكر السياسي وعلى حاجات الإنسان وبمقتضاها تصبح المادة والروح متزاحمين، ويسعى المرء إلى الحصول على المنفعة في سبيل نشاطه ورفع روحه، و المنطق المادي هو الذي يحرك التاريخ الذي يتطور حسب حاجات بشرية ويطلق على عصر العولمة، عصر سيادة الماديات على الروحانيات وعلى القيم والأخلاق.[2]

و العلاقة بين مصطلح العلمانية والمادية هي علاقة تلازمية فكلاهما يقوم على أساس الابتعاد عن القيم الإنسانية كالدين والأخلاق.

يقول المستشرق **اربري** Arberi في كتابه الدين في الشرق الأوسط" إن المادية العلمانية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال اللادينية ..."[3]

المطلب الثاني: أثر التطورات التاريخية على ظهور العلمانية.

سعيا لفهم المسار التاريخي للعلمانية لابد أن نراجع أهم المراحل التي مرت بها المسيحية ومن جهة أخرى لابد أن نقف عند دور الكنيسة الذي كان السبب الرئيسي في فصل الدين عن الدولة.

فقد ذهب بعض المفكرين إلى أن العلمانية هي ترتيب للحياة العامة تأمر به المسيحية، عملا بالعبارة التي ينسبها الإنجيل إلى المسيح والتي تذهب إلى ضرورة "إعطاء ما لله لله وما لقيصر لقيصر ".[4]

لكن الأرجح لدى المؤرخين أن العلمانية تأسست بداية كحل عملي للحروب الدينية التي حلت بأوروبا خلال القرون الوسطى والتي وصفت بالمظلمة فقد كانت المسيحية من الأديان النبوية التوحيدية حيث تختلف على

---

[1]- فارح مسرحي، ***الحداثة في فكر محمد أركون***، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2006، ص 125- 126.

[2]– اسماعيل عبد الفتاح، ***مرجع سابق***، ص 237.

[3] - سفر عبد الرحمان الحوالي ، ***العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة*** ، دار مكة للطباعة والنشر ، 1982 ص9

[4]- عزيز العظمة، ***مرجع سابق***، ص19.

الأديان القديمة التي اقترنت بالدولة وبالإمبراطورية وبشكل خاص الوثنية الرومانية إذ لم تفرض هذه الأخيرة تجانسا عقيديا دينيا على تشريعاتها العامة، بل كانت ذات أديان ضئيلة المحتوى العقيدي، كثيفة الممارسة الطقوسية.

لكن مع تحول الإمبراطورية الرومانية الوثنية إلى الإمبراطورية البيزنطية المسيحية، تمسك الأباطرة بإدماج الدين في القانون العام للدولة، حيث تقوم السلطة الدينية بالتأسيس الرسمي للسلطة المدنية، وتقضي في أمور المجتمع.[1]

وخلال الثلاث القرون الميلادية الأولى تعرضت المسيحية إلى حملة من الضغوط التي مارسها أباطرة الرومان لدحر هذا الدين الجديد وكل ما يحمله من قيم إنسانية وأخلاقية راقية .

في سنة 325 ميلادية دانت أوروبا بالمسيحية بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين للدين الجديد في مجمع نيقية الذي انعقد في نفس السنة، لكن اعتناق المسيحية لم تكتمل أوجهه بسبب التحريف الذي مس الدين الجديد الذي أكد الكثير من مفكري الغربي أن الدين النصراني انقسم إلى قسمين لا رابط بينهما سوى المسيح:

- المسيحية الأصلية أو مسيحية يسوع.
- المسيحية الرسمية أو مسيحية بولي.

ويعنون بهذه العقيدة التي نشرتها الكنيسة ابتداء من سنة 325 ميلادية تلك العقيدة التي وردت عند **برنتن** Brenten في مقولته "لو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا بان مسيحية القرن الرابع لا تختلف عن المسيحية الأولى فحسب، بل أن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا".[2]

وبالتالي فإن المسيحية الأصلية تختلف اختلافا بارزا عن المسيحية الرسمية التي أقرها الملوك ورجال الدين خدمة لمصالحهم .

وقد كان للكنيسة هذا الدور البارز في تحريف الدين النصراني وخلق أشكال جديدة مبتدعة ساهمت في تفعيل دوره، فمنذ مجمع نيقية سنة 325 م، انقسمت الحياة البشرية إلى قسمين:

---

[1]- المرجع نفسه، ص 20- 21.

[2]- سفر عبد الرحمان الحوالي ، ***مرجع سابق*** ، ص20

*الاكليروس: كلمة يونانية تعني النصيب وهم رجال الدين الذين اختارهم الله لخدمة الكلمة حسب المؤسسة الكنسية.

* نوع من نظم الحكم يجمع فيه الحاكم بين السلطتين الدنيوية والروحية .

الأولى: دينية هذه الحياة تكون من اختصاص الله و يقتصر محتواها على نظام الاكليروس* والرهبة والمواعظ وبعض التشريعات التي لا تتعدى الأحوال الشخصية.

الثانية:الحياة الدنيوية من اختصاص القيصر وتحتوي التنظيمات السياسية .

لكن المتمعن في تاريخ أوروبا يجد أن الحياة الدينية تكمل الحياة الدنيوية حيث كانت السلطة البابوية في القرون الوسطى تساهم في تسيير الشؤون السياسية والاقتصادية للدول الأوروبية، كما كان طغيانها المالي والسياسي وحتى الاجتماعي من بين أهم سمات الحياة الأوروبية.

الفرع الأول: تأثير ممارسات المؤسسة الكنسية.

لقد ساهمت الظروف التاريخية التي مرت بها المسيحية في بلورة فكر علماني معاصر كان في بدايته حل إجرائيا للحروب الدينية الدامية التي عاشتها مختلف الدول الأوروبية خلال القرون الوسطى.

1 1 المرحلة التيوقراطية:*

وتبدأ هذه المرحلة من بعثة السيد المسيح إلى مجمع نيقية سنة 325م كانت المسيحية في فاتحة هذه المرحلة ديانة توحيد تدعوا إلى عبادة إله واحد لكن لم تمض سنين حتى أخذت مظاهر الشرك تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق المسيحية وافدة إليها من فلسفات قديمة

وأحيانا من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية كالتوراة، وانقسم المسيحيون إلى طوائف جنحت عقائدها للشرك بالله وطوائف أخرى ظلت عقائدها محافظة على التوحيد.

وكانت أهم هذه الطوائف فرقة التثليث و ألوهية المسيح حيث تذهب هذه الفرقة إلى أن الإله ثلاثة(الأب، الابن، روح القدس) وقد كانت كنيسة الإسكندرية من أكثر الكنائس تعصبا لهذا المذهب الذي أصبح المذهب الرسمي لجميع الفرق المسيحية بعد مجمع نيقية سنة 325م كما شهدت هذه الفترة بداية السيطرة الكنسية.

وقد كان المفكرين السياسيين الغربيين بعد ظهور المسيحية من اشد المدافعين عنها وعن الكنيسة، ويعد القديس **اوغستين*Agustín** (354- 430) من أهم مفكري المسيحية حيث كانت معظم كتاباته في شرح الدين المسيحي والدفاع عنه.[1]

[1]- فايز صالح ابو جابر، ***الفكر السياسي الحديث***، بيروت: دار الجبل، عمان: مكتبة المحتسب، 1985،ص 27.

و ابرز ما استحدثته أفكار **اوغستين Agustín** هي أن الدولة يتعين عليها أن تكون مسيحية تخدم مجتمعا تربطه العقيدة المسيحية المشتركة ويتجه هذا المجتمع إلى حياة تسمو فيها العناية بالروح ، كما أن الدولة الحقة هي التي تقوم على أسس من التعلم والتي تحافظ على سلامة هذه العقائد ولايمكن بعد الآن أن ترتقي أي دولة إلا إذا كانت مسيحية ولا تستطيع أية حكومة ليس لها صلة بالكنيسة أن تكون عادلة.[1]

2 ـ4 مرحلة الاضطهادات الكنسية والانقسام الطائفي.

بداية هذه المرحلة كانت مع انعقاد مجمع نيقية 325م ميلادية حيث أمر قسطنطين إمبراطور الرومان في هذا العام بعقد مجمع ديني يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم المسيحي وقد تقرر فيه قاعدة التثليث في الديانة المسيحية وأصبح هو العقيدة الرسمية التي يجب اعتناقها من طرف كل مسيحي ويحاكم بالكفر كل من يقول غير ذلك، وبالرغم من إجماع المسيحيين على عقيدة التثليث إلا أنهم اختلفوا في أمور فرعية أخرى من عقائدهم وانقسموا إلى طوائف كثيرة تمثلت في :

أ **–الكاثوليكية:** هي كلمة يونانية الأصل (**كاثوليكس**) معناها عام أو عالمي يؤكد هذا المذهب أن للمسيح طبيعتين، طبيعة إلاهية وطبيعة إنسانية، وقد اعتنق هذا المذهب جميع الكنائس الأخرى وقد تقرر رسميا خلال مجمع خليكدونية سنة 451م.

ب **ـالأرثوذكسية:** كلمة يونانية الأصل وتعني الرأي الحق تذهب إلى أن المسيح له طبيعة واحدة وهي الطبيعة الإلهية، وقد تبنت ثلاث كنائس هذا المذهب وسمت نفسها الأرثوذكسية، إحداها في مصر و الثانية هي الكنيسة الأرثوذكسية السريانية ويرأسها بطريرك السريان وتبعها مسيحي آسيا وثالثها الكنيسة الأرثوذكسية الارمنية.

ج – المارونية: في القرن السابع ميلادي سنة 667 ظهر **يوحنا مارون** ليقول أن المسيح له مشيئة واحدة وإرادة واحدة بالرغم من انه ذو طبيعتين، وقد أيده الرأي بعض مسيحيي آسيا وجاء مجمع قسطنطينية سنة 680 م وكان مؤلفا من 289 أسقفا وانتهى إلى إصدار قرار بكفر يوحنا مارون وقد نزلت بأصحاب هذا المذهب إضطهادات شديدة .

---

[1]– نور الدين حاروش، ***تاريخ الفكر السياسي: أعمال موجهة***، (الجزائر: مطبعة النعمان، ماي 2004 ، ص 127– 132.

مايستخلص مما سبق ذكره أن أوروبا شهدت مجموعة من الظروف التي كانت سببا أساسيا للانتقال للمرحلة الموالية وقد تمثلت هذه الظروف فيما يلي :

أولا : الظروف الدينية:

يقول **يوسف درة الحداد** في كتابهّ مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي "إنا نتحدى أيا كان أن يرينا آية واحدة من القرآن تتهم المسيحيين تصريحا أو تلميحا بتحريف الإنجيل أو بعضه "[1]

إن هذا القول يختلف كل الاختلاف على واقع أوروبا المسيحي إذ كانت حصيلة المسيحية في قرونها الثلاث الأولى سبعون إنجيلا يكذب بعضهم البعض ومائة وعشرون رسول [2].كما نشأت عبادة الصور والتماثيل والأشخاص وهو ما كان سائدا في الوثنيات القديمة وقد منح مثلا الإمبراطور فلامينيوس FLAMINIUS في مدينة جالكيس CHALCIS مرتبة الكهونية والتي بقيت ثلاث قرون كاملة .[3]

وتعتبر بدعة الثلاث أقانيم * من اكبر التحريفات في المسيحية حيث قال عز من قائل : " **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿73﴾** ". [4] كما فقدت روما سلطنتها الروحية بحيث أصبحت المساعدة السياسية لبعض الملوك والأمراء، وانتشرت الخلاعة والسكر بين الأساقفة وقد امتاز البابا بينادكتوس التاسع سنة 1054 بالانفصال المذهبي بين الغرب الكاثوليكي والشرق الأرثوذكسي.[5]

لقد ساهمت الظروف الدينية التي مرت بها أوروبا خلال العصر الوسيط في ظهور العلمانية ، فبروز طوائف دينية متعددة أدى إلى تناحر هذه الأخير فيما بينها مما أدى إلى رفض الدول التسلط الكنسي ، بالموازاة إلى ذلك لم

---

[1]- يوسف درة الحداد ، ***مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي*** ، ط2 ،(د. م. ن) ،ن منشورات المكتبة البولسية ، 1986 ، ص116 .

[2] – سفر عبد الرحمان الحوالي ، ***مرجع سابق*** ، ص33 .

[3]- جفري بارندر ، ***المعتقدات الدينية لدى الشعوب*** ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد173 ،الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،ماي1993 ، ص79

[4] – سورة المائدة ، الآيات (73)

*ويقصد بها (الأب، الابن ، الروح القدس) .

[5] – كوركيس متي ، ***تاريخ الكنسية : تاريخ الإصلاح حتى العصر الحاضر*** ، ج2 ،(د. م. ن) ، (د.د.ن) ، ص3 .

ترفض الدول الدين المسيحي كعقيدة يؤمن بها الأفراد، أو يرفضونها حسب حريتهم الشخصية، فإن معظم دول أوروبا على هذا النحو الذي أشرنا إليه سابقا، فهي لم تحارب المسيحية، ولكنها أقصتها عن نظام الدولة.

ثانيا: الظروف السياسية:

لقد شهدت هذه الفترة توسعا لسلطات ملوك أوروبا السياسية في مقابل سلطة البابا، وأصبح الملوك في انجلترا واسبانيا أكثر قوة ونظموا شؤونهم المالية، وبنو جيوشهم، وأصبح البابا لديهم مجرد سياسي لدولة أجنبية لا سيطرة له ولا نفوذ على أقطارهم، كما شهدت هذه الفترة سقوط القسطنطينية ونهاية حرب المائة عام بين فرنسا وانجلترا من 1337م إلى غاية سنة 1453م.[1]

ثالثا: الظروف الاقتصادية:

كان اقتصاد أوروبا خلال القرون الوسطى اقتصادا زراعيا، ومعظم الناس كانوا فلاحين يعيشون في قرى صغيرة، وخلال القرن الثاني عشر ميلادي، بدأت تتكون المدن وتكبر، لاسيما في ايطاليا والنرويج.

واشتهرت خلال هذه الفترة بالتجارة وصار البابا والكنيسة الكاثوليكية من اكبر ممولي أوروبا، وقد اشترك البابا نفسه في الحملات العسكرية على الجزر الهند الشرقية والصينية والأمريكيتين.[2]

رابعا: الظروف الثقافية:

ظهر في الغرب منذ بداية القرن الرابع عشر ميلادي، ما يعرف بحركة النهضة التي دعت إلى الاهتمام بالحضارات القديمة ودراسة آدابها وتاريخها وفلسفتها حيث يقول المفكر نور الدين حاطوم في مقدمة كتابه تاريخ عصر النهضة الأوروبية " إن عصر النهضة الأوروبية أو القرن السادس عشر هو العصر الذي يبدأ برحلة كريستوفر كولومبس الأولى 1492 وحروب ايطاليا 1494 وينتهي بين وفاة إليزابيث ملكة انجلترا سنة 1603 وموت هنري الرابع ملك فرنسا سنة 1610م، لقد حدثت في هذا العصر حوادث عظيمة، وتبديلات عميقة في أنظمة الدول الداخلية لاسيما

---

[1] - Josiane Boulad – Ayoub,***les grandes figures du monde moderne ,***collection les sciences sociales contemporaines,2003 ,p15.

[2]– فايز صالح أبو جابر ، ***مرجع سابق*** ، ص44 .

أوروبا العامة".[1] كل هذه الظروف أدت إلى الانتقال إلى أهم مرحلة في تاريخ أوروبا الوسطى والتي برز فيها نمو حركة الإصلاح الديني.

3 1 مرحلة الانشقاق الكنسي وتداعيات ظهور الإصلاح البروتستانتي

تعتبر الحركة الدينية التي اشتدت جذوتها في القرن السادس عشر الميلادي من اكبر معالم التاريخ ولاتزال نتائجها باقية إلى اليوم تتمثل في المذاهب الجديدة التي ظهرت نتيجة الإصلاح الديني والانقسام الذي شهدته القارة الأوروبية بل وفي العالم الذي يدين بالمسيحية ،وقد جرت هذه الحركة أوروبا إلى حروب دامية .وترتب عليها ان خرج على هذه الكنيسة الكاثوليكية أكثر من نصف أوروبا الغربية والتي كانت تدين لها بالولاء والتي ظلت تحت نفوذ روما لأكثر من ألف عام .

ومن أهم العوامل لتي أدت إلى ظهور هذه الحركة :

- التدهور الذي أصاب البابوية ورجال الدين في روما .
- انتشار روح النقد والتحرر الفكري .
- رغبة حكام ألمانيا في التخلص من سيطرة كنيسة روما .
- صكوك الغفران .[2]

في أوائل القرن السادس عشر ميلادي ظهر في العالم المسيحي طائفة جديدة إلى جانب الطوائف الأخرى، أطلق عليها اسم **البروتستانتية** ومعناها الاحتجاج أو الاعتراض وقد كانت الظروف السابقة الذكر من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهورها ،وكان على رأس هؤلاء المصلحين **مارتن لوثر** الألماني 1483-1546 حيث إليه تنسب النحلة البروتستانتية، فقد هاجم لوثر الكنيسة لبيعها صكوك الغفران عام 1516م وقد عارض الكنيسة الكاثوليكية في العديد من المسائل العقائدية الدنيوية وقد ساعده في دعوته الجديدة كل من **أولريخ زوينجلي** Ulrich Zwingli السويسري (1484-1531) **وجون كلفن** الفرنسي 1509-1564 .

---

[1]- جاسم سلطان ، ***النهضة من الصحوة على اليقظة : سلسلة أدوات القادة*** ،(د .م .ن)، (د.د.ن)،(د.ت.ن) ، ص14 .

[2] -شوقي الجمل، عبد الله عبد الرازق، ***تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة*** ، القاهرة :المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 2000 ، ص ص ، 43 – 46 .

انتشرت اللوثرية في البلاد المنخفضة الاسبانية بلجيكا وهولندا حاليا، في هولندا كان نشر تعاليم البروتستانتية بشكل سلمي ، لكن حافظت بلجيكا على الصبغة الدينية الكاثوليكية، كما انتشرت في كل من البلاد الاسكندينافية بطرق سلمية.

وتكمن نقاط الاختلاف بين البروتستانتية و الكاثوليكية في النقاط التالية:[1]

- **سلطان الكتاب المقدس** : حيث تستمد البروتستانتية جميع العقائد و العبادات من الكتاب المقدس (الإنجيل) وحده بعكس الكنائس الكاثوليكية التي تستمد أحكامها من الكتاب المقدس و قرارات المجامع وآراء الباباوات ورؤساء الكنائس.
- **الكهنوت العام** : لقد أضفى على المؤمنين الكهونية وجعلهم سفراء للمسيح و يختلف على الكاثوليكية في هذه النقطة أن الكهنوت فيها البابا والقسيسين و الرهبان.
- **الأسرار** : حصرت الكنيسة البروتستانتية الأسرار المقدسة في فريضتين هما المعمودية وعشاء الرب، وجعلت الزواج شعيرة ذات صفة خاصة ولم يجعلها سرا من الأسرار المقدسة كما فعلت الكاثوليكية، بحيث تزوج مارتن لوثر وهو راهب من راهبة سابقة وقد فجر من خلالها حركة الإصلاح البروتستانتي بالتحالف مع بعض الأمراء الألمان.[2]
- **صكوك الغفران** : نادى لوثر بداية بضرورة اهتمام رؤساء الكنائس بالأمور الروحانية فقط و الابتعاد عن الأمور السياسية والدنيوية حيث رفضوا بيع صكوك الغفران وجعلها قرارا كنسيا مجحفا في حق الطبقات الفقيرة في المجتمع.

كما رفض العزوف على فكرة إجبارية عزوبية الاكليروس ، وعدم عصمة رئيس الكنيسة من الخطأ، كما حرمت البروتستانتية وضع الصور والتماثيل في أماكن العبادة واتجاه المصلين لها بالسجود.

الفرع الثاني: اثر حركة الإصلاح الديني اللوثري على ظهور العلمانية:

وتمثلت في الآثار الدينية والسياسية التالية :

---

[1] -بيوس قاشا ،" ***رواد وكنائس : مارتن هانس لوثر رائد الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية*** " ، مجلة الزنبقة ، عدد50 ،2006 ،ص 22، 23.

[2]- عزيز العظمة ، ***مرجع سابق*** ، ص 24 .

1 -**النتائج الدينية:** انقسمت أوروبا نتيجة الإصلاح الديني اللوثري إلى أقطار كاثوليكية في الجنوب وأقطار البروتستانتية في أوروبا والعالم ككل ، كما تم التخلص من الاضطهاد و السيطرة التي كانت تمارسها الكنيسة ورجال الدين على الناس ولقد فقد الاكليروس مختلف الامتيازات المادية والمعنوية.[1]

2 -**النتائج السياسية:** والمتمثلة في الحروب الدينية التي قامت في أوروبا خلال القرون الوسطى حيث اعتبرت هذه الحروب، العامل الأساسي في بروز ما يسمى بالتسامح الديني ومن ثم العلمانية. لقد تميزت العلاقة بين الكنيسة والدولة بعدم الاستقرار طيلة قرون خلت، وخلال هذه الفترة باتت الكاثوليكية صاحبة المقام السامي تعاني من فقدان سلطتها، بينما ازدادت قوة الأمراء .[2]

دعا **لوثر** بنفسه إلى تحالف الأمراء والفلاّحين ضد البابا ورجال الدين الموالين له، وكانت الحركات الثورية السابقة على مجيء الإصلاح الديني في القرن السادس عشر،حركات اجتماعية وسياسية في جوهرها مع احتوائها كثيراً أو قليلاً على عناصر دينية، اتخذت في البداية شكل حركة لتحرر القداسات من سيطرة النظام الاجتماعي والإقطاعي ،مقترنة بالطموح من أجل قيام نظام ديمقراطي في الدولة وإلغاء القانون الإقطاعي الذي منح القدرة والامتيازات للطبقات العليا . [3]

مرت أوروبا وعلى امتداد مائة وثلاثون سنة متتالية (1559-1689) أي منذ ظهور الحركة البروتستانتية في الشمال الأوروبي، ثم محاولة امتدادها بحالة واسعة من الاضطرابات السياسية و الحروب الدينية، ففي فرنسا مثلا امتدت حروبها الدينية قرابة الست وثلاثين سنة، خلف وراءها دمارا عم البلاد من كلتا الطائفتين الكاثوليكية والبروتستانتية.

أما ألمانيا فقد امتدت حربها الدينية هي الأخرى ما بين 1618و سنة 1648 في إطار ماعرف بحرب الثلاثين عاما، كما عرفت بريطانيا الثورة الطهورية التي امتدت من سنة 1660 إلى غاية 1688، وعاشت اسبانيا و النمسا و اغلب ممالك أوروبا الغربية نفس الأجواء المشابهة.[4]

---

[1]- سامي الشيخ ،"***الإصلاح البروتستانتي من المفهوم إلى الشمولية*** " ، سلسلة الفكر السياسي ، ص 227 ،228 .

[2]- Bainton, R.H, ***The Age of the Reformation***, Van Noster and Company Inc. Princeton, New Jersey, Toronto, New York, London, 1965, p.100

[3]- J, Mackinnon , ***Luther and The Reformation***, Vol. III, Longmans, Green Co. London, New York, Toronto, 1929, P P 174 ,175 .

[4] - رفيق عبد السلام ، ***في العلمانية والدين والديمقراطية : المفاهيم والسياقات*** ، بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2008 ،ص28

بعد كل هذه الأوضاع كان لابد أن تحقن الدول الأوروبية دماء مواطنيها وذلك من خلال التسامح بين الكاثوليك و البروتستانت وقد انتشر هذا المصطلح في القرن التاسع عشر ليشمل حرية الرأي والتعبير ولم يكن ليحدث هذا الانتقال والتحول إلا بعد حروب دينية بين الكاثوليك و البروتستانت طويلة عاشتها دول أوروبا في ألمانيا وهولندا، اسبانيا وانجلترا، فرنسا وبالتالي فقد استخدم مفهوم التسامح لأول مرة لحل المعضلة بالدعوة للاعتراف بالحق في الاختلاف وإباحة حرية الاعتقاد الديني وبالتالي في هذا السياق التاريخي يحمل التسامح نزعة لائكية وهذا ما أكده **جون لوك** منذ سنة 1689 عندما كتب حول مفهوم التسامح ضمن كتاباته موقفه العلماني الداعي للفصل بين الدولة والدين أو ماسماه بين مهام الحكم المدني والدين. [1]

المطلب الثالث : أسباب ظهور العلمانية.

إن الملاحظ في الفترات السابقة من الأحداث التاريخية التي وقعت في أوروبا منذ ظهور المسيحية، حتى القرون الوسطى الصدام الكبير الذي نشأ بين المؤسسة الإمبراطورية والمؤسسة البابوية، من جهة و الاضطهاد الذي تلقاه عامة الناس من كلتا المؤسستين السابقتين الذكر، ومن جهة أخرى الصراع الديني بين مختلف الطوائف الدينية ، كل هذا الاحتدام اثر كثيرا على مختلف جوانب الحياة في أوروبا وهذا ما أدى إلى ظهور ما يسمى بفصل الدين عن الدولة وكان لظهور هذه الفكرة العديد من الأسباب تم إجمالها فيما يلي :

الفرع الأول: طغيان رجال الكنيسة

لقد عاشت أوروبا فترة قاسية في القرون الوسطى، تحت طغيان رجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم وإرضاء شهواتهم تحت قناع القداسة التي يضفونها على أنفسهم، وقد تمثل طغيان رجال الكنيسة في العديد من الصور منها :

أ –**الطغيان الديني:** إن الإيمان بالله الواحد الأحد، الذي لا اله غيره ولا معبود سواه، وان عيسى عبد الله ورسوله، قد تحول في عقيدة النصارى إلى الإيمان باله مثلث يتجسد في (الأب و الابن وروح القدس)، وتتفق المصادر أن تحريف العقيدة النصرانية يعود إلى **بولس شاؤل** اليهودي الأصل فهو الأول الذي أثار فكرة ألوهية المسيح. [2]

---

[1] – إبراهيم أعراب ، ***الإسلام السياسي والحداثة*** ، المغرب : إفريقيا الشرق ، 2000 ، ص 207 ، 208

[2]- سفر عبد الرحمان الحوالي ، ***مرجع سابق*** ، ص36 .

وقد أضافت المسيحية الجديدة التي تقودها الكنيسة العديد من الشعائر والحقوق كما ألغت أخرى، فإذا كان الختان واجب أصبح حراما وكانت التماثيل شركا فأصبحت تعبر عن التقوى، وكان زواج رجال الدين مباحا فأصبح محضورا ومن بين أهم الشعائر و الحقوق التي أضفتها الكنيسة على المسيحية الجديدة:

- التعميد: رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء .
- العشاء الرباني: ويرمز إلى عشاء عيسى عليه السلام الأخير مع تلاميذه.
- تقديس الصليب وحمله ومعناه عندهم هو الاستعانة بالحية والاستعداد للموت.[1]
- صكوك الغفران والحرمان: وهي صكوك تباع للناس متى أراد البابا أن يبني كنيسة وان يجمع مالا، تغفر هذه الصكوك ذنوب كل شخص اشتراه وقد ترك في هذا الصك فراغا ليكتب المشتري اسمه.
- الاعتراف: إذ يعترف المذنب بذنبه في خلوة مع قديسه.
- حق النحلة: وهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة. [2]

ب –**الطغيان المالي** : لم يكتفي رجال الدين بفرض شعائر وحقوق لم ينص عليها الدين المسيحي بل انتقل طغيانهم إلى شكل آخر هو الطغيان المالي بالرغم من أن مختلف الأناجيل المحرفة ذهبت للنهي على اقتناء الثروة والمال ومن بين أهم مظاهر هذا الطغيان مايلي:

- الأملاك الإقطاعية: إذ أصبح رجال الدين من اكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا بسبب العدد الكبير من الأراضي التي كانوا يملكونها.
- الأوقاف: هي مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية التي كانت الكنيسة تستحوذ عليها باعتبار أنها تصرف عائدها على سكان الأديرة، وبناء الكنائس و تجهيز الحروب الصليبية.
- العشور: وهي ضريبة تستفيد بمقتضاها الكنيسة من عشر ما تغله الأراضي الزراعية، وعشر ما يحصل عليه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين.

---

[1]- أحمد شلبي ، ***المسيحية*** ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، (د .ت .ن) ، ص ص 168 - 171

[2]- المرجع نفسه ، ص 255 .

- ضريبة السنة الأولى: ابتدع البابا حنا الثاني والعشرون بدعة جديدة سماها" ضريبة السنة الأولى" وهو مجموعة الدخل السنوي الأول لوظيفة من الوظائف الدينية أو الاقتطاعة تدفع للكنيسة بصفة إجبارية.
- الهبات والعطايا: إذ حظي رجال الدين بالكثير من الهدايا و الهبات التي كان يقدمها الأثرياء الإقطاعيون خشية غضب الكنيسة التي تحرمهم المغفرة .
- العمل المجاني (السخرة): كانت الكنيسة ترغم الناس على العمل على الأقل يوما واحدا في الأسبوع في أملاكها وذلك بدون مقابل. [1]

ج- الطغيان السياسي : لقد كان لسلطة البابا المكانة المرموقة آنذاك إذ باستطاعته أن يخلع الملوك إذا نازعوه ا وان يحرمهم من الدين .

الفرع الثاني: الصراع بين الكنيسة والعلم.

الصراع بين الكنيسة والعلم من أعمق المشكلات في التاريخ الفكري الأوروبي وذلك أن الكنيسة هي صاحبة السلطة طوال القرون الوسطى في أوروبا حتى قامت النهضة العلمية.

و في الوقت الذي كانت الكنيسة تطغى على جوانب الحياة وقعت الحروب الصليبية بين المسلمين والأوروبيين واستمرت طوال القرنين 11 و12 ميلادي وقد احتك الصليبيون خلالها بالمسلمين ذوي المدارس الكبيرة في جميع المجالات العلمية الفنية، وخاصة في شمال إفريقيا وصقلية، وقد وفد أوروبيون كثر إلى البلاد الإسلامية ليتعلموا على أيدي الأساتذة المسلمين ، فأخذو في مقاومة الكنيسة ورجالها الذين يحتكمون إلى دين مزيف. [2]

وقد تم تأسيس الجمعيات العلمية الكبرى مثل جمعية الملكية البريطانية سنة 1660 و أكاديمية العلوم الفرنسية التي تأسست في السنة نفسها[3] ، كما أعلن العلماء في أوروبا عن كشوفاتهم العلمية والجغرافية، والطبيعية التي

---

[1] - سفر عبد الرحمان الحوالي ، ***مرجع سابق*** ، ص 54 ، 55 .

[2] - سعود بن سلمان ، ***النظام السياسي في الإسلام*** ،ط2 ، الرياض : دار الوطن للنشر ،2006 ، ص 166 .

[3] - كرين برينتون ، ***تشكيل العقل الحديث*** ، ترجمة : شوقي جلال ،سلسلة عالم المعرفة ، عدد82 ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والآداب ، أكتوبر 1984 ، ص122 .

تحرمها الكنيسة مما أدى إلى احتدام الصدام بين رجال العلم و رجال الكنيسة وهذا ما أدى إلى إنشاء محاكم التفتيش من طرف المؤسسة الكنسية لملاحقة جملة الأفكار المخالفة لأرائها .

مكث هذا الصراع عدة قرون وانتهى بإبعاد الكنيسة ورجالها عن التدخل في نظم الحياة وشؤون الدولة وتوكيلها لرجال العلم والمعرفة لإدارة الحياة .

وكانت بداية الطريق في هذا الصراع هي نظرية "**كوبرنيق**" 1543م التي اكتشف صاحبها أن الأرض ليست هي مركز الكون – كما تدعي الكنيسة، وكما قال **بطليموس** – وأن الأفلاك لا تدور حول الأرض، ووضع "**كوبرنيق** "كتابه عن "حركة الأجرام السماوية" شرح فيها نظريته تفصيلا، وبين آراءه في حركة الأفلاك، وكانت على النقيض تماما مما تدين به الكنيسة؛ فأعلنت الكنيسة الحرب على "**كوبرنيق**"، ولم يفلت من العقاب إلا بسبب موته قبل طباعة هذا الكتاب، وأعلنت الكنيسة أن كل ما جاء في هذا الكتاب مخالف لروح الإنجيل، وأنه وساوس شيطانية.

غير أن نظرية هذا العالم لم تمت بموته، فقد جاء بعده من أحياها ، وأعلن أن ما فيها هو حقيقة العلم الذي يجب قبوله ورفض ما عداه، وكان هذا العالم هو "**جرادنوا برونو**" الذي قدمته الكنيسة للمحاكمة، حيث قضت عليه محكمة التفتيش بالحبس ست سنوات، ولما لم يتراجع عن رأيه أمروا بإحراقه سنة 1600م ، ليكون عبرة لغيره من العلماء الذين يخرجون على سلطة الكنيسة[1].

كان الكرسي الرسولي قد نشر في السنة 1616 م ميلي :" إن القول بان الشمس ساكنة في وسط الكون قول جنوني باطل فلسفيا لأنه لايتفق والكتاب المقدس كما أن الرأي القائل بان الأرض ليست في وسط الكون وأنها بالإضافة إلى ذلك تخضع لحركة محورية يومية قول باطل فلسفيا واعتقاد أقل مايقال فيه انه ضلالة "

ثم جاء "**غاليليو**" الذي اخترع التلسكوب بفضل توسع معرفته لعلم البصريات ، وأثبت بالتجربة العلمية نظرية "**كوبرنيق**"، واعتنق رأيه، ورفض رأي الكنيسة، لذلك حينما نشر جاليلو في سنة 1632 " الحوار حول نظامي العالم الهامين ، النظام اليطليموسي والنظام الكوبرنيكي " ، استدعي إلى روما بطلب من ديوان التفتيش ، و قد هدد بالتعذيب فرجع عن قوله ، وحكم عليه بالسجن و بتلاوة مزامير التوبة والندم السبعة كل أسبوع لمدة ثلاث سنوات.

---

[1] - محمد السيد الجليند، ***العلمانية المصطلح وظروف النشأة*** ، موقع المختار الإسلامي نقلا عن :بتاريخ :2011/06/15
http://www.islamselect.com/mat/86423

واستحلف بان يصرح عن كل ماقد يبدو مريبا في نطاق العقيدة ، أما "حواره" فقد أدرج في فهرس الكتب المحرمة .[1] هذه نماذج قليلة من العلماء الذين واجهوا مصيرهم المؤلم أمام رجال الدين ، بسبب رفضهم لخرافات الكنيسة، وتمسكهم بحقائق العلم الذي توصلوا إليه من خلال بحوثهم وتجاربهم العلمية.

الفرع الثالث: دور معاهدة واستفاليا في ظهور العلمانية.

لقد اتسمت الحياة الأوروبية بالتوتر و الصراع الشديد الذي تأثر بالتوجهات السياسية والتعصب الديني ،مما أدى إلى حدوث عدة حروب طاحنة كان آخرها حرب الثلاثين عاما، أين وقعت بعدها معاهدة واستفاليا سنة 1648 لإحلال التوازن بين القوى الأوروبية.وهي تسوية أوروبية عامة أنهت حرب الثلاثين عاما (1618 - 1648) بين الألمان البروتستانت والألمان الكاثوليك ، و كانت المفاوضات قد بدأت في العام 1644، في مؤتمرين عقدا في وقت واحد في مونستر ، **و** اوزنابروك ، و انتهيا بإبرام معاهدتين كونتا تسوية الصلح ، و كانت أهم الدول المشتركة في المفاوضات الحليفتين ، فرنسا و السويد ، و خصومهما : إسبانيا ، الإمبراطورية الرومانية المقدسة و الدويلات التابعة للإمبراطورية و هولندا . و قد أرضت المعاهدتان اللتان وقعتا في عام 1648 المطالب الفرنسية والسويدية ، حيث خرجت فرنسا مظفرة قوية الجانب ، وقد واصلت القتال ضد إسبانيا حتى صلح البرانس في سنة 1659.[2]

وأول مرة في التاريخ تتخذ فيها لفظة العلمانية صفتها السياسية كان في وثيقة واستفاليا (مدينة في غرب ألمانيا) الصلحية سنة 1648 التي وضعت حدا لحروب أهلية طاحنة شهدتها أوروبا طيلة فترة طويلة من الزمان ، وهذه الوثيقة، حولت لفظ العلمانية من مدلوله الفلسفي إلى منجز سياسي حيث نصت على جملة من المكاسب والإجراءات اعتبرت تجسيدا وترجمة لمدلول العلمنة[3].

---

[1]- رولان موسنييه ، ***تاريخ الحضارات العام : القرنان السادس عشر والسابع عشر*** ، ترجمة : يوسف اسعد داغر ، فريد م داغر ، المجلد الرابع ، بيروت : عويدات للنشر والطباعة ،2006 ، ص 265.

[2] - عبد الوهاب الكيالي ، ***موسوعة السياسة*** ، ج 7 ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1985 ، ص 290 ، 291 .

[3] - سامي براهم ، ***العلمانية في جوهرها فصل بين السياسة والقداسة وليس بين الدين والساسة***، جريدة "الصباح" (يومية – تونس) ، عد 26 مارس 2011 ، ، نقلا عن :

http://fr-fr.facebook.com/notes/radical-reform

معاهدة واستفاليا سنة 1648 م وضعت حدا للحرب التي كانت قائمة بين الدول الأوربية على أساس انقسامها بين دول مؤيدة لسلطة الكنيسة الكاثوليكية و دول أخرى تنادي بفصل أمور الدولة عن الكنيسة و تعتبر هذه المعاهدة بداية فكر علماني ، و قد احتـوت على المبادئ التالية :

- زوال السلطة البابوية من الناحية الزمنية و بقائها في الجانب الديني وفصل المؤسسات الكنسية عن مؤسسات الدولة السياسية .
- إقرار مبدأ سيادة الدولة و ظهور مفهوم الدولة القومية .
- اعتبار الحرب وسيلة مشروعة في العلاقات الدولية.
- إعطاء أهمية قانونية للمعاهدات في بناء العلاقات الدولية .

الفرع الرابع : دور الثورة الفرنسية (1789 –1799).

يقول نابليون أن الثورة الفرنسية هي أولى عتبة نحو العلمنة [1] فالثورة الفرنسية لم تكن ثورة سياسية ترتب عليها انقلاب على حكومة فرنسية معينة و لكنها كانت ثورة اجتماعية و اقتصادية و سياسية.

1/ **أسباب الثورة الفرنسية** : تعتبر الفترة الممتدة من 1789 إلى غاية 1799 فترة تحولات سياسية و اجتماعية كبرى في التاريخ السياسي لفرنسا و أوروبا بوجه عام و قد كان نظام الإقطاع الذي كان سائدا في أوروبا لا سيما فرنسا سببا من أسباب الثورة حيث عملت حكومات الثورة الفرنسية على إلغاء الملكية المطلقة و الامتيازات الإقطاعية للطبقة الأرستقراطية و النفوذ الديني الكاثوليكي و قد سبق هذه الإصلاحات فساد سياسي و تدهور اقتصادي أدى بالحكومة إلى فرض ضرائب جديدة على الطبقة المتوسطة من الشعب، فازدادت الأحوال المعيشية للفرد البسيط سوءا و ساد الجوع و نقص المؤن.

و بهذا ثارت مجموعة من فئات الشعب المهضومة الحق و المتمثلة في الفلاحين المهنيين و القساوسة الصغار على الطبقتين المحتكرتين للمال و السلطة و هما رجال الدين و الأشراف .[2]

و قد كانت الأسباب التالية هي الدافع لقيام الثورة الفرنسية :

---

[1]-Jean Baubérot, Opcit . p2

[2] – سفر عبد الرحمان الحوالي، مرجع سابق ، ص122 ،123

❖ **التفرقة بين الطبقات** : في 1789/08/26 قررت الجمعية الوطنية في فرنسا مبادئ حقوق الإنسان و كانت أول قاعدة قررتها الجمعية أن الناس يولدون و يعيشون أحرارا متساوين في الحقوق ، و ذلك بعد اضطرابات طبقية عاشها المجتمع الفرنسي حيث كان ينقسم إلى ثلاث طوائف متمايزة :

– الأولى : طبقة الأشراف أو النبلاء وهم المحاربون .

– الثانية : رجال الدين .

– الثالثة : الطبقة العامة والمتمثلة في العمال الذين يخدمون أراضي النبلاء التي أخذوها بالقوة منهم .[1]

حيث كان العامل في سنة 1789 يكسب 20 سو في اليوم (في الفرنك الفرنسي 100 سو) وقد يصل احيانا إلى 20 او 30 سو فقد كان كسب العامل البسيط يوازي سعر 10 أرطال من الخبز هذا في عام الثورة الفرنسية ، وفي سنة 1788 عرفت فرنسا أسوا محصول من القمح مما رفع أسعار القمح حتى في الريف وعرف الشعب الفرنسي الجوع والبطالة في المدينة والريف على حد سواء ، بينما كانت هناك طبقات استفادت من ارتفاع سعر القمح كجباة العشور والتجار والسادة الإقطاعيين وكان هؤلاء ينتمون إلى الطبقة الارستقراطية والبرجوازية أو رجال الدين .[2]

تتمتع طبقة الأشراف بكثير من الامتيازات التي ورثتها عن عهد الإقطاع من بينها حق الخطابات المختومة و التي تقضي على الحريات الفردية و ترمي إلى السجن بأي إنسان من غير تحقيق أو محاكمة .

❖ **فوضى الضرائب:** تميز توزيعها بسوء التدبير، حيث كان الأشراف يملكون نصف أرض فرنسا تقريبا وهم لا يزيدون على 300000 ، بينما كان النصف الثاني ملكا للشعب وعددهم يربو على 25 مليون، و مع هذا فكان الأشراف لا يدفعون شيئا من الضرائب على أراضيهم في حين كان الفلاح يدفع ضريبة على عقاره و ضريبة إلى الكنيسة و أخرى إلى الشريف . و لقد قدر أن الفلاح كان يدفع من كل مائة فرنك تصل إلى يديه ثلاث و خمسون فرنك للحكومة و أربعة عشر للشريف و تسعة عشر الباقية كانت تترك له لسد حاجاته و حاجات أهله .

---

[1] - لويس عوض، ***الثورة الفرنسية*** ، الاسكندرية : مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1992 ، ص 59 .

[2] المرجع نفسه ، ص 67 ، 68 .

2 /نتائج الثورة الفرنسية:

قد نتج على الثورة الفرنسية مجموعة من النتائج أهمها :

– ولدت لأول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة جمهورية لا دينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب ، تحث على حرية الدين و الحرية الشخصية بدلا من التقييد بالأخلاق الدينية و على دستور وضعي بدلا من قرارات الكنيسة التي كان رجال الدينيفرضونها على عامة الشعب.

– فرنسا البلد الأوروبي الوحيد من بين الإثني عشر دولة مكونة تقليديا للإتحاد الأوروبي الذي نص صراحة على لائكية الدولة مع الامتناع عن الإشارة إلى الديانة الرسمية و ذلك كان لأول مرة في دستور 1905 أي بعد قرن و الربع من اندلا ع الثورة الفرنسية

– النزعة العدائية للدين عامة و للكنيسة الكاثوليكية خاصة حيث عملت الثورة الفرنسية على إحلال نظام جديد يقوم على مبادئ العقل و قوانين الطبيعة الكونية . [1]

المطلب الرابع:أنواع العلمانية.

ورد لدى المفكر العربي المعاصر عبد الوهاب المسيري* أن شيوع تعريف العلمانية باعتبارها فصل الدين عن الدولة يسطح القضية و يقلص من نطاقها ، فقد كان هذا التعريف يلائم موضوع العلمانية عندما كانت حديثة النشأة لكن التطور التاريخي الذي مر به هذا الموضوع جعله يتشعب ليخلق أفكار جديدة كانت غائبة عن العديد من المجالات الدينية و الثقافية و الاجتماعية و حتى السياسية منها .

لهذا فالعلمانية لدى المسيري تنقسم لنوعين رئيسيين هما :

الفرع الأول: العلمانية الجزئية.

نعني بها فصل الدين عن الدولة separation of church and state و هو من أكثر التعاريف شيوعا للعلمانية في العا لم و بعبارة أخرى فصل المؤسسات الدينية (الكنيسة) عن المؤسسات السياسية (الدولة) و بهذا قد تم حصر العلمنة في المجال السياسي و قد استبعدت شتى النشاطات الإنسانية الأخرى [2]

---

[1] رفيق عبد السلام ، ***السياسة و الدين في الغرب الحديث***، بحث مقدم للدورة 16 للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ، تركيا،، يوليو 2006 ص10، 11 .

*باحث مصري له العديد من الدراسات فيما يخص اليهودية والعلمانية

[2] - عبد الوهاب المسيري، ***العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة*** ، المجلد 1 ،القاهرة : دار الشروق ،2002 ، ص15 – 17 .

فالعلمانية الجزئية كانت مرتبطة بالمراحل الأولى لتطورا هذا النوع من العلمانية له رؤية جزئية للواقع لا تتعامل مع الأبعاد الكلية و المعرفية و من ثمة لا تتسم بالشمول .

و يمكن تسمية العلمانية الجزئية بالعلمانية الأخلاقية أو العلمانية الإنسانية لأنها لا تنكر وجود مطلقات و كليات أخلاقية و إنسانية و ربما دينية أو وجود ما ورائيات و ميتافيزيقيا .كما أن لها رؤية محددة للإنسان إلا أنها تراه إنسانا طبيعيا ماديا في بعض جوانب حياته.[1]

الفرع الثاني : العلمانية الشاملة :

إن النظر إلى موضوع العلمانية على أنه موضوع شامل لاينحصر فحسب في عبارة فصل الدين عن الدولة بل يتعداها ليشمل فصل كل القيم الإنسانية و الأخلاقية و الدينية ليس عن الدولة فحسب و إنما عن الطبيعة و عن حياة الإنسان في جانبها العام و الخاص ، بحيث تنزع القداسة عن العالم و يتحول إلى مادة إستعمالية يمكن توظيفها لصالح الأقوى و هذا ما تعني به العلمانية الشاملة .[2]

و يتوزع عن هذه الرؤية

- ❖ منظومات معرفية (الحواس و الواقع المادي مصدرا المعرفة) و أخرى أخلاقية (المعرفة المادية هي المصدر الوحيد للأخلاق).
- ❖ تاريخية (التاريخ يتبع مسارا واحدا فإن اتبع مسارات مختلفة فإنه سيؤدي في نهاية الأمر إلى نفس النقطة النهائية .
- ❖ رؤية للإنسان (الإنسان ليس سوى مادة فهو إنسان طبيعي مادي)، كل هذا يعني أن (الطبيعة هي الأخرى مادة في حالة حركة دائمة). كل هذا يعني أن نزع القداسة عن العالم(للإنسان و الطبيعة) و يتحول إلى مادة إستعمالية توظفها القوى لحسابه .

و يمكن أن نسمي العلمانية الشاملة بالعلمانية الطبيعية المادية ، فهي رؤية الكون تتغلغل في كل مجالات الحياة ابتداء من رؤية الإنسان لنفسه و انتهاء بموقفه من جسده ، فهي ليست فصل الدين عن الدولة وإنما فصل كل

---

[1] – ـ ، ***دراسات معرفية في الحداثة الغربية*** ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، 2006 ، ص69 .

[2] - ـــــــــــــ ، ***العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة*** ، مرجع سابق، ص16 .

القيم الإنسانية و الأخلاقية و الدينية و كل الثوابت المعرفية و الأخلاقية عن مجال حياة الإنسان في جانبيها العام و الخاص .[1]

المبحث الثاني : المقاربات النظرية للعلمانية .

إن العلمانية من حيث أنها نظرية لايزيد عمرها على قرنين من الزمن والنظرية هي مجموعة مترابطة من المفاهيم و التعريفات و القضايا التي تكون رؤيا منظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسير الظواهر و التنبؤ بها .[2]

فالعلمانية لم تكن نتاج فكري لأحد العلماء و المنظرين بل كانت نتاجا لصراع دام طويلا بين الكنيسة التي تمثل السلطة الدينية في القرون الوسطى و بين مختلف الطبقات الشعبية التي كانت تنادي بإنهاء السيطرة الدينية التي كانت تفرضها الكنيسة بطرق تعسفية بعيدة عن كل ما هو ديني و أخلاقي ، كما كانت حلا عمليا فرضته أجواء الحروب الدينية التي حصلت في القارة الأوروبية خاصة خلال القرنيين السادس عشر و السابع عشر ميلادي.

و بهذا فإن العلمانية كموضوع نظري يحتاج إلى نوع من التمحيص الذي خلص إلى أن العديد من الفلسفات و النظريات التي ظهرت خصوصا في أواخر القرون الوسطى كانت لها الصلة الوثيقة بالفكرة الرئيسة للعلمانية ألا وهي اللادينية أو بعبارة أخرى فصل الدين الدولة .

المطلب الأول : المدارس المعاصرة للعلمانية .

ظهر خلال القرن 17 م في أوروبا ما يسمى النظريات العلمية التي كسرت باب الميتافيزيقيا و الجوانب الغيبية للعلوم وقد كان للكنيسة الأثر البالغ في عرقلة التطورات البحثية في مجال العلوم الطبيعية و الفيزيائية والى جانب هذه الأخيرة ظهرت الدراسات والعلوم الاجتماعية التي ساهمت في صياغة فكر أوروبي جديد ينفي الغيبيات و يحاول بناء نظريات علمية قائمة على التجربة .

وفي خضم كل ذلك ظهرت نظريات اجتماعية باستطاعتنا أن نضفي عليها الطابع العلمي بسبب أساساتها المعرفية التي تقوم على :

---

[1] - عبد الوهاب المسيري، ***دراسات معرفية في الحداثة الغربية***،مرجع سابق ، ص 70،71 .

[2] محمد شلبي ، ***المنهجية في التحليل السياسي : المفاهيم، المناهج ، الإقترابات والأدوات*** ، الجزائر : دار هومة ،2007 ، ص17.

- المصلحة و المنفعة .
- العلم و الاختبار التجريبي.
- المادية .

الفرع الأول: المدرسة البراجماتية

البرجماتية هي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية براجما Pragma و تعني الفعل و العمل أو المزاولة .[1]

يقول **وليام جيمس** W.James عن الاتجاه البراجماتي انه اتجاه تحويل النظر بعيدا عن الأشياء الأولية، المبادئ ، النواميس و الفئات ، الحتميات المسلم بها وتوجيه النظر نحو الأشياء الأخيرة ، الثمرات ، النتائج ، الآثار، الوقائع ، الحقائق .[2]

المصلحة و المنفعة و اللذة هم أساسات البراجماتية، فالفكر البراجماتي يقوم على تلبية حاجات الفرد بلا مبالاة في النتائج التي قد تصيب الآخرين ، و بالتالي فان فكرة المنفعة العامة لم تكن هدفا حقيقيا لوليم جيمس W.James بل كانت المنفعة الخاصة هي السائدة في الفكر البراجماتي .

و قد كان **لجيرمي بنتام** J.Bentham الفضل الأكبر في استلهام مبدأ المنفعة كأساس لعلم التشريع و حتى لعلم الأخلاق **لهلقتيوس** الذي يحمل عنوان (في الروح) الصادر عام 1769 حيث يقول **جيرمي بنتام** Bentham في كتابه (مقدمة لمبادئ الأخلاق و التشريع) An Introduction to the principales of morals and législations " لقد وضعت الطبيعة تحت حكم سيدين : الألم و اللذة ، فهما وحدهما يدلان على مايجب أن نفعله ، و يقدران ما سنفعله ، إن معيار العدل و الظلم من جهة أولى وسلسلة الأسباب و النتائج من جهة أخرى مرتبطان ببعضهما،إنهما يحكمان و يتحكمان بكل ما نقول ...و نفعل ...ونفكر..."[3]

ولهذا فان فكرة الألم و اللذة هما المحددان الرئيسيان لكل جوانب الحياة و على هذا الأساس قام الفكر البراجماتي على يد **تشارلز بيرس** Peirce 1839-1914 ومفكرين آخرين .

---

[1] - سعيد إسماعيل علي ، ***فلسفات تربوية معاصرة*** ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 198 ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1990 ،ص47 .

[2] - محمد إبراهيم مبروك ، ***المرجع سابق*** ، ص139 .

[3] جان جاك شوفاليه ، ***تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية***، ترجمة : محمد عرب صاصيلا ، ط3 ، لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 2002 ، ص193 ،194 .

*سمي بهذا الاسم سخرية من الميتافيزيقا.

ظهر هذا الفكر خلال القرن التاسع عشر كرد فعل لموجات الفلسفة المثالية، و قد اجتمع **بيرس ، وليم جيمس** لاحقا ليشكلا و مجموعة من المفكرين جماعة سمت نفسها النادي الميتافريقي * وقد تدفقت مجموعة من الأفكار خلال مختلف النقاشات التي دارت حول هؤلاء المفكرين و نتجت عنها حملة من المقالات اعتبرت أحدها البذرة الأولى للبراجماتية و المتمثل في مقال تحت عنوان كيف نجعل أفكارنا واضحة How our ideas clear to make سنة 1879 **لبيرس** Peirce .[1]

الفرع الثاني: المدرسة الوضعية (العقلية المنطقية) .

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر اضطرابات اجتماعية و تقلبات فكرية فقد سقطت أنظمة و أوضاعا دامت قرونا متتالية ،و في خضم كل ذلك ظهرت المدرسة الوضعية ، و هي عبارة عن حركة فلسفية تتميز بتشديدها على العلم و المنهج العلمي بصفتها مصدر المعرفة الوحيد كما أنها تميز تمييزا قاطعا بين عالم الحقائق و القيم و تعرب عن عدائية راسخة نحو الدين و الفلسفة التقليدية ويرى مؤيدو الوضعية أن للمعرفة مصدرين لا غير :

- العقلانية المنطقية .
- الاختبار التجريبي .[2]

وهو ما ذهب إليه **أوغست كونت** 1798-1857 حيث ينطلق من ثلاث مراحل أساسية للقانون الأساسي لتقدم البشر و هي:

المرحلة الأولى: الحالة اللاهوتية أو تسمى بمرحلة الخرافة و هي مرحلة ضرورية ككل علم .

المرحلة الثانية: الحالة الميتافريقية

المرحلة الثالثة: هي مرحلة العلم (الوضعية). [3]

يرى كونت Auguste Comte انه لنصل إلى علمية المرحلة الثالثة يجب أن نتجنب أخطاء المرحلة الثانية ، كما يجب على الفكر أن يتجرد من الغيبيات أو الأوهام التي شهدتها المرحلة الأولى في تقدم البشر .

---

[1] - سعيد إسماعيل علي ، ***مرجع سابق*** ، ص45 -47

[2] مارتن غريفيش، تيري أوكالاهان، ***المفاهيم السياسية في العلاقات الدولية*** ، دبي : مركز الخليج للأبحاث ،2008 ،ص455 .

[3] – جان جاك شوفاليه ، ***مرجع سابق*** ،ص122.

يركز **كونت** على فكرتي الواقع و النافع لا غير ليجعلهما أساس الوضعية .[1] فالواقع شرط لقيام علماء الاجتماع مقام رجال الدين و يتم ذلك بالاعتماد على العقل وحده و لهذا ننتقل من الحالة الميتافيزيقية إلى مرحلة الدين الوضعي حيث يقوم هذا الأخير على الانتقال من الواقع إلى النافع إذ يتم ذلك من خلال نفي تعاليم الأديان السابقة التي تتلخص في الله و الخلود إلى فكرة واحدة و شاملة هي الإنسانية و التي يعتبرها كونت الفكرة الوضعية المتطورة لفكرتي الله و الخلود و بذلك تلغي فكرة العقائد الدينية الغيبية من الحياة الإنسانية .

الفرع الثالث :المدرسة العضوية (نظرية التطور)

قام الباحث الإنجليزي **تشارلز داروين** Charles Robert Darwin 1809 – 1882 بنشر كتابه المشهور أصل الأنواع On the Origin of Species و ذلك سنة 1859[2] ليحدث ضجة في أوروبا لم يحدثها أي كاتب في التاريخ الحديث .

ترجع نظرية التطور لدى داويين أصل الإنسان إلى جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع قبل ملايين السنين و القرد هو مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها .

يعتبر أغلب المفكرين أن نظرية التطور من بين أهم أسباب انتشار العلمانية حيث أدت إلى انهيار العقيدة الدينية و نشر الإلحاد في أوروبا حيث قال أحد العلماء الغربيين في النظرية الداوييينية " بأن أبوها الكفر و أمها القذارة ".[3]

خلفت أفكار **داروين** حول التطور آثارا على كافة المجالات الفكرية و العلمية وحتى الاجتماعية ، و دليل ذلك تطورية **هربت سبنسر** (1820 – 1903) الذي تبنى فيها الفكرة الأساسية للتحولية الداروينية فعرف التطور على أنه نشوء شيء جديد مرحلة بعد مرحلة و هذا ما لاحظه ستالين في كتابه المادية الجدلية و المادية التاريخية فيقول

---

[1] – سفر عبد الرحمان الحوالي ، ***مرجع سابق*** ، ص 378 ..

[2] - إميل برهييه ،***تاريخ الفلسفة : الفلسفة الحديثة 1850 –1945*** ،ترجمة : جورج طرابيشي، لبنان : دار الطليعة للطباعة والنشر 1987 ،ص20 .

[3]- بندر بن محمد الرباح ، ***العلمانية : أسباب ظهورها ،آثارها ،عوامل انتقالها إلى العالم الإسلامي ، ابرز دعاتها،*** دراسة غير منشورة،ص12 .

انه يوجد تجدد و تطور حيث هناك دائما شيئ صاعد و متطور و شيء متحلل يموت وحين يصل الشيء الصاعد و المتطور إلى النضوج ويختفي نهائيا حينئذ ينشأ شيء جديد .[1]

"الداروينية الاجتماعية" Darwinism فلسفة علمانية شاملة، عقلانية مادية، تؤكد وجود قانون طبيعي واحد ، يسري على كل الظواهر. تفكك الإنسان باعتباره جزءا خاضعا للطبيعة المادية، ضمن نظام كوني لا مرجعية له خارجه، وتستبعد الخالق من المنظومة المعرفية والأخلاقية، أسسها البريطاني **هربرت سبنسر** ونقلت نظرية داروين من تطور الكائنات الحية إلى تطور الطبقات والمجتمعات .

كان **هربت سبنسر** هو من قال بمصطلح "البقاء للأصلح"، فرسخ مفهوم الارتقاء والتطور بأبعاد اجتماعية، لينتج علم الاجتماع الحديث الداروينية الاجتماعية، فألحقت أفكاره أضرارا بالفهم الدقيق للنظرية، وكان أكثر الأمور إضرارا توسيع نطاق الفكرة للعلوم الأخرى .[2]

فذهب دعاة الداروينية الاجتماعية إلى أن فرضية داروين نظرية وحقيقة علمية، ثم نقلوا هذه الفرضية من عالم الطبيعة إلى عالم الإنسان، وقرروا أن العلاقة بين الكائنات الحية في الطبيعة؛ لا تختلف عن العلاقات بين الأفراد داخل المجتمعات الإنسانية، ولا عن العلاقات بين المجتمعات والدول ،وعلى هذا تم استخدام النموذج الداروينى لا لتفسير الطبيعة / المادة وحسب، وإنما لتفسير حياة الإنسان الفرد في المجتمعات، وفي تفسير العلاقات بين الدول والمجتمعات على المستوى الدولي. وقد وظفت الداروينية الاجتماعية في تبرير التفاوت بين الطبقات داخل المجتمع الواحد، وفي الدفاع عن حق الدولة العلمانية المطلقة . ويمكن القول بأن الداروينية هي النموذج المعرفي الكامن وراء معظم الفلسفات العلمانية الشاملة، إن لم يكن كلها. [3]

ويمكن تلخيص الأطروحات الأساسية في الداروينية الاجتماعية على النحو التالي:

---

[1] - موريس كونفورث ، ***مدخل إلى المادية الجدلية*** ،ط3 ،ترجمة :محمد مستجير مصطفى ،لبنان :دار الفرابي ،1990 ،ص97 .

[2] – كريم حسنين إسماعيل ،***الخلق بين العنكبوتية الداروينية والحقيقة القرآنية*** ،مصر : دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع،2001 ، ص 112

[3] - عبدالوهاب المسيري ، ،***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق***،ص278 .

1 -كل الأنواع العضوية ظهرت من خلال عملية طويلة من التطور، وهي عملية حتمية شاملة تشمل كل الكائنات، وكل المجتمعات في المراحل التاريخية كافة.

2 -العالم كله في حالة تطور دائم، وهذا التطور يتبع نمطا واضحا متكررا، رغم أن التطور قد يكون بطيئا وغير ملحوظ أحيانا، وقد يأخذ شكل طفرة فجائية واضحة أحيانا أخرى.

3 -تتم عملية التطور من خلال صراع دائم بين الكائنات والأنواع، فالصراع دموي حتمي، وهو صراع جماعي لا فردي.

4 -السبب الذي يؤدي إلى تغير الأنواع هو الاختيار الطبيعي، الذي يؤثر في جماعات الكائنات العضوية، ويترك عليها آثارا مختلفة.

5 -الكائن أو النوع الذي ينتصر على الكائنات والأنواع الأخرى، ويحقق البقاء المادي لنفسه، يثبت بالتالي أنَّه أرقى من الأنواع الأخرى، إذ حقق البقاء على حسابها، فبقي هو، بينما كان مصيرها الفناء.

6 -تحقق الكائنات البقاء إما من خلال التكيف (البراجماتي) مع الواقع، فتتلون بألوانه وتخضع لقوانينه، أو تحققه من خلال القوة وتأكيد الإرادة (النيتشوية) على الواقع، والبقاء من نصيب الأصلح القادر على التكيف، والأقوى القادر على فرض إرادته، ومن أشكال التكيف الانتقال من التجانس (البسيط) إلى اللاتجانس (المركب).

7 -مهما كانت آلية البقاء، لا علاقة لها بأية قيم مطلقة متجاوزة، مثل الأمانة أو الأخلاق أو الجمال، فالبقاء هو القيمة المحورية في المنظومة الداروينية، التي تتجاوز الخير والشر.

8 -النوع الذي ينتصر يورث الخصائص التي أدت إلى انتصاره (سر بقائه) إلى بقية أعضاء النوع، بمعنى أن التفوق يصبح عنصرا وراثيا.

9 -هذا يعني استحالة وجود مساواة مبدئية بين الأنواع، أو بين أعضاء الجنس البشري.

10 - مع تزايد معدلات التطور، تصبح هناك كائنات أكثر رقيا من الكائنات الأخرى بحكم بنيتها البيولوجية، ومن ثم يصبح للتفاوت الثقافي أساس بيولوجي حتمي .[1]

---

[1] - ***المرجع نفسه*** ،ص 279 ، 280

المطلب الثاني : النظرية الماركسية

انقسمت العلمانية إلى تيارين أساسيين :

- تيار مؤمن بوجود خالق للكون والإنسان، لكنه يقف بنطاق عمل هذا الخالق عند مجرد الخلق، فيحرر الدولة والسياسة والاجتماع من سلطان الدين ، مع بقاء الإيمان الديني علاقة خاصة وفردية بين الإنسان وبين الله، ومن فلاسفة هذا التيار **هوبر** و**لوك** و**روسو**.
- تيار مادي ملحد طمع إلى تحرير الحياة من الإيمان الديني، وكانت الماركسية أبرز إفرازات هذا التيار.

حيث مهدت جملة من التراكمات التاريخية و الأفكار الاجتماعية و السياسية لظهور ما يسمى بنظرية ماركس ،و من بين تلك التراكمات ظهور مايسمى بالمذهب الفردي في أواخر القرن الثامن عشر و الذي يجعل الوظيفة الرئيسية للدولة حارسة حيث تطلق النشاط الفردي أقصى حدوده و تحددت نشاط السلطة الحاكمة في نطاق الأمن الداخلي و الخارجي لكن بتطور الظروف و نظرا لتطورات الجماعات في العصر الحديث اتضح تعذر الأخذ بهذا المذهب و قصوره على ملاحقة تطور المدينة الحديثة لما ألقته من أعباء جديدة و أمور عامة كثيرة تهم الجماعة كلها و التي يعجز الأفراد على القيام بها ، ولهذا ظهر المذهب الاشتراكي ليعطي للدولة أدوار جديدة في مختلف المجالات. [1]

الفرع الأول : مصادر الاشتراكية

ظهر الفكر الاشتراكي في الصين القديمة على لسان **كنفشيوس** في القرن الخامس قبل الميلاد ، كما نادى أفلاطون بإلغاء الملكية الخاصة بالنسبة لطبقة الحكام و المحاربين .

و في القرن السادس عشر أخرج المفكر **توماس** مور Thomas More عام 1516 مؤلفا يماثل جمهورية أفلاطون المثالية ، حيث نادى بالجزيرة المثالية التي تقوم على إلغاء الملكية الجماعية و أكد على ضرورة قيام نظام يحقق السعادة و المساواة بين أفراد الجماعة دون تمييز .[2]

---

[1] محمود سعيد عمران و آخرون ، ***النظم السياسية عبر العصور*** ، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، 1999 ، ص 387 ،388

[2] ***المرجع نفسه*** ، ص 390.

يلاحظ أن جميع تلك الأفكار الاشتراكية التي ظهرت قبل القرن التاسع عشر لم تكن مذهبا سياسيا أو اقتصاديا يقوم على أسس علمية صحيحة إلا بظهور كارل ماركس Karl Marx 1818- 1883

تعني الاشتراكية إرساء علاقات إنتاج جديدة على أساس اقتصادي جديد للمجتمع هو الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج الرئيسية .

يقول لينين Lenin" في كل ثورة اشتراكية ...تبرز في المقدمة بالضرورة المهمة الأساسية لخلق نظام اجتماعي أرقى من الرأسمالية أي زيادة إنتاجية العمل ". [1]

أدرجت الاشتراكية في التاريخ الحديث نتيجة توافر ثلاث أسباب أساسية :

أولا: تطور القوى الإنتاجية للصناعة الحديثة ، استلزم خضوع الملكية للجماعة بهدف قدرة الأنظمة السياسية من إنتاج الوفرة للجميع .

ثانيا : تحقيق درجة من التنظيم و التربية الذاتية من قبل الطبقة العاملة جعلها قادرة على أن تستولي على إدارة الإنتاج.

ثالثا: أرست النظرية الاشتراكية العلمية التي تحدد المهمة الاشتراكية و الوسائل الضرورية لأدائها . [2]

الفرع الثاني: الاشتراكية العلمية لدى كارل ماركس Karl Marx

يعد كارل ماركس Karl Marx مع شريكه فريديريك أنجلز Frederich Engels زعماء المذهب الشيوعي أو الاشتراكية العلمية فقد انطلق ماركس Marx في فكره من المراحل التي مرت بها المجتمعات الإنسانية التي عالجها هيجل حيث أعجب بطريقته المنطقية Logical Method لكنه تعارض معه في أساس أن الأفكار ليست المحددة لمصير الإنسان ، بل الحالة المادية هي التي تتحكم في مختلف الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية ، فبالنسبة **لماركس** ليس الوعي الاجتماعي هو الذي يحدد الوجود الاجتماعي بل الثاني هو الذي يحدد الأول ،و بالتالي فان فهم و تعريف أي فلسفة أو نظرية أو أيديولوجية يستلزم أولا وأخيرا توضيح الوجود الاجتماعي الذي يشكل أساسها .[3]

استوحت الماركسية أسسها الفكرية من مصادر أوروبية متعددة ومتنوعة شملت :

---

[1] - موريس كورنفورت ، م*رجع سابق* ، ص 272 - 273

[2] *المرجع نفسه* ، ص274 .

[3] جون ميلنو، *ماهو التراث الماركسي الحقيقي* ؟ تر: وحدة الترجمة ، مصر: مركز الدراسات الاشتراكية ، 1995 ، ص 7 ، 8 .

– الأساس المادي الذي استوحته من النزعات المادية الأوروبية في القرن الثامن .

– الأساس الجدلي الذي استوحته من النزعات الجدلية الإغريقية القديمة التي كانت أساسا لجدل **هيجل** في القرن التاسع عشر .

– الأساس الاجتماعي الاقتصادي الاشتراكي الذي استوحته من الاشتراكية الخيالية الأوروبية[1]

إذا كان الفكر الماركسي قد حظي بأهم تطبيقاته في التجربة السوفييتية ومن خلالها فقد تعرضت هذه التجربة للنقد من فريق من المفكرين الماركسيين مما حدا بفريق آخر منهم إلى إعادة النظر بالفكر الماركسي بقصد تطويره وتلافي سلبيات التجربة السوفييتية حيث ظهر مجموعة من المفكرين سنبرز أهمهم فيما يلي :

- **كارل كاوتسكي 1804 – 1938 م**

أوضح **كاوتسي** في مناقشته لتعريف المادية التاريخية أن المفهوم الماركسي للتاريخ لايتضمن التأكيد على الدور الحاسم للعوامل الاقتصادية فقط ، وإنما يتضمن أيضا التأكيد على دور العوامل الإيديولوجية والأخلاقية ،فالإنسان كما يرى **كاوتسكي** عاجزا على أن يكون سيد القوى الاقتصادية في المجتمع الرأسمالي مما يعني ضرورة التمييز بين الفترات التي يستطيع فيها الإنسان السيطرة على القوى الاقتصادية في هذا المجتمع والفترات التي لايستطيع فيها ذلك لأنه قد يستطيع السيطرة على هذه القوى الاقتصادية في فترات الازدهار الاقتصادي وقد يفشل في ذلك في فترات الأزمات الاقتصادية .

ويخلص كاو تسكي إلى أن الإنسانية بمجموعها لا تستطيع أن تكون سيدة القوى الاقتصادية إلا في حالة واحدة وهي الحالة التي تهيمن فيها المصلحة الجماعية على المصلحة الخاصة

لقد أبرز **هرمن بريل** بوضوح العنصرين اللذان كانا يحددان معالم الفكر **الكاوتسكي** منذ البدء وهما

– التنويرية العقلانية التي كانت طاغية على فكر الثورة الفرنسية.

– النزعة العلمية الطبيعية وهي نزعة العصر السائدة أنذاك والتي قادت **كاوتسكي** إلى الداروينية .

---

[1] عامر حسن فياض ، علي عباس مراد ، ***الفكر السياسي الحديث والمعاصر*** ، موسوعة الفكر السياسي ، ج 3 ، عمان : دار الجنان للنشر والتوزيع ،2010 ، ص117 .

ووافق على هذا **بيير سويري** الذي أكد أن كاوتسكي مثله ففي ذلك مثل العديد من المثقفين الأوروبيين في عصره ، قد سحرت لبه العلوم الطبيعية الداروينية ، وهذا مانلمسه في القسم الأول من كراسه "مصادر الماركسية الثلاث" الذي أكد أن الماركسية التي يعتنقها هي بمثابة الاستنتاج التركيبي للعلوم الطبيعية و السيكولوجية . [1]

- **أنطونيو كرامشي 1891 –1937 م**

مفكر ماركسي إيطالي تميز بتعامله النقدي مع نصوص ماركس مخالفا بذلك الكثير من الماركسيين فبقدر ما رأى كرامشي في الماركسية النظرية الوحيدة الخصبة في البحث العلمي ،واعتقد أنها أصبحت مشوبة بنزعة طبيعية ووضعية مقحمة على ماركس بطريقة جعلته يبدو وكأنه يعتبر الحقائق الاقتصادية العامل الحاسم في التاريخ ، في حين أن العامل الحاسم لديه هو الإنسان والمجتمع الإنساني المكون من أناس يتصلون ببعضهم ويخلقون عن طريق هذه الاتصالات حضارة وإرادة اجتماعية جماعية .

وأوضح كرامشي أن الاشتراكية حرية مطلقة ضد كل جمود عقائدي وكل حقيقة موحى بها وكل مخطط موضوع مسبقا .[2]

المطلب الثالث : نظرية الحداثة و ما بعد الحداثة

تتساوق نظرية العلمانية مع نظرية الحداثة فإذا كانت الحداثة على نحو ما يقول منظروها في العصر الحديث بدءا **بهيجل** و مرورا **بماكس فيبر** Max Feber و انتهاء **بهابرماس** Habermas تقوم على عقلنة المنظورات و المسلكيات الفردية وما يصاحب ذلك من عقلنة البنى العامة للمجتمع بعيدا عن مختلف التطورات السحرية و الدينية [3]، و بما أن الحداثة قرين للعقلنة، والعلمانية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالفكر العقلاني ، فالعلمانية هي قرينة الحداثة ، بالرغم من المسار التاريخي المختلف لكلا المفهومين .

الفرع الأول: تعريف الحداثة

[1] - المرجع نفسه ، ج4 ، ص ص، 103 – 105 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 113 .

[3] رفيق عبد السلام ، ***في العلمانية والدين والديمقراطية: المفاهيم والسياقات***، مرجع سابق ، ص23 .

في اللغات الأجنبية (الإنجليزية و الفرنسية) نجد أن كلمة حداثة لفظ أوروبي المنشأ ففي الإنجليزية هناك لفظان Modernity و Modernisme حيث يفرق المفكر **محمد مصطفى هدارة** في الترجمة بينهما :

1 / Modernity :تعني المعاصرة و العصرية و تعني المعاصرة في تعريفه أو تعبيره"إحداث تغيير و تجديد في المفاهيم السائدة و المتراكمة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن .

2 / Modernisme : حسب تعبيره تعني الحداثة وهي نظرية فكرية تدعو إلى التمرد على الواقع والانقلاب على القديم الموروث بكل جوانبه و مجالاته .[1]

و يعتبر **ايماويل كانت** Emmanuel Kant من أباء الحداثة فانه يؤكد في كل أعماله على شرط التنوير و الحداثة من أجل الحرية بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس و رجال الكهنوت و الكنيسة .

يلاحظ **هابرماس** ان كلمة " حديث" تجر وراءها تاريخا طويلا ذلك ان كلمة Modernus اللاتينية استعملت لأول مرة في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي لتمييز الحاضر المسيحي لتلك الفترة عن الماضي الروماني الوثني .وهناك البعض من الباحثين من يحصر مفهوم " الحداثة " بعصر النهضة.[2]

بقدر ماتوجد الحداثة في تعارض مع كل ماهو قديم بقدر ماتختزن في عملياتها احتمالات الأزمة ،فتحريك القديم يشكل خلخل للموجود ، ويعتبر أحد الباحثين أن هنا ثلاث أزمات ميزت مسيرة الحداثة منذ ظهورها طيلة القرنين الماضيين ، الأزمة الأولى برزت في أواخر القرن الثامن عشر مع الثورة الفرنسية التي جسدت المثل الحديثة في مجال السياسة ، أما الأزمة الثانية فإنها ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر حيث تم الإعلان عن بداية انهيار العقلانية والليبرالية أمام تصاعد حركة الجماهير وظهور الفاشية والاشتراكية ، في حين تتمثل الأزمة الثالثة في سقوط الكثير من الإيديولوجيات الجماهيرية وكانت بدايتها مع أواخر الستينات من هذا القرن ومازالت لم تنتهي تعبيراتها.[3]

تقوم نظرية الحداثة على ثلاث مفاهيم أساسية :

1 -**الذاتية** إن مفهوم الذاتية هو أول المفاهيم التي شكلت قاعدة الحداثة يول فيتو " الحداثة هي أولوية الذات ، انتصار الذات ، ورؤية ذاتية للعالم " بحيث أضحى إنسان العصر الحديث يدرك نفسه كذات مستقلة عكس

---

[1] عدنان علي رضا النحوي، ***نظرية تقويم الحداثة*** ، السعودية : دار النحوي للنشر والتوزيع ، 1992 ص26 .

[2] - محمد نور الدين أفاية ،***الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس*** ، ط2 ، المغرب : إفريقيا الشرق، 1998 ، ص121، 122

[3] - المرجع نفسه ،ص109 .

إنسان القرون الوسطى التي امتازت ذاتيته بالضبابية و بالتالي أصبح العالم وجودا بعد أن تناولته يد الإنسان من خلال القياسات الكمية ،وقد شارك في ذلك جملة من المفكرين الطبيعيين والاجتماعيين مثل ديكارت و هيوم ،غاليلو ونيوتن .

2 -**العقلانية** ونقصد بها المبدأ القائل " لكل شيء سبب معقول " وقد انتقل الإنسان من دور المتأمل إلى دور الملاحظ و الباحث ، ومن خلال ذلك ظهر مايسمى بالعلم الحديث الذي قام على أساس الملاحظة والتجربة وإلغاء كل الغيبيات والميتافيزيقا في تفسير مختلف الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسياسية .

3 -**العدمية** إذا كان **ديكارت** هو أول من صاغ مبدأ الذاتية و **لايبنتز** عرض مبدأ العقلانية فإن **نيتشه** هو أول من ذكر مبدأ العدمية ويقصد به أنه لا قيمة للقيم أي ماكان في العصور السابقة مبادئ راسخة ثابتة ومثلا سامية مع مجيء عصر الحداثة أصبح عدما ، والحقيقة أن حركة التنوير سبقت نيتشه في تقرير مبدأ العدمية وذلك من خلال عن أساس المثل الدينية والقيم الأخلاقية والمبادئ السياسية حيث أفقدتها قيمتها لدرجة تفاهتها .[1]

الفرع الثاني :مابعد الحداثة

إن كلمة مابعد الحداثة Postmodernism تشير إلى نوع من الثقافة المعاصرة ، وهو يختلف عن مصطلح مابعد التحديث Postmodernity والذي يعني فترة زمنية محددة ، إن فكر مابعد التحديث هو أسلوب فكري يتشكك في المفاهيم التقليدية للحقيقة ، العقل ، الهوية و الموضوعية وفي فكرة اتجاه العالم نحو التقدم والتحرر ، فهو عبارة عن مجموعة من الثقافات الغير موحدة أو التفسيرات التي يتولد عنها درجات من التشكك في موضوع الحقيقة والتاريخ والمفاهيم ومعطيات الطبيعة وثبات الهويات ، والبعض يرجع ذلك إلى أسباب مادية التي نتجت عن التحول التاريخي في الغرب .[2]

يكتسي القول بمفهوم مابعد الحداثة مظاهر متعددة كما يشكل بالإضافة إلى ذلك ،الموضوع المشترك لتيارات فكرية متعددة ، تقول **كارول نيكلسون** :"لربما جاز لنا ان نعتبر ان أطروحة مابعد الحداثة في الفلسفة بمعناها الواسع

[1] -محمد الشيخ ، ياسر الطائري ، ***مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة : حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر*** ، بيروت : دار الطليعة ، 1996 ص12 - 14

[2] -تيري ايجلتون ، ***أوهام مابعد الحداثة*** ، ترجمة :منى سلام، القاهرة : مطابع المجلس الأعلى للآثار، 2000 ، ص 7.

،نقصد انها تشمل عددا من المقاربات النظرية نذكر من بينها مابعد النزعة البنيوية والنزعة التفكيكية والفلسفة مابعد التحليلية والنزعة البرجماتية الجديدة ، وهي مقاربات تسعى إلى تجاوز التصورات العقلية ومفهوم الذات العاقلة باعتباره أساس التقليد الفلسفي الحداثي الذي خط معالمه الأولى ديكارت وكانط"[1]

ويمكن تلخيص أهم مميزات الحداثة فيما يلي :

- نفي الدولة بوصفها نموذجاً للهوية الوطنية.
- إلغاء الأنظمة الحزبية وأنشطتها السياسية بوصفها منافذ حصرية وتصورات جمعية.
- الترويج للنسبية الأخلاقية.
- معارضة السلطة أو الدولة الحديثة المركزية.
- معارضة النمو الاقتصادي المؤدي إلى تلويث البيئة.
- معارضة إلغاء الثقافات المتعددة لصالح ثقافة مهيمنة.
- التشكيك بقدرات العقل الإنساني ورفض العقلانية، وأيضاً رفض واسع وشامل للتنوير.
- الاعتقاد بنهاية صراع الطبقة العاملة، واستحالته إلى داخل قلب النظام الرأسمالي.
- الإعلان عن الدخول في مرحلة جديدة هي ما بعد التاريخ.

الفرع الثالث :العلمانية والحداثة لدى ماكس فيبرMax Feber

يعد **فيبر** أهم الآباء المؤسسين لما بات يعرف بعلم الاجتماع الثقافي والديني ، كما أن مقاربته لإشكالية العلمانية والحداثة كانت ومازالت تتمتع بفعالية واسعة كبيرة وتأثير واسع في الأوساط الفكرية والفلسفية الغربية ، و يتناول هذا الجزء من الدراسة بالتحليل قراءة عالم الاجتماع الألماني **ماكس فيبر** لموضوع العلمانية وذلك نظرا لما تركته أعماله من تأثيرا واسعا منذ بدايات القرن الماضي على الصعيدين الفكري والأكاديمي ولاسيما في الغرب ، إن ما قدم **فيبر** من أطروحات حول قضايا العلمانية والحداثة وعالم الأديان مازال يحظى باهتمام بالغ في مختلف الدوائر الفكرية والبحثية وحتى في الأوساط السياسية .

لعل أكثر تعاريف العلمانية شمولا واسعا ماصاغه **فيبر** ، ذلك أنه يعطي العلمانية دلالة ثقافية عامة ، يدعوها نزع الطابع السحري عن العالم ، قاصدا بذلك تجريد العالم من جميع أشكال القداسة والعلوية ، ثم تحويله في نهاية

[1] - ***المرجع نفسه*** ، ص 16.

المطاف إلى مجرد معادلات رياضية وفيزيائية قابلة للتوظيف الذرائعي والأداتي من قبل الإنسان الحديث المتعطش للسيطرة والنجاعة العملية.

العلمانية في صيغتها العامة وعلى نحو مافهمها فيبر تعني في بعد من أبعادها الأساسية تغليب مافي العالم من قيم مادية دنيوية على مافي العالم الآخر من وعود غيبية أخروية ، أو هي على حد تعبيره ، انتصار العقلانية القاصدة (أي العقلانية القاصدة للنجاعة والضبط العملي) على العقلانية الجوهرية الموجهة بالغايات والأهداف الدينية . ورغم أن مايسميه فيبر بالعقلانية القاصدة أو الأداتية قد تشكل في رحم مايسميه العقلانية الجوهرية (أي العقلنة الدينية) إلا أنها مع ذلك تنحو تدريجيا نحو الاستقلال التام عن أي موجات دينية أو غائية وجودية ، مكتفية بالتمركز حول الوسائل والإجراءات العملية الناجعة .[1]

والعلمانية من وجهة نظر فيبر تقترن بمظهرين أساسيين :

الأول : تفكك المنظور التوحيدي والشمولي للكون على نحو ماكانت تصوره الديانات والعقائد الكبرى لصالح منظورات جزئية ذات مرجعيات متعددة ومتضاربة كل واحدة منها تستقل بأهدافها الخاصة ووسائل عملها المناسبة ، فالعالم الحديث كما يراه فيبر يشبه العالم الإغريقي القديم حيث كانت الآلهة تخوض حروبا طاحنة فيما بينها بغية الانفراد بالسيطرة على مصير العالم والتحكم بأقدار البشر ، فكما أن عالم الإغريق القديم بالغ الضراوة والصراع بين الآلهة ، فكذلك العالم الحديث ، مع فارق رئيس هو أن آلهة العصر الحديث ، كما يقول فيبر هي ذات طبيعة مادية اجتماعية ، وليست آلهة سحرية أسطورية . ويخلص فيبر من كل ذلك إلى القول أن الخيارات الأخلاقية تصبح ضمن هذه الأوضاع الجديدة غير خاضعة لمقاييس موضوعية مشتركة تضمنها الكتب المقدسة أو وحدة الدين أو العقيدة ، بل هي مجرد خيارات فردية من طبيعة نسبية أو منظورية كما قصدها **نيتشه** ، فمع تراجع بنى الوعي وغياب وحدة المرجعية المشتركة تصبح القيم الأخلاقية شديدة التعدد والتضارب فيما بينها ، وهكذا يتجه الإنسان الحديث إلى صنع إلهه أو شيطانه الخاص كما يقول فيبر على هدي تأويلاته وقراءاته الخاصة دونما الحاجة إلى أي سلطة دينية.

الثاني: إن التعدد في مستوى الحقول الثقافية يقابلها تعدد مواز على مستوى الحقول الاجتماعية التي يحصرها فيبر في ثلاثة رئيسية هي : الحقل المعرفي الإدراكي على نحو مايتجسد في المؤسسة الجامعية والبحثية ، ثم المجال الاقتصادي والسياسي كما يتجسد أساسا في نظام السوق الرأسمالي وبيروقراطية الدولة الحديثة ، ثم الحقل الجمالي والفني على نحو

---

[1] - رفيق عبد السلام ، ***في العلمانية و الدين والديمقراطية المفاهيم والسياقات*** ، ***مرجع سابق*** ، ص 63

مايتجسد في المتاحف العامة والتعبيرات الفنية والإبداعية وتتسم هذه الحقول الثلاثة في فيما يرى فيبر بعلاقة غير وفاقية ولا متكافئة فيما بينها ، وهذا مايجعل المجتمع الحديث يتسم بشدة الصراع وحدة الانقسام على نفسه .

ويخلص **فيبر** أن الحداثة تستلزم ضرورة طغيان الحقل الاقتصادي والضبط البيروقراطي على باقي الأنظمة الاجتماعية إلى جانب شيوع قيم الربح والمردودية العملية على حساب القيم الأخرى علمية كانت أم فنية ، تشريعية أم دينية وهذا مايجعل الحداثة قرينة للسيطرة والتحكم في شروط الوجود الإنساني وما يجعل من العقلنة أساسا في فكر الإنسان .[1]

لقد جسد فيبر في أطروحته العلمانية والحداثة ، العلمنة بكل جوانبها النظرية المذكورة آنفا حيث نجد أن أفكاره تقوم على أفكار المقاربات النظرية التي سبق التطرق إليها حيث :

– انطلق من قناعة مفادها عجز الدين – مهما كانت درجة عقلنته وتماسكه الداخلي – وهو ذهب إليه الفكر الماركسي سابقا ، خصوصا في تشديده على عجز الدين عن مغالبة إكراهات البنى الاقتصادية والاجتماعية إلا أن فارقا بين فيبر وسلفه ماركس يبقى متمثلا في كون ماركس لا يرى في الدين سوى ظاهرة وهمية ، في حين أن فيبر يمنح الدين دورا ما في تغيير الواقع ، وتحديد وجهته لبعض الوقت ، وإن كان دورا مؤقتا لا يقوى على مسايرة الواقع الذي كان له مساهمة في صنعه.

– تغليب القيم الدنيوية المادية على القيم الروحية والدينية ، وهذا ماوجدناه في النظرية الداروينية والنظرية الوضعية لدى **أوغست كونت** إلى جانب ذلك النظرية الماركسية ونظريتي الحداثة و مابعد الحداثة.

– يعتمد على الفكر البرجماتي للتحكم في عالم الطبيعة والوجود الإنساني وهذا ماذهبت إليه المدرسة البرجماتية من خلال **وليام جيمس** W.James الذي أكد على تلبية حاجات الفرد بلا مبالاة في النتائج التي قد تصيب الآخرين ، و بالتالي فان فكرة المنفعة الخاصة هي الأساس الذي يجب أن تقوم عليه العلاقات الإنسانية .

خلاصة الفصل الأول:

يعد مفهوم العلمانية من أكثر المفاهيم تعقيدا و إثارة للحوار و الجدل وقد اتخذ هذا المفهوم صورة سلبية في مجتمعاتنا العربية و الإسلامية و أثار هذا المفهوم من ناحية أخرى في التجربة الغربية جدلا واسعا و لا سيما في عصري التنوير و

[1] ***المرجع نفسه*** ، ص 66 ،67 .

الحداثة في أوروبا، وشكل أحد محاور الصراع بين الاتجاهات التنويرية من جهة و الثقافية البابوية الكنسية من جهة أخرى .

و قد انتهى هذا الصراع بظهور اتجاهات فكرية تنويرية كان نتاجها علمانية رائدة في مجالات الحياة الاجتماعية و السياسية المختلفة و قد أصبحت العلمانية واقعا حيا تتم ممارسته بصورة طبيعية في المجتمعات الغربية لاسيما فرنسا و انجلترا .

و يمكن تلخيص تسبب الكنيسة في نشأة العلمانية في الأتي :

– عقيدة منحرفة : أن الله ثالث ثلاثة، و أنه هو المسيح ابن مريم.

– حصر الدين في العبادة بمعناها الضيق فقط، و في العلاقة الروحية بالخالق.

– نفوذ رجال الدين على الملوك و عامة الناس ، بحيث لا يقع تصرف منهم فيكون صحيحا إلا عن طريق رجال الدين ، و لو كان ذلك وفق توجيه رباني صحيح و لمصلحة البشر لم يكن فيه إشكال ، لكن كان لمصلحة رجال الدين .

قيام رجال الدين بالتشريع من عند أنفسهم تحليلا و تحريما حسب أهوائهم و مصالحهم مثل: تحليل الخمر و لحم الخنزير، و إبطال الختان، و تحريم الزواج على الإكليروس .

– استغلال رجال الدين لمكانتهم في فرض عشور أموال الناس و تسخيرهم للخدمة في أرض الكنيسة، و ما يعرف بصكوك الغفران

– الفساد الخلقي بكل أنواعه كان يمارسه رجال الدين .

– مناصرة الكنيسة للمظالم السياسة و الاقتصادية و الاجتماعية الواقعة على الناس .

كل هذه الأسباب أدت إلى نبذ أوروبا للدين و إقبالها على العلمانية باعتبارها مخلصاتها مما عانته من سطوة رجال الدين ،و سببا للانطلاق و التحرير من كل الثوابت الدينية المححفة و التي وضعتها الكنيسة بغية خدمة مصالحها المختلفة .

كما ساهمت جملة من المقاربات النظرية في ترسيخ الفكر العلماني والتي ظهرت بداية من عصر النهضة في أوروبا وخلال عصر التنوير الذي سادت فيه الأبحاث العلمية وتم التركيز في هذه الفترة على الماديات بدلا من الغيبيات والروحانيات التي كانت سائدة في العصور الوسطى التي تميزت بالسيطرة الكنسية على كافة أوجه الحياة الأوروبية .

فقد بلور الفكر الداروينى من خلال نظرية التطور الاجتماعية التي تبناها هربت سبنسر العلمانية في قالب الإلحاد وأبعد كل ماهو ديني عن مناحي الحياة المختلفة وقد ساعدت أيضا المدرسة البرجماتية بقيادة وليام جيمس W.James في تغليب المنفعة الخاصة على العامة ، وأكدت الوضعية من جهة أخرى من خلال **أوغست كونت** على العقلانية والابتعاد على كل القيم والأخلاق.

ومن جهة أخرى حاولت الماركسية من خلال ماركس ومفكرين كثر جاءوا بعده مثل **أنطونيو غرامشي** في بلورة الفكر العلماني في إطار منظر ، وهذا ماتطرقت إليه أيضا نظريتي الحداثة وما بعد الحداثة .

الفصل الثاني

التأثيرات السياسية والمرجعيات الفكرية للعلمانية في منطقة المغرب العربي

في نهاية القرن التاسع عشر توازع المفكرون والاصطلاحيون العرب سؤالا رئيسا عنوانه:"لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم ؟" عثر البعض على الجواب ووجد أن الابتعاد عن الدين والتهاون في قضاياه هو السبب في ذلك، وعزا آخرون السبب في خلاف المسلمين وتفرق شملهم، واستبداد حكامهم وجهل شعوبهم التي أصبحت تعلق نجاحها أو فشلها بشماعة القدرية والعالم الآخر .[1]

وعلى هذا الأساس ظهرت في العالم العربي تيارات فكرية متناقضة الطريقة، موحدة الهدف إذ يكمن هذا الأخير في محاولة النهوض بالأمة العربية والإسلامية لتنافس نظيراتها الغربيات في التقدم والحضارة.

ورد هذا الفصل تحت عنوان المرجعيات الفكرية والسياسية للعلمانية في منطقة المغرب العربي وقسم إلى ثلاث مباحث حيث يعرض المبحث الأول جغرافيا المنطقة المغاربية ومن بينها تونس نموذج الدراسة ،كما يدرس أهم المقومات المجتمعية والاقتصادية لدول المنطقة ،كما يتطرق المبحث الثاني إلى المحددات الرئيسية لتبني الخيار العلماني في منطقة المغرب العربي والتي تم تحديدها في أربع محددات أساسية هي : من الناحية الداخلية عاملي الاستعمار والنخبة الفرانكفونية أما العوامل الخارجية فقد برزت في عاملين أساسيين هما اتفاقيات الشراكة المغاربية الأوروبية هذا من جهة ومن جهة أخرى سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة.

وفي المبحث الثالث تم التطرق إلى أهم التيارات الرئيسية في المنطقة المغاربية وقسمت إلى تيارين أساسيين هما:

- التيار التنويري العلماني .
- تيار الإصلاح الديني .

المبحث الأول : المكانة الجيوسياسية لمنطقة المغرب العربي

المطلب الأول: الحقبات التاريخية للأقطار المغاربية

[1] ماهر الشريف، إسلام الكواكبي ، ***تيار الإصلاح الديني و مصائره في المجتمعات العربية*** ، دمشق : المعهد الفرنسي للشرق الأوسط ، 2004، ص 214.

الفرع الأول: الموقع الاستراتيجي لمنطقة المغرب العربي

يقع المغرب العربي* الكبير شمال القارة الإفريقية، بين خطي العرض 15° و37 °شمالا، وخطي الطول 17° و25° شرقا، وهي منطقة جغرافية تضم خمس دول) ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا (وتبلغ مساحتها 6 ملايين كم^2). يحد المغرب الكبير شمالا البحر المتوسط، وجنوبا مالي والتشاد والنيجر والسنغال، وشرقا مصر والسودان، وغربا المحيط الأطلسي .تختلف الأشكال التضاريسية ببلدان المغرب العربي الكبير ما بين السهول والجبال والهضاب والصحارى، كما تتعرض المنطقة لتيارات مناخية مختلفة قادمة من المحيط الأطلسي ومن الصحراء الكبرى ومن القطب الشمالي. وللمغرب العربي أهمية كبير ففي الحرب العالمية الثانية استطاعت الجيوش البريطانية الأمريكية غزو إيطاليا عن طريق تونس وجزيرة صقلية ، ومن ثم أصبح من الممكن لأي قوة أن تعترض الطريق البحري في حوض البحر المتوسط إذا كانت لديها أعداد كافية في تونس والمغرب أو الجزائر ، كما لا ننسى ميناء طنجة وهو المقابل لجبل طارق ميناء مغربي .

وصلة الجناح الغربي من الوطن العربي بالجناح الشرقي ترجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد عندما وصل الفينيقيون على المغرب من سواحل الشام ، وانشئوا المراكز التجارية ، ونشروا الحضارة الفينيقية واللغة الفينيقية بين سكان المغرب ، كما علموا البربر والسكان الأصليين الزراعة و التجارة .

ولعب المغرب العربي دورا كبير في التاريخ بسبب موقعه الجغرافي ، فهو يقع في أفريقية ولكنه قريب من أوروبا ، لا يفصله عنها إلا مضيق جبل طارق ولا يزيد اتساعه على 13 كيلو متر ، كما انه يقترب في طرفه الشرقي جزيرة صقلية ، ولا يزيد اتساع هذا المضيق على 14 كيلو مترا ، وبذلك عبرت الهجرات السلمية منها والحربية هذه المنطقة من الشرق إلى صقلية أو إلى الأندلس ، ووصلت الهجرات العربية إلى أوروبا عن طريق المغرب سواء إلى صقلية أو إلى الأندلس ولازال في اسبانيا إلى اليوم مايقرب من 700 علم جغرافي تحمل الأسماء العربية ، ولذلك أصبح المغرب بوحداته الثلاثة منطقة التقاء يتلقي فيها العالمان الأوروبي والإفريقي . [1]

---

[1] - محمد عبد الغني سعودي ، ***الوطن العربي*** ، القاهرة : مكتبة الانجلو مصرية ، 2006 ، ص 23 ، 24 .

* المراد بلفظ المغرب هو كل مايقابل المشرق من بلاد ، وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحيد مدلوله ، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة غلى إسبانيا الإسلامية (الأندلس) وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر البيض المتوسط مثل صقلية ، وجنوب إيطاليا ، وجزيرتي سردينيا وقورسيقا ، وجزر البليار أو الجزر الشرقية ويذهب فريق آخر مثل المؤرخ الأندلسي ابن سعيد المغربي إلى اعتبار مصر أيضا ضمن مجموعة البلاد المغربية باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة الغربية في الفترة الإسلامية الأولى.

وتبلغ المساحة الإجمالية للمغرب العربي نحو ستة ملايين كيلو متر مربع، أو 45% من مساحة العالم العربي و 4.6% من مساحة دول العالم. أكبرها الجزائر (2.38 مليون كم 2) وأصغرها تونس 163 ألف كم2 .

تبدو أهمية المغرب العربي أيضا لعالم المحيط الأطلنطي فقد كان هذا المحيط يمثل في وقت ما بحرا غير مطروق ، ولكن بعد أن تم الكشف عن العالم الجديد أصبح مركزا للنشاط التجاري ، وبرزت أهمية سواحل المغرب كمراكز إستراتيجية وقواعد ومحطات للسفن بين العالم القديم والعالم الجديد .

وبظهور الذهب الأسود في المغرب العربي فمنطقة المغرب العربي هي الأولى من حيث الاحتياطي العالمي ، بها أكثر من نصف هذا الاحتياطي ، كما كانت الأولى من حيث الإنتاج العالمي لأول مرة عام 1961 ، وعاد الموقع الجغرافي المتوسط مرة أخرى ليؤكد أهميته في عملية توزيع البترول ،فإذا تركنا العالم الجديد جانبا نجد أن الوطن والعربي بما فيه المنطقة المغاربية هو المخزن البترولي الرئيسي في العالم القديم ، وتميز هذا المخزون بموقعه المتوسط بين زبائنه الثلاث الكبار ، أوروبا وآسيا وأفريقية . وقد عمل كل من المعسكرين السابقين حيث عمل كل معسكر على إبعاد قوة الآخر عنه ، فالبنسبة للمعسكر الغربي نجد أنه منطقة بترولية من الدرجة الأولى ، كما انه يسهل الوصول عن طريقها إلى مراكز المواد الخام ، ومنها الاقتراب من حقول البترول من الكومنولث الروسي ، وبالنسبة للمعسكر الشرقي كان منطقة يسهل الوصول إليها عن طريقها إلى المياه الدافئة ، كما أنها طريق إلى البترول العربي ، وإذا أمكنه الوصول إلى المنطقة خاصة إلى شمال إفريقيا أمكنه أن يضع الغرب فكي كماشة.[1]

تضاريس المغرب العربي :

تنقسم إلى الآتي :

1 – السهول الساحلية : تكون غالبا ضيقة ، وربما تنعدم نظرا لامتداد الجبال نحو البحر

أ –السهول الساحلية لحوض البحر الأبيض المتوسط : وهي خصبة ومكتظة بالسكان على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط (سهول ليبيا وتونس ، والمغرب الشمالي)

ب–السهول المطلة على المحيط الأطلسي : تمتد من طنجة حتى الجنوب ويبلغ طولها 50 كلم .

---

[11] - ***المرجع نفسه*** ، ص 24 ، 25 .

2- الجبال : و المتمثلة في جبال الأطلس التي تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ، ومن ساحل المحيط الأطلسي في الغرب إلى الرأس الطيب بتونس ، يزيد ارتفاعها أحيانا عن 4000 م ، بينما لا يزيد عن 2000م في الشرق ونذكر منها :

- أطلس التل وتعرف بالمغرب .
- أطلس الصحراء أشهرها القصرين في تونس ،وتبسة والأوراس ، أما في المغرب فتتكون من ثلاث سلاسل متميزة :
  - الأطلس الأوسط يمتد من وادي أم الربيع حتى ممر تازة ، يراوح ارتفاعها بين 2000 و3000 م وتشتهر بينابيعها.
  - الأطلس الأعلى يمتد على مدى 600 كلم ، ويصل عرضه إلى 120 كلم ،وأعلى ارتفاع له هو جبل طوبقال بالمغرب حيث يصل إرتفاعه إلى 4165 م .
  - الأطلس الداخلي يقع بين وادي السوس في الشمال و وادي دراع في الجنوب ويبلغ أعلى ارتفاعه 3304 م .[1]

[1] – كمال موريس شربل ، ***الموسوعة الجغرافية للوطن العربي*** ، بيروت : دار الجيل ، 1998، ص 183 ، 184 .

خريطة المغرب العربي

http://www.aljazeera.net/mritems/images/2001/1/26/image_map341_4.jpg

يشتمل المغرب العربي على خمس دول هي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، ودولة متنازع عليها هي الصحراء الغربية، وذلك على عكس دول المشرق العربي العديدة. ومن الناحية الديموغرافية نجد أن عدد سكان المغرب العربي بلغ 88 مليون نسمة وذلك حسب إحصائيات سنة 2009 حيث يتباين عدد السكان في بلدان المغرب العربي وتعد الجزائر أكبر البلدان سكاناً (35 مليون نسمة) بالمنطقة يليها المغرب (31 مليون نسمة) ثم تونس (10 ملايين) وليبيا (7 ملايين) وموريتانيا (3 ملايين).[1] غالبية سكان بلدان المغرب يدينون بدين الإسلام، وهم من السنة على مذهب الإمام مالك وهذا الأمر يعتبر من أهم أسباب تقوية الروابط بين البلدان المغاربية حيث لا تباين يذكر في المرجعية الدينية، وهناك تواجد بسيط لمسلمين يتبعون المذهب الأباضي، وكون أن الغالبية العظمى من السكان مسلمين فإن هذا الأمر جعل الثقافة الغالبة في المغرب المغربي أساساً هي الثقافة الإسلامية حيث يشكل المسلمون في أغلب بلدان المنطقة نسبة تزيد عن 97.% . وأول سكان المنطقة هم :

البربر : من أصل حامي ،سكنوا البلاد العربية قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة يصل عددهم إلى حوالي 8 ملاين نسمة .[2] وهم يختلفون عن الامازيغ، فهم من نسل بر بن قيس بن عيلان، ولكن الأمازيغ هم من نسل مازيغ بن كنعان.

[1] - التقرير العربي الاقتصادي الموحد لسنة 2009 ، ص 312.

[2] - كمال موريس شربل ، ***مرجع سابق***،ص 19

جدول توضيحي:رقم01

المساحة والكثافة السكانية لدول المغرب العربي

الدولة	إحصائيات 2009	معدل النمو % 2009/2008	المساحة (كم²)	الكثافة السكانية فرد/كم²
الجزائر	35.239.000	1.72	2.381.741	15
المغرب	31.514.000	1.08	710.850	44
تونس	10.435.000	1.03	155.566	67
ليبيا	7.530.000	3.24	1.775.500	4
موريتانيا	3.282.000	2.42	1.030.700	3

المصدر: التقرير العربي الاقتصادي الموحد لسنة 2009 ملحق (8/2)ص312 و ملحق (9/2)ص313

يتباين عدد السكان في بلدان المغرب العربي وتعد الجزائر أكبر البلدان سكاناً (35 مليون نسمة إحصائيات 2009) بالمنطقة يليها المغرب (31 مليون نسمة) ، ثم تونس (10 ملايين) وليبيا (7 ملايين) وموريتانيا (4 ملايين). وتتشابه معدلات النمو السكاني في الدول الثلاث الأكثر سكانا في المنطقة في الجزائر والمغرب وتونس حيث لاتتجاوز 2% ، في حين أن هذه النسبة تتجاوزها ليبيا وموريتانيا لتصل 3.24% في ليبيا .

تقل الكثافة السكانية في المنطقة المغاربية كثيرا بسبب المساحة الشاسعة وعدد السكان الذي يقل كثيرا مقارنة بدول الشمال التي يكثر فيها عدد السكان وتقل فيها المساحة ،وقد أدى ذلك إلى التوزيع السكاني الغير متكافئ والتي ساهمت مجموعة من العوامل فيه :

1- العوامل المناخية : إن القرب أو البعد عن المسطحات المائية هو الذي ساعد في عملية توزيع السكان في المنطقة المغاربية ،حيث نجد أن عدد السكان المتواجدين في المناطق الساحلية المطلة على البحر والتي تتميز باعتدال درجة الحرارة ويعرف مناخها بالمناخ الساحلي ، هم أغلبية السكان ، ونجد أن عدد السكان يقل في المناطق الداخلية والصحراوية خصوصا ، إذ يتميز المناخ فيها بارتفاع الحرارة صيفا خاصة بالنهار وانخفاضها شتاءا ويسمى بالمناخ القاري والصحراوي.

2-عوامل بشرية : تتمثل في الأنشطة الاقتصادية والعوامل التاريخية والهجرات ،فالمناطق الشمالية في دول المغرب العربي تتميز بتواجد عدد كبير من المصانع والشركات ، إضافة إلى وجود جامعات ومعاهد كبرى توفر التكوين العالي للسكان.

الفرع الثاني : المغرب العربي ما قبل الإسلام

لقد أكدت الدراسات أن الآثار الإنسانية في منطقة المغرب العربي لوحظت منذ العصر الجيولوجي الرابع القديم أي منذ نصف مليون سنة أو أكثر فقد عثر على قطع من الحجارة المستديرة المنحوتة الراجعة إلى لذلك العهد في مقاطعة قسنطينة (عين الحنش) وفي الجنوب التونسي (عين برمبة) وقد تعاقبت على المنطقة العديد من الحضارات، حضارة الحجارة ذات الوجهين في العهد الاشولي التي وجدت منذ ثلاث مائة ألف سنة (بالرديف بتونس و وسيدي الزين قرب الكاف) .

وفي العصر الجليدي الأول أي منذ عشر آلاف سنة كانت حضارة القفصي حيث تمتد في قسم كبير من بلاد المغرب وتقع أشهر بقاع هذه الحضارة في منطقة قفصة، وقد ظهر العصر الحجري الأخير الثالث الذي يقع قبل ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد حيث حدث ذلك بتأثير حضارة وادي النيل .[1]

كانت بلاد المغرب في تلك عصور ماقبل التاريخ تختلف اختلافا واضحا عما هي عليه الآن ، وقد كانت أول الحضارات هي الحضارة الغسولية نسبة إلى مدينة تليلات الغسول وهو اسم لموقع تاريخي يقع شمالي البحر الميت ويرجع زمن تأسيسه إلى العصر الحجري النحاسي ، وان هذا الموقع مهد الكنعانيين الذين سكنوا القسم الغربي من آسيا ، وكان يعني اسم كنعان الأرض المنخفضة لاختلافها على مرتفعات لبنان ،لأنها تقع بين سوريا وفلسطين ، وقد انتقل هؤلاء الكنعانيين إلى غرب حوض البحر الأبيض المتوسط وقد أسس هناك قرطاج ويوتيكا .[2]

وقد بلغ الصراع بين القرطاجيين والرومان أوجه للسيطرة على البحر المتوسط في عهد الأميرال القرطاجي **ماجو** ومن بعده الأميرال **جيسكو** ودام الصراع طويلا إلى أن وصل إلى **هنيبعل** حيث استأنف الحرب ضد الرومان وذلك في عام 218 ق .م وقد سقطت قرطاج في أيدي الرومان وبهذا أقام الرومان حضارتهم على الشمال الإفريقي . وقد تعاقبت أيضا الحضارتين البيزنطية والوندالية خلال 468 ميلادية ، حيث تمكنت القسطنطينية البيزنطية في نفس السنة من إخضاع الوندال في شمال إفريقية بقيادة **هرقل** .[3]

الفرع الثالث : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب .

بدأ المسلمون في فتح بلاد المغرب منذ سنة 21هـ642/م بعد جهود الصحابي **عمرو بن العاص** وحملة **عبد الله بن سعد** ،شيدت الحضارة الإسلامية على يد الصحابي **عقبة بن نافع** الفاتح لبلاد المغرب الكبير ، وتفيد المصادر بأن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب قد استغرق مدة طويلة تكاد تقرب من السبعين عاما، وهذا يرجع لعدة عوامل أهمها: صعوبة البلاد من الناحية الجغرافية اشتداد حركة المقاومة البربرية، تدخل بعض العناصر الأجنبية كالروم البيزنطيين في الحرب ضد المسلمين الفاتحين .

---

[1]– محمد الهادي الشريف ، ***تاريخ تونس : من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال*** ،ط3 ، تونس : دار سراس للنشر ،1993 ، ص 13 ،14 .

[2] - نجيب محمود زيبب ، ***الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس*** ، ج 1 ، بيروت : دار الأمير للثقافة والعلوم ،1995 ، ص 69 -73

[3] - ***المرجع نفسه*** ، ص169 و291 .

وقد توالت الهجرات الإسلامية لدول المغرب العربي وإقامة دويلات إسلامية من بينها الدول الزيرية ، الحمادية، الحفصية والفاطمية ، وقد كانت الهجرة الهلالية من أهمها.

فالشائع أن الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب بكل ما كان لها من تأثيرات عرقية و اقتصادية وسياسية واجتماعية أو حضارية على الجملة ، إنما كانت نتيجة القطيعة بين الخلافة الفاطمية بالقاهرة وبين نوابها الزيريين في القيروان وذلك إبتداءا من سنة 335 هـ/946 م .وقد بلغ الأمر مداه في سنة 442 هـ/1050م عندما انطلقت قبائل بني هلال* مع بني سليم من صحراء صعيد مصر الشرقية نحو المغرب وهذه المرحلة تعرف بالتغريبة الهلالية .حيث وصلو إلى **برقة** وقد وجدوا فيها الخير الكثير وأصبح لقبائل بني هلال القسم الغربي وبني سليم القسم الشرقي من بلاد المغرب. وقد انتهت الممتلكات الفاطمية خلال منتصف القرن الخامس هجري/11م إلى ثلاث دويلات ،الدولة الزيرية في المهدية ، الحمادية في بجاية و الكلبية في صقلية .[1]

المطلب الثاني : الموارد الطبيعية لدول الغرب العربي

الفرع الأول : الإنتاج الزراعي

لقد اثر الاستعمار الأوروبي للمنطقة على جميع مناحي الحياة المغاربية فقد أثر على الثقافة والهوية والاقتصاد أيضا ، حيث أدخلت أنواع زراعية جديدة وتطورت إمكانياتها وذلك لاستجابتها للأسواق الرأسمالية ، وتعمد الاحتلال عدم التركيز على زراعة الحبوب التي تعتبر المادة الأولية في الاستهلاك في دول المنطقة المغاربية . فإنتاج الحبوب مثلا قد ظل متقاربا من حيث نسبه المئوية ، ضعيفا من حيث مواكبته النمو الديموغرافي لأقطار المغرب العربي، فلم يتجاوز إنتاج هذه المادة بالجزائر وعلى امتداد الفترة الفاصلة مابين 1850 و1910 أكثر من 1.7 بالمائة ، متراوحا مابين 5.2 و18.8 قنطار سنويا وهي النسبة التي شهدتها تونس مابين سنة 1910 و1955 ، وإلى حد ما المغرب الأقصى .

لقد تركز الإنتاج الزراعي في المنطقة خلال تلك الفترة على زراعة الكروم بالجزائر حيث نمت نموا واضحا مابين الحربين العالميين ، كما استحوذ الاستعمار على مايقارب مليون هكتار من الأراضي الفلاحية بالمغرب الأقصى

---

[1] - سعد زغلول عبد الحميد ، ***تاريخ المغرب العربي : الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيين إلى قيام المرابطين*** ،ج 3 ،الإسكندرية : منشأة المعارف ، ،1990 ص ص ،417 – 141.

*أصل مواطن قبائل عرب هلال وسليم هي بلاد الحجاز وبعض تخوم نجد ، وهي قبائل بدوية ، رعوية تنسب إلى عرب الشمال العدنانية تعيش عيشة فقيرة ومضطربة .

لاستغلالها في زراعة الكروم . أما في تونس فقد شرع المعمرون في زراعة الكروم منذ 1890 ، هذا علاوة على الحمضيات والبواكير والصيد .[1]

يحتل القطاع الزراعي مركزا هاما في الهيكل الاقتصادي لعدد من الدول المغاربية ، حيث يحتل القطاع الزراعي وفقا لتقديرات الناتج الزراعي العربي لعام 2004 حيث بلغت حوالي 13.4 % في موريتانيا و تتراوح مساهمته مابين 9.5 % و10.8 % في كل من المغرب وتونس والجزائر ، يشمل الإنتاج النباتي الحبوب والمحاصيل السكرية والخضروات والفواكه والألياف والزيتون والحمضيات ، ويتصف الإنتاج الزراعي بصفتين متلازمتين وهما : التقلب وعدم الاستقرار ، وهو ماينعكس على استقرار الدخل الزراعي والتجارة الزراعية والأمن الغذائي للمغرب العربي.

الفرع الثاني : الإمكانيات الصناعية للمغرب العربي

يشمل هيكل النشاط الصناعي ، الصناعة الاستخراجية التي تركز في الدول العربية على إستخراج النفط والغاز الطبيعي ، واستخراج المعادن وأهمها الحديد وبدرجة اقل النحاس والزنك وكذلك الخامات الغير معدنية وأهمها الفوسفات والبوتاس، ويمثل النفط والغاز جزءا مهما من منتجات الصناعة الاستخراجية .

بالإضافة ترتكز الصناعة في المغرب العربي على هيكل الصناعة التحويلية التي تنقسم إلى:

- الصناعات الغذائية
- صناعة المنسوجات والملابس حيث تمثل هذه الصناعة في المغرب إحدى مقومات الاقتصاد الوطني حيث تشكل صادراتها ثلث إجمالي الصادرات .
- صناعة تكرير النفط والغاز الطبيعي حيث بلغت طاقة التكرير في الدول العربية 7108 ألف ب/ ي* عام 2002 وتمثل السعودية الجزء الأكبر من قدرات التكرير العربية حوالي 25.2 % وتقدر في الجزائر بنسبة 7.2 %. ويقدر احتياطي الجزائر من الغاز الطبيعي حوالي 11.6 %
- صناعة الأسمدة الكيماوية ومن بينها الفوسفات الموجود في المغرب وتونس.
- الصناعات الهندسية حيث تقتصر صناعة السيارات في الدول العربية على التجميع وتتركز على المستوى المغاربي في كل من الجزائر والمغرب الذي تطور هذا النشاط فيها عام 1999 بمعدل 12.1 %مقارنة بعام 1998 ،أما في ليبيا فيوجد مصنع لتجميع الحافلات والشاحنات بطاقة 4 آلاف وحدة في السنة

[1] –امحمد مالكي، ***الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي*** ، ط 2 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1994 ص 335 ، 336 .

جدول توضيحي : رقم 02

أهم الصادرات الزراعية والصناعية لدول المغرب العربي حسب إحصائيات 2008

(بالمليون دولار أمريكي)

الدولة / المنتج	الجزائر	المغرب	تونس	ليبيا	موريتانيا
الوقود المعدني	76.737	809	3.327	59.395	0
البترول الخام	....	....	2.615	6.695 إحصائيات 1999	....
الفوسفات	....	330 احصائيات2003	147	....	....
الحديد الخام	....	....	....	....	....
آلات ومعدات النقل	31	2.956	4.022	0	0
المصنوعات	437	5.182	6.86	1.197	1.197
الحبوب	...	46	8	....	....
المواد الخام	392	3.018	1.129	1	0
الأغذية والمشروبات	111	3.12	940	1	356

المصدر : صندوق النقد العربي ، النشرة الإحصائية لسنة 2010 ، ص 91 –161

يمثل الجدول أهم الصادرات الصناعية والزراعية لدول المغرب العربي، إذ تم التركيز في هذا الجانب على موارد طبيعية وأخرى مصنعة بحيث ترتفع فيها نسب الدخل ، وتختلف هذه النسب من دولة إلى أخرى ، فقد سجلت الجزائر أعلى النسب خصوصا في المصنوعات حيث بلغت 437 مليون دولار ، تليها تونس بنسبة 6.86 م/د ثم المغرب 5.182 م/د وأخيرا ليبيا وموريتانيا بنفس النسبة وهي 1.197 م/د ، كما شهدت نسبة صادرات المواد الخام 392 مليون دولار حسب إحصائيات سنة 2010 بعدها المغرب بنسبة 3.018 م/د ثم تونس 1.129 م/د وأخيرا ليبيا بنسبة مليون دولار .

كما سجلت الجزائر أعلى النسب مقارنة بالدول المغاربية فيما يخص آلات ومعدات النقل حيث بلغت نسبة الصادرات فيها 31 مليون دولار،يليها تونس 4.022 م/د وأخيرا المغرب 2.956 م/د واحتلت المرتبة الثالثة من حيث الوقود المعدني حيث بلغت الصادرات فيها نسبة 76.737 م/د بعدها المغرب الذي مثلت فيه الصادرات نسبة 809 م/د ثم ليبيا بنسبة 59.395 م/د وأخيرا تونس3.327 م/د ، واحتلت المغرب المرتبة الأولى في الفوسفات330 م/د حسب إحصائيات 2003 ، وكانت تونس الثانية بنسبة 147 مليون دولار حسب إحصائيات 2010 .

وقد تفوقت تونس في الأغذية والمشروبات حيث بلغت الصادرات فيها 940 م/د ، ثم موريتانيا بنسبة 356 م/د ، وبعدها الجزائر بنسبة111 م/د ، والمغرب 3.12 م/د ، وأخيرا ليبيا بمليون دولار .

وبهذا احتلت الجزائر الصدارة في ثلاث مواد (الموارد الخام ، المصنوعات وآلات ومعدات النقل) ، وكانت لتونس الصدارة في مجال الأغذية والمشروبات ، والمغرب احتلت صادرات الفوسفات فيها المرتبة الأولى.

المطلب الثالث:الخصوصيات الثقافية للمنطقة المغاربية

الفرع الأول :اللغة العربية

إن الأصل في وظيفة اللغة هو التعبير عما يريده المجتمع وهذا التحديد في أصلها ووظيفتها واجتماعياتها جعلها تتميز بثلاث خصائص مهمة :

- تمثيلها في نظم يشترك في إتباعها المجتمع ويتخذها أفرادها أساسا لتنظيم حياتهم الجمعية وتنسيق العلاقات التي تربط بينهم .
- أنها نتاج العقل الجمعي .

- لا يمكن للفرد أن يخرج عنها أو عن نظامها .

ويوضح" **فندريس**" أهمية اللغة حين يعتقد" أن اللغة من أعظم المبتكرات التي أظهرها التطور البشري فيجب الوقوف عندها لنرى الدور التي تؤديه على وجه الدقة، والنصيب الذي تقوم به في التطور الفعلي ثم ماهي صلات الفرد والجماعة فيما يختص بإنتاج هذه الأداة القيمة "[1]

إن اللغة العربية لها أهمية خاصة مع العرب على هذه البقعة من الأرض، وهى بالفعل عامل تماسك بين شعوبها.فقد تحولت لغة قبلية من خلال مئة عام إلى لغة عالمية ، حيث وجدت اللغة العربية تجاوبا من الجماعات وامتزجت بهم وطبعتهم بطابعها ،فكونت تفكيرهم ومداركهم ، وشكلت قيمهم وثقافتهم ، وطبعت حياتهم المادية والعقلية وأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاث وجها واحدا ومميزا .[2]

وقد تميزت المنطقة بازدواجية لغوية حيث يميز المفكر **سمر روحي الفيصل** بين نوعين من العاميات، بدأ النوع الأول يتشكل في عصر الفتوحات نتيجة لقاء اللهجات العربية باللغات السائدة في الأمصار. ويمتاز هذا النوع بقربه من الفصيحة ونهوضه بمهمة التفاهم بين المسلمين في المجتمع الإسلامي الجديد. أما النوع الثاني فقد بدأ يتشكل حين استقرت الفتوحات وضعف الحكم العربي وشرعت العناصر الأعجمية في تسيير السلطة في المجتمع الإسلامي. والسمة الرئيسة لهذا النوع هي ابتعاده النسبي عن الفصحى وتأثره الكبير بالفارسية والتركية والناطقين بهما. وهذا هو النوع الذي استمر يتفاعل مع المؤثرات الأجنبية حتى بدايات القرن العشرين ، وقد نهض هذا النوع بمهمة التفاهم بين الناس في المجتمع العربي شأن النوع الأول، كما بقي مثله يحمل إرثه من اللهجات العربية واللغات الأصلية في الأمصار العربية.[3]

تغلغل اللغة العربية بالمنطقة المغاربية يعني تميزها بخصوصية العروبة والتي تعني الهوية التي تقابل الفرنسة في مرحلة الاحتلال وعروبة الانتماء والتعايش التي تقابل الفرانكفونية في مرحلة الاستقلال، وبهذا فإن العربية لها شأن كبير في عروبة اللغة واللسان بالإضافة إلى عروبة الفكر والسياسة والإدارة ومنظمات المجتمع المدني ، وهذا يعني بدون منازع عروبة المغرب العربي وقضاياه.

الفرع الثاني :الدين الإسلامي

---

[1] - عز الدين صحراوي ، ***"اللغة العربية في الجزائر : التاريخ والهوية "***، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة بسكرة ، العدد5 ،جوان 2006 .

[2] – زيغريد هونكة، ***شمس العرب تسطع عن الغرب*** ، ترجمة : فاروق بيضون ، كمال الدسوقي ،بيروت : منشورات المكتب التجاري ، 1964 ،ص 367 ،368

[3] -سمر الروحي الفيصل ، ***قضايا اللغة العربية في العصر الحديث*** ، دمشق: وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب 2010 ، ص11 .

إذا كانت العربية لغة القرآن، فان الإسلام هو الذي حمل العربية إلى مواقع فتوحاته الأولى، لعب الدين في المغرب العربي دوره في الربط بين أفراده والناطقين بالعربية. ولا إكراه في الدين، فوجود الطوائف والأديان المختلفة إلى جوار الإسلام، ليس إلا تعبيرا عن رحابة ذلك الدين وأهله،كذا تمتع سكان المنطقة من غير المسلمين تعبيرا عن الحرية المتداولة فيما بين الجميع.

كما أن الدين الإسلامي يقدم نسقا ثقافيا متميزا تتحدد به نظرة الإنسان إلى نفسه ، لقد تعاون الدين واللغة العربية في الحفاظ على كيان العالم العربي وهويته وثقافته خلال التاريخ العربي والإسلامي الطويل.

انطلقت الفتوحات الإسلامية في منطقة المغرب العربي خلال القرن الأول الهجري ، النصف الثاني من القرن السابع ميلادي ، ثم استشعر المسلمون بضرورة بناء مدينة جديدة تكون بمثابة قاعدة عسكرية تسهل عملية التوغل في أعماق المنطقة وعلى هذا الأساس تأسست مدينة القيروان سنة 50 هـ لتصبح فيما بعد مركز إشعاع قوي للحضارة الإسلامية في المنطقة وقد امتد تأثيرها نحو الضفة الشمالية لحوض المتوسط نحو بلاد الأندلس وصقلية ، ومع نهاية القرن الثاني الهجري الثامن ميلادي كانت كل مناطق المغرب قد دخلت تحت راية الإسلام .[1]

إن مضمون فكرة المغرب العربي التي أفرزها الكفاح المشترك ضد الاحتلال الفرنسي تمثلت كما يرى الدكتور محمد عابد الجابري في " الارتباط بالإسلام والعروبة وإقرار وحدة الهدف "[2] ، وقد ساهمت جميع الأقطار المغاربية في ترسيخ الفكر العروبي الإسلامي لا سيما تونس فقد كانت يوما ما حاضرة الإسلام الأولى في شمال إفريقيا وكان منها ينطلق الدعاة والعلماء والجيوش إلى الأندلس وصقلية وأفريقيا ، وفيها أول جامعة إسلامية في العالم وهي جامعة القيروان قديما أو الزيتونة حديثا.

لقد برز دور النموذج العروبي الإسلامي في المغرب العربي بشكل رئيس في تكوين الهوية السياسية لدول المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين ، فلقد كان الإسلام هو أساس تكوين حركات الكفاح الوطني وتطويرها ضد الاستعمار في أغلب الأقطار المغاربية وجاءت أهمية الإسلام في المغرب العربي نتيجة تطور تاريخي طويل ، فلقد بقيت الدول والإمارات الإسلامية مستمرة في المغرب العربي حتى خضوع دول المنطقة للاستعمار الفرنسي في

---

[1] - ***الإسلام في بلاد المغرب ودور تلمسان في نشره*** ، ملتقي دولي ، تلمسان : وزارة الثقافة ، أيام 21 ،22 و23 مارس 2011 نقلا عن :
www.tlemcen2011.org/userfiles/file/argumantaire_col3.pdf

[2]- محمد عابد الجابري ، ***وحدة المغرب العربي : فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال*** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية 1987،ص 21 .

القرن التاسع عشر الميلادي. ولقد وحد الإسلام بين العرب والأمازيغ في المغرب العربي ، وعاشو معا في ظل الحضارة العربية الإسلامية ، وتطور في أذهانهم خلال امتداد التاريخ الإسلامي الطويل ارتباط قوي بين العروبة والإسلام .

لقد أثرت مسألتا العروبة والإسلام على تفاعلات السياسة العربية الجوهرية، فقضية الوحدة العربية ومسألة التضامن العربي والإسلامي والقضية الفلسطينية ، ومسائل سياسية عربية مهمة أخرى غالبا ما يرجع فيها إلى طرح العروبة والإسلام والعلاقة بينهما .

المبحث الثاني :التأثيرات الداخلية والخارجية للتوجه العلماني في المنطقة المغاربية

المطلب الأول: التأثيرات الداخلية للعلمانية في المنطقة المغاربية

الفرع الأول : تأثير الفترة الاستعمارية

حملت فترة أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الحكم الاستعماري الأوروبي إلى المنطقة سواء في شكل احتلال ، حماية أو انتداب حيث احتلت الجزائر عام 1830 وتونس عام 1881[1] والمغرب عام 1912 جميعا احتلت من طرف فرنسا وليبيا احتلت من قبل الاستعمار الايطالي سنة 1911.

وقد كان للنهضة الأوروبية التي تعد إحدى الخصائص المميزة للقرن التاسع عشر، أعظم الدور في تحريك الأطماع الاستعمارية ،حيث ظهرت الاختراعات الآلية، واستخدمت دول أوربا لأول مرة السكك الحديدية، كما استطاعت سفنها التجارية عبور المحيط الأطلسي .[2]

وقد حاول الاستعمار الأوروبي دحر الهوية العربية الإسلامية للمنطقة حيث كان الدافع الاقتصادي سببا رئيسيا للهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي ، إذ أحدثت الثورة الصناعية في الدول الأوربية طفرة هائلة في الإنتاج، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى ضرورة فتح أسواق جديدة، وقد وجدت الدول الأوربية ضالتها في أسواق البلاد الإسلامية التي كان معظمها في ذلك الوقت يجتمع

---

[1] - أسامة الغزالي حرب ، ***الأحزاب السياسية في العالم الثالث*** ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عدد117 ، سبتمبر 1987 ، ص99 .

[2] - هربرت فيشر: ***تاريخ أوربا في العصر الحديث*** ، ترجمة : أحمد نجيب هاشم ، القاهرة : دار المعارف، 1984 ، ص133.

تحت راية الخلافة العثمانية.

بدأت الهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي ومن بينها المنطقة المغاربية في عصرنا الحديث مع بريطانيا وفرنسا وقد توزع المغرب العربي بين فرنسا وإيطاليا .

وقد عانى العالم الإسلامي كل أنواع الاستعمار، التي يأتي في مقدمتها

- الاستعمار السياسي: وهو قدرة إحدى الدول على بسط نفوذها على دولة أخرى بدون الاستخدام الفعلي للقوة أو إخضاعها للاحتلال المباشر.
- الاستعمار الاقتصادي: ويقع هذا النوع من الاستعمار عن طريق إبرام اتفاقات غير متكافئة بين دولتين يتم بموجبها إعطاء حق احتكار الدولة القوية الغنية لاستغلال الثروات الطبيعية للدولة الفقيرة.
- الاستعمار الثقافي هو أخطر أشكال الاستعمار التي عانى منها العالم الإسلامي في العصر الحديث، وكانت صورته القديمة تتمثل في سعي الدول والجماعات المغتصبة إلى فرض لغتها وثقافتها وتراثها وأيديولوجيتها على الشعوب المستعمرة بالقوة. أما صورته الحديثة بعد استقلال دول العالم الإسلامي، فتتمثل في الغزو الفكري عن طريق الترويج للأفكار العلمانية الغربية، مثل التركيز على مبدأ فصل الدين عن الدولة، أو الترويج للأفكار المادية الماركسية الشرقية.

وقد تبنت الدول الاستعمارية الأوربية سياسات عديدة في حربها ضد الإسلام، منها قيام القوى الاستعمارية بنشر الدعوات الدينية الهدامة كالبهائية ، واجتهاد الاستعمار في إثارة النعرات القومية التي نجح الإسلام في القضاء عليها، والعمل على إدخال فكرة العلمانية في العالم الإسلامي، وتشجيع الأقليات في بعض أقطار العالم الإسلامي على تسلم السلطة، وتسخير وسائل الإعلام المختلفة والأقلام الغربية أو مستغربة الفكر من الكتاب المحليين للعمل على إيجاد مجتمع مسلم بالاسم فقط .

وقد تحقق استقلال المغرب العربي وتم التوقيع على اتفاقاته باسم المغرب الأقصى في 02 مارس 1956 وتونس في 20 مارس 1956 وفي الجزائر في 05 جويلية 1962 ،[1] بعد تاريخ طويل من الاستنزاف .

[1] – امحمد المالكي ، ***مرجع سابق*** ، ص 18

الفرع الثاني : تأثير النخبة الفرانكفونية و طبيعة القيادة السياسية .

كان للباحثين الإيطاليين **موسكا** MOSKA و**باريتو** PARETOالأثر الكبير في ذيوع هذا المفهوم ، من خلال دراساتهم الاجتماعية في بداية القرن العشرين، فقد أكدا معا على أن المجتمعات تنقسم عادة إلى طبقتين أو جماعتين: الأولى حاكمة، والثانية محكومة، وإذا كان **موسكا** قد فضل استعمال مصطلح الطبقة السياسية ليعبر به عن الفئة الأولى، فإن **باريتو** فضل مصطلح الطبقة الحاكمة للتعبير عنها .

والنخبة من منظورهما هي مجموعة قليلة من الأشخاص الذين توافرت لديهم شروط موضوعية "الثروة والقدرة وأخرى ذاتية والمتمثلة في المواهب بالشكل الذي يجعلها متميزة عن باقي أفراد المجتمع.

أما لازويل Lassswel فقد اعتبر أنها تلك الطبقة التي تتميز بقدرتها على التأثير أكثر من غيرها، مع جنيها لنتائج ملموسة بفعل هذا التأثير[1].

لقد أسس الاستعمار إيديولوجيته في الاحتلال ، حيث قامت على ثلاث منطلقات رئيسية من بينها التشكيك في مكانة الإسلام في المغرب العربي ، مع الحكم على نخباته السياسية بالعجز في حقل بناء الدولة وتنظيم المجتمع.

إن الصراع بين الإسلام والمسيحية قد شكل ثابتا ملازما لعلاقات العالم الإسلامي بغيره من الشعوب خصوصا الأوروبية منها ،لكن الأكثر رجحانا هو أن التقابل بين الديانتين الذي لم يكن أكثر من تناظر حقليين ثقافيين و حضاريين ،بل مثل إلى فرنسا الإطار الإيديولوجي الأكثر نجاعة لإطلاق دينامية الاستعمار وتطوير مفاهيمها بل وتلوين مداخلها وأدواتها .

بنى المستعمر إيديولوجيا صاغ من خلالها نظرة عدمية عن تاريخ المغرب العربي وعن تراثه الوطني والحضاري ، وحكم على نسيجه الثقافي والفكري بالتفكك والجمود ، وقد فرضت النخبة المغاربية واقع الاستعمار من خلال الاستجابة لهذا التحدي دونما التمييز بين ماراكمته الدول الأوروبية من مكتسبات وثورات ، والضرورات التي حتمت انتقالها إلى طور الاستعمار أولا ثم الامبريالية لاحقا .

فالنخب السياسية والفكرية المغاربية وإن تصورت المستعمر كافرا ، إلا أنها انبهرت بتقدمه السياسي والاقتصادي والعسكري ، دون أن ترتقي إلى تحديد الأسس التاريخية المفرزة لمفهوم التقدم في أوروبا خاصة والغرب عامة .[2]

---

[1] – إدريس لكريني ، "***اليسار ، الديمقراطية والعلمانية في المغرب العربي***" ، الحوار المتمدن ، عدد 2160 ، 14 جانفي 2008 بتاريخ 16 /2011/06 نقلا عن : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=121611

[2] – احمد المالكي ، ***مرجع سابق*** ، ص 217 – 226

تأثرت النخب السياسية المغاربية بالثقافة الغربية التي أفرزتها القوة الاستعمارية بالمنطقة ، حيث دخلت اللغة الفرنسية إلى المغرب العربي مع الاستعمار. وبها تم إرساء وتنظيم مجموعة من البنيات الاقتصادية والإدارية والاجتماعية والثقافية لهذه البلدان. ويقود القول إنها كانت اللغة الرسمية طوال فترة الاحتلال إلى الأخذ بعين الاعتبار هذا التشكيل الطويل لمجموع وقائع هذه البلدان ومجموع المؤسسات، بل وحتى مجموع الذهنيات في هذا القالب الغريب عن التقليد العربي الإسلامي والمغاربي.

يقول بعض إن الحركة الفرانكفونية ترتبط بقدم تسلط فرنسا على مستعمراتها ،ويقول بعض آخر إنها حركة فكرية وثقافية برزت بعد الاستقلال تحاول صهر كل الدول التي كانت تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية في إطار واحد ، فالفرانكفونية حركة حديثة برزت بعد الاستقلال ، لكنها تحتضن كل عوامل الماضي وسلبياته .

إن بلاد المغرب العربي تزدهر فيها التيارات والأحزاب الفرانكفونية ، ذات الأيديولوجيات العنصرية ، لطمس الهوية والعروبة والتراث .

لم تكن الفرانكفونية في هذه المرحلة الاستعمارية- باستثناء الدخلاء المعمرين – تتجاوز الفرد والفردين ، على مستوى التعليم والتلقين والتوجيه والتكوين . وكان أسلوب التثقيف الفرانكفوني يتم عبر جغرافيين داخل الوطن وخارجه وقد تطورت إلى تكوين معاهد ومؤسسات قادرة على تكوين أجيال ،وتنوعت إلى نوعين : مؤسسات عامة هي في ملك السلطة الحاكمة ، ومؤسسات خاصة يديرها أحرار لكنهم تابعون وعاملون . ثم قفزت الفرانكفونية من ميدان اللغة والثقافة إلى ميدان السياسة والاقتصاد . والمغاربة يذكرون في تاريخ وطنهم – الذي تعتبر هذه المرحلة جزءا منه – لجنة البحث والتقصي التي أسسها الاستعمار ، وأطلق عليها : (لجنة الأبحاث البربرية) ، وهي لجنة ذات طابع فكري وثقافي ، يخدم الغرض العسكري والاستعماري والمتعلقة بالأبحاث المتعلقة بالقبائل البربرية ، من جميع أنحاء المغرب ، حيث تساعد المستعمر على تنظيم القبائل البربرية وإدارتها . [1]

إلى جانب ذلك تم إنشاء المجالس والمعاهد الفرانكفونية ، وبدأت تختار في عضويتها بعض الأسماء المغربية اللامعة ، نذكر من ذلك مثلاً (المجلس الأعلى للفرانكوفونية) الذي تأسس في فرنسا بظهير رئاسي في شهر مارس /

[1] - محمد خروبات ، ***الفرونكوفونية المفروضة والصيغة المرفوضة*** ، مجلة البيان ، العدد 238 ، ص 40 إلى 177 نقلا عن :
بتاريخ :2011/06/16 .
http://islamport.com/w/amm/Web/135/4313.htm

آذار من سنة 1984م ، وكان الكاتب المغربي **الطاهر بن جلون** واحداً من أعضائه . وكان هذا المجلس ثمرة لجهود متواصلة سابقة بدأت بعنصر الاتصال الأول الذي تم بين المجتمع المغربي المدني ، والقوات الاستعمارية العسكرية . ومنـــذ الوهلـــة الأولى بـــدأ الاهتمـــام بالإقامـــات العصـــرية ، والمـــدارس العصـــرية ، والإدارات العصـــرية .

ومن المجالات التي تنتشر فيها الفرانكفونية مجال البحث العلمي في كليات العلوم والطب والصيدلة ، وفي المدارس العليا للتجارة والمعلومات والهندسة ، هذه المدارس التي لا تقيم وزنا للغة العربية ، والتدريس فيها لا يكون إلا بالفرنسية . والمجال الإعلامي ، والمجال الإداري ، فللمجال الإعلامي والإداري دورا أكبر في هذا السياق ن فجل الجرائد والمجلات الوطنية تكتب بالفرنسية .

أهداف الفرانكفونية:

- نشر التغريب وتكريس التبعية .
- تشتيت الأسرة المسلمة باسم حرية المرأة وحقوقها وباسم حرية الطفل وحقوقه .
- نشر الخلاعة الفكرية المنافية للأعراف والمخالفة للتقاليد ، والمضادة للأخلاق والقيم .
- التضييق على الثقافة الإسلامية الأصلية ، ويتم تهميش الأطر الفاعلة في هذه الثقافة .
- تدمير التقاليد والثقافة والتراث حيث كان من سياسة الاستعمار أنه يمانع دائما في بناء مراكز منظمة وإدارات للمعاهد والمدارس ومراكز القضاء الإسلامي ، فهي لا تريد أن تعترف بكل ما له صلة بالإسلام ، ولا سيما في ميدان التعليم والقضاء ، ومن بينها المعاهد والمدارس . [1]

غزت الفرانكفونية جميع أقطار المغرب العربي –باستثناء ليبيا– و قد كان توجه فرنسا في البداية ،يصب في اتجاه ربط المنطقة المغاربية بفرنسا .و حتى يتحقق هذا الهدف، فقد كان التركيز منذ البداية على طمس كل معالم الحضارة العربية الإسلامية في المنطقة المغاربية، لغة و دينا و ثقافة و قد كان الانطلاق من نظرة استعلائية، تعتبر أن فرنسا هي منطلق الأنوار و التقدم و التحضر، و أن المستعمرات – و منها دول المغرب العربي– لم تصل بعد إلى هذه الدرجة من الرقي الفرنسي .

و قد كان منطلق الاستعمار الثقافي مرتبطا –منذ البداية– باللغة الفرنسية، باعتبار أن اللغة هي صانعة

---

[1]– المرجع نفسه .

الهوية، و بالتالي هي صانعة الشخصية الإنسانية. و في هذا الإطار تم مواجهة التواجد اللغوي العربي في المنطقة ،لأنه يشكل عائقا أساسيا أمام الهيمنة الثقافية واللغوية الاستعمارية خصوصا و أن اللغة العربية في المغرب العربي هي أكثر من لغة تواصل، إنها تحمل إرثا حضاريا لا يمكن اختراقه
ببساطة من طرف الاستعمار .

لذلك نجد السياسة الاستعمارية الفرنسية موحدة؛ في تعاملها مع مجموع دول المغرب العربي ، و بهدف واحد هو استئصال كل معالم الحضارة العربية الإسلامية ، و تعويضها بمعطيات حضارية جديدة ترتبط بالاستعمار.

ففي المغرب يؤكد **بول مارتي (**في كتابه **مغرب الغد)** ".. إن كل تعليم للعربية، وكل تدخل من الفقيه، وكل وجود إسلامي، سوف يتم إبعاده بكل قوة، وبذلك نجذب إلينا الأطفال الشلوح (البربر)عن طريق مدرستنا وحدها، ونبعد متعمدين، كل مرحلة من مراحل نشر الإسلام" .

و نفس السياسة الاستعمارية كانت متبعة في الجزائر، يقول **دي روفيكو**: " إني أنظر إلى نشر تعليمنا ولغتنا كأنجع وسيلة لجعل سيطرتنا في هذا القطر (الجزائر) تتقدم في إحلال الفرنسية تدريجياً محل العربية؛ فالفرنسية تقدر على الانتشار بين السكان خصوصاً إذا أقبل الجيل الجديد على مدارسنا أفواجاً أفواجا " .[1]

أما بخصوص تونس، فهي تشكل نموذجا فرانكفونيا دالا ، حيث تم احتضان الفرانكفونية من طرف رئيس الدولة الخارجة من الاستعمار الحبيب بورقيبة ، لذلك يحضر النموذج التونسي – بخصوص المغرب العربي- في هذا السياق كنموذج دال على الوشائج التي أقامتها فرنسا مع النخب السياسية و الثقافية المغاربية.

فليس خفيا ما قدمه الزعيم التونسي/الفرانكفوني (الحبيب بورقيبة) من دعم للفرانكفونية في تونس و في كل المغرب العربي، و ذلك تحت غطاء و توجيه وزارة الخارجية الفرنسية ، التي قدمت دعما سخيا للزعيم التونسي، باعتباره الزعيم الفرانكفوني، القادر على حماية المصالح الفرنسية في
منطقة المغرب العربي.

---

[1]- إدريس جنداري ،" ***الفرانكفونية إيديولوجية إستعمارية فيما بعد الكولونيالية : الفراكوفونية في المغرب العربي"***، الحوار المتمدن ، عدد 3050 ، 01 جويلية 2010 نقلا عن : بتاريخ 16/ 2011/07

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=221090

و قد كان الحبيب بورقيبة متحمسا لمفهوم اللغة المشتركة الجامعة للشعوب الناطقة بها، فكان اقتراحه عام 1965 بإنشاء "كومنولث فرنسي يضم كل الشعوب التي تتكلم الفرنسية، و هي في الأغلب مستعمرات فرنسا .

و قد كان بورقيبة يصرح بكل هذا في حواراته، و يفتخر أنه الأب الروحي للفرانكفونية في المغرب العربي، لا يقل قيمة عن الرئيس السنغالي **سنغور** .يقول في حوار له : " إن مستقبلنا مرتبط بمستقبل الغرب عموماً ومتضامن مع مستقبل فرنسا خاصة... ونحن نتجه اليوم من جديد إلى فرنسا. إنني أنا الذي تزعمت الحركة المنادية بالفرانكفونية، فالرابطة اللغوية التي تجمع بين مختلف الأقطار الإفريقية أمتن من روابط المناخ أو الجغرافيا ". وصرح في مقابلة صحفية : " إننا لا نستطيع الإعراض عن الغرب، إننا متضامنون مع الغرب بأكمله، متضامنون بصورة أخص مع فرنسا. وتدعيم الروابط مع فرنسا وبصورة أخص في ميدان الثقافة، وفكرة بعث رابطة للشعوب الفرانكفونية تولدت هنا ".[1]

إن الواقع السياسي و الفكري و الإيديولوجي يؤكد أن العلاقة المغاربية الأوروبية تعدت حدود الفرانكفونية إلى **الفرانكوفيلية** فإذا كانت الأولى تعني أن تكون اللغة الفرنسية اللغة الرئيسية للتخاطب وللتعامل بالنسبة للفرنسيين طبقا لقانون الثورة ولغير الفرنسيين ممن لا يملكون لغات حية وعالمية، فإن الثانية هي أخطر درجات الفرانكفونية وهي أن يكون التفكير بالفرنسية ، هذه هي **الفرانكوفيلية.** والتي نعني بها علاقة تونس بامتدادها العربي الإسلامي؛ فقد كان بورقيبة و من خلال الارتباط بالإيديولوجية الفرانكفونية، يسعى إلى ربط تونس و من خلالها منطقة المغرب العربي بالنموذج الفرنسي سياسيا و فكريا و دينيا (تأبيد الاستعمار) بهدف المحافظة –طبعا -على المصالح الاستعمارية في المنطقة .

المطلب الثاني: المحددات الخارجية للعلمانية

الفرع الأول: العلاقات الأورومغاربية

دفع النظام العالمي الجديد أوروبا إلى ترتيب شراكة متوسطية تسعى من خلالها إلى تحقيق أهدافها السياسة والاقتصادية بثوب جديد يختلف عن القديم التي دامت عليه لمدة قرون فالاستعمار التقليدي قد ولى وأصبحت هناك معطيات جديدة تحتم على الدول العظمى في القارة السير وفقها .

---

[1] - المرجع نفسه .

وتقوم فكرة الشراكة المتوسطية التي أطلقتها وترعاها ماليا وسياسيا أوروبا على الأسس التالية :[1]

1 - التعاون بين البلدان الأوروبية المتقدمة والبلدان النامية المتوسطية ، نظرا لاشتراكها جميعا في الإرث الثقافي والحضاري ذاته .

2 - إعادة اكتشاف الهوية المتوسطية كهوية ثقافية وحضارية متميزة ، تجمع بين مجتمعات وشعوب بقيت تنظر غلى بعضا البعض نظرة العداء والاختلاف المطلق .

3 - وضع إطار سياسي ترتبط به دول الجنوب العربية القريبة من أوروبا معها فمن الطبيعي أن تنزع أوروبا إلى إضفاء انطباعات ودية على الإطار الجديد التي تسعى لإقامته مما يساعد على بث الشعور بأنها قطيعة تاريخية مع سياسات الهيمنة الاستعمارية السابقة .

4 - بدأت هذه الفكرة تلقى صدى واسعا ، حقق لها بعض النجاح الجزئي مؤقتا ويرجع ذلك إلى السببين التاليين :

أ -**السبب الأول** : تراجع وزن الايدولوجيا الكلاسيكية المتمثلة بالقومية والشيوعية والليبرالية ، فالايدولوجيا وما يرتبط بها من تصورات ذهنية هي التي تحدد للفرد اتجاهات القرابة وحدود الابتعاد أو البعد عن الآخرين ، وزوال بعضها ونشوء بعضها الآخر ، الأمر الذي يعبر عن نشوء تيارات جديدة .

ب - **السبب الثاني** : التحول التاريخي الكبير ، الذي قادت إليه آليات العولمة ،وما يجره من زعزعة مواقع الدول الصغرى والضعيفة ، وما يدفعها إليه من بحث عن مصادر جديدة للدعم .

حيث مرت الشراكة المتوسطية بمرحلتين أساسيتن :

أولا:السياسة المتوسطية للجماعة الاقتصادية الأوروبية أثناء فترة الحرب الباردة

وتمتد هذه الفترة رسميا من عام 1957 وهو العام الذي شهد توقيع معاهدة روم المنشأة للمجموعة الأوروبي EUROPEAN GROUP وحتى عام 1990 وهو العام الذي شهد إعلان الجماعة الأوروبية عن تبنيها

[1] جاسم محمد زكريا ، "***امن المتوسط بين المفهوم الأوروبي والقلق العربي من مشروعات الشرق الشرق الأوسط الكبير والشراكة المتوسطية***" ، الملتقى الدولي حول : الجزائر والأمن في المتوسط واقع وآفاق ، الجزائر : جامعة منتوري قسنطينة ، 29-30 أفريل 2008 ،ص135 .

سياسة متوسطية جديدة NEW MDITERRANEAN إلا أن السياسة المتوسطية للاتحاد الأوروبي طيلة هذه الفترة لم تأخذ وتيرة واحدة بل أنه يمكن التمييز في إطار الحرب الباردة بين مرحلتين أساسيتين هما:[1]

1/المرحلة الممتدة 1957-1972.

2/المرحلة الممتدة 1972-1990.

1/ **السياسة المتوسطية في الفترة من 1957-1972** : لم يكن للجماعة الأوروبية حتى عام 1972 سياسة مشتركة اتجاه ول البحر المتوسط فمع نشأتها عم 1958 بمقتضى معاهدة روما 1957 كان اهتمام الدول الأعضاء في الجماعة الأوروبية بحوض البحر البيض المتوسط يترك أساسا على ثلاث مناطق ولإعتبارت مختلفة .

دول المغرب العربي : ويعود اهتمام الجماعة بالمغرب العربي إلى علاقات الوثيقة التي كانت تربط فرنسا بأقطار تلك المنطقة والتي حتمتها اعتبار القرب الجغرافي والتاريخي المليء بمظاهر الصراع والتعاون.

وقد اتسمت سياسة الاتحاد الأوروبي تجاه المنطقة المتوسطية خلال هذه الفترة (1957-1972) بمحدودة الرؤية وجزئية الحركة ، وذلك رغم وجود دوافع مصلحيه تجعل الطرف الأوروبي يهتم بالطرف المتوسطي ، ومن تلك الدوافع المصلحية الموضوعية :

- الروابط المصلحية الاقتصادية بين الجانبين وخصوصا فيما يتعلق بمجالات الإنتاج الزراعي للدول المتوسطية.
- الكم الضخم من الأيدي العاملة البشرة المهاجرة من الدول المتوسطية إلى أوروبا .

– الروابط التاريخية والثقافية العتيقة بين الجانبين ، إلا أن هذه القوة الدافعة للتقارب الأوروبي المتوسطي ، واجهتها عقبات موضوعية تحول دون إرساء أسس سياسية متوسطية فعالة للاتحاد الأوروبي أو ما كان سمى بالجماعة الأوروبية في تلك المرحلة ، وأهم هذه العقبات :

- العقبات ذات الطابع السياسي، واختلاف الرؤى بشأن مفهوم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وممارستها.
- العقبات الاقتصادية المتمثلة في التباين الرهيب في مستويات المعيشة لدى كل من مجتمعي أوروبا والبحر المتوسط وغيرها من العقبات .[2]

---

[1]– محمد سالمان ، ***السياسة المتوسطية للاتحاد الأوروبي*** ،الجزء 2 ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 137 ، 1999 ،ص243 .

[2] - المرجع نفسه .

وبسبب هذه العقبات ، فقد اتسمت السياسة المتوسطية للجماعة الأوروبية خلال فترة الستينات بالمحدودية ، حيث لجأت الجماعة الأوروبية منذ إنشائها سنة 1957 في نطاق سياستها تجاه دول البحر المتوسط وحتى عام 1972 إلى انتهاج سياسة تدريجة جزئية تمثل في اتفاقية "ياوندي " في 20 جويلية 1963 ، وكانت تهدف إل تنظيم عمليات انتساب 18 دولة افريقية حديثة الاستقلال أنداك إلى الجماعة الأوروبية .

واشتمل نظام الانتساب بالإضافة إلى تزايد المبادلات التجارية ما بين الجانبين إلى أوسع نطاق ممكن وتقديم المعونات المالية والفنية من الجماعة الأوروبية إلى الدول الإفريقية المنتسبة وخلال فترة الستينات توصلت المجموعة الأوربية لعدد من الاتفاقيات مع دول المتوسط مثل اتفاقية تعاون مع كل من المغرب وتونس سنة 1969 .

مفاد هذه الاتفاقيات تطوير المنتجات الزراعية التي تصدر إلى المجموعة الأوروبية (CEE) لحاجة هذه الأخيرة لمثل هذه المنتجات ولكن سرعان ما تبدد ت الاتفاقيات بفعل السياسة الزراعية المشتركة التي توصلت إليها المجموعة الأوروبية وعق مجموعة من الاتفاقيات مشاركة مع الدول المتوسطية الأخرى. [1]

وفي تطور جديد تقدمت ايطاليا سنة 1964 من شهر ماي بمقترح للمجلس الوزاري للمجموعة الأوروبية والمتمثل في وضع تطور شامل للعلاقات الأوروبية المتوسطية التجارية ، وذلك من خلال التركيز على نقا ط ثلاث :

- إقامة منطقة للتبادل التجاري الحر .
- تقديم بعض التنازلات فيما يتعلق بالمنتجات الزراعية الواردة م دول المتوسط .
- تقديم الدعم المالي لتلك الدول .

وبالرغم من أن المجلس رفض المقترح الايطالي إلا انه فكر جديا في وضع سياسة أكثر شمولا للعلاقات بدول المتوسط وهذا ما قاد لمرحلة جديدة.[2]

2/ الفترة من 1972–1990 السياسة المتوسطية الشاملة للجماعة الأوروبية :

[1] عبد الوهاب شمام ،***العلاقات الاقتصادية أوروبية– المغاربية*** ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد22 ، ديسمبر 2004 ،ص6.

[2] المرجع نفسه

في 1971 تقدمت اللجنة الأوروبية بمبادرة للمجلس الوزاري تحتوي على تقييم للعلاقات الاقتصادية لدول المتوسط في إطار التعاون السياسي EUROPEAN POLITICAL CO-PERATION وأكد على أن التداخل بن المصالح الأوروبي والمتوسطية يؤكد أهمية تنمية تلك المنطقة ، وهي الأفكار التي أقرتها قمة المجموعة الأوروبية (المجلس الأوروبي) في باريس 19 أكتوبر 1972 والتي أشارت إلى رغبة المجموعة الأوروبية في تحمل التزاماتها اتجاه منطقة المتوسط من خلال سياسة شاملة أطلق عليها THE GLOBALE MEDITERRANEAN POLICY وذلك من منطلق الأهمية الكبيرة التي توليها المجموعة لمنطقة المتوسط ، ولقد هدفت السياسة المتوسطية الشاملة للجماعة الأوروبية إلى المساهمة في تنمية دول المتوسط من خلال أداتين هما زيادة التبادل التجاري وفتح المجموعة لصادرات تلك الدول والتعاون المالي داخل إطار مجموعة من الاتفاقيات الثنائية سميت OVERALL CO-OPERATIO AGREEMENTوركزت على سبع دول عربية هي تونس الجزائر والمغرب (وقعت اتفاقياتها من أفريل 1976) ومصر والأردن وسوريا (جانفي 1988 ولبنان مايو 1988) بالإضافة إلى إسرائيل في ماي 1985 .

ولقد عبرت المجموعة الأوروبية خلال فترة السبعينات و الثمانينات من سياستها الشاملة تجاه منطقة البحر المتوسط بآليتين أساسيتين هما :

ا/ سياسة المساعدة المالية:في شكل قروض مقدمة من البنك الأوروبي للاستثمار ومن خلال ميزانية الجماعة الاقتصادية الأوروبية أو من خلال ميزانية الجماعة الاقتصادية الأوروبية ذاتها، و في هذا السياق قدمت دول الجماعة الأوروبية مساعدات مالية إلى الدول المغربية الثلاث تونس ، الجزائر ، المغرب .

ب/ آلية الحوار العربي الأوروبي 1947-1998 ذالك الحوار الذي جرى و دار على مستوى وزراء و دبلوماسيين من الطرفين العربي و الأوروبي .

ثانيا: السياسة المتوسطية للإتحاد الأوروبي في مرحلة مابعد الحرب الباردة 1989 –2002[1]

مع عشية انتهاء الحرب الباردة لجأت أوروبا إلى إصدار تقرير سنة 1990 و هو ما أطلقت عليه نحو سياسة متوسطية جديدة TOWORD A RENOVQT MEDITERRANEAN POLICY و بعدها نحو شراكة أوروبية متوسطية و من أهم المحددات و المتغيرات الأوروبية التي دفعت الإتحاد الأوروبي نحو المتوسطية الجديدة تتمثل في الحركة

[1] - محمد سالمان ،***مرجع سابق*** ، ص244

الاندماجية الأوربية التي راحت أوروبا تبشر لها منذ النصف الثاني من الثمانينات حيث اتجهت أوروبا إلى بناء أسواق مشتركة موحدة و من بين المحددات الإقليمية تتمثل في مجموعة المخاطر و التهديدات الأمنية التي باتت تهدد الأمن الأوروبي و معظمها قادمة من الجنوب الذي يشمل جنوبي و شرقي المتوسط و أهم تلك المخاطر :

- استمرار مستويات التسلح المرتفعة في العالم الثالث.
- استمرار تدفق المهاجرين غير الشرعيين من شمال إفريقيا إلى أوروبا.
- نظرة الغرب للإسلام التي ترى أن الإسلام يعني الأصولية و الأخيرة تعني الإرهاب .[1]
- مؤتمر برشلونة عقد بمشاركة كافة دول الإتحاد الأوروبي و 12 دولة متوسطية من بينها تونس و قد كانت هذه الخيرة أول الدول المغاربي الموقعة على اتفاقية الشراكة الأوروبية المتوسطية في جويلية 1995 تهدف إلى إنشاء مناطق تجارة حرة مع الإتحاد الأوروبي بنهاية العقد الأول من القرن الحادي و العشرين. [2]

أثيرت سنة1995 دور تونس في الفضاء الأوروبي والمتوسطي وأثير معها مدى استطاعة تونس في إيجاد روابط قوية لمركبات هذا الكيان على مستوى كل الجوانب.[3]

ولقد نصت الاتفاقية على العديد من المشروعات والبرامج في المشاركة السياسية والأمنية ، وتتضمن عددا من المبادئ أهمها:

- احترام مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والحق في ممارسة الحريات الأساسية
- احترام حق وسلامة أراضي الدول وإقامة علاقات حسن جوار فيما بينها.
- عدم استخدام القوة في النزاعات بين الدول الأطراف وحثها على حل خلافاتها بالطرق السلمية.
- تقوية التعاون بين الدول والأطراف لمحاربة الإرهاب [4] ومكافحة الجريمة المنظمة وتجارة الأسلحة وتهريبها ومحاربة آفة المخدرات بكل أشكالها باعتبارها ظواهر ذات الطابع العالمي .
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأطراف .
- العمل على عدم انتشار الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية .

---

[1]- المرجع نفسه.

[2] محمد فاير فرحات ،"***أبعاد التحول الديمقراطي في تونس***"،في أحمد منيسي (محررا)،***التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي*** ، 2004 ، ص190 .

[3] - Mohhieddine Hadhri , ***Opcit***,p 41

[4] وفاء بسيم ،"***التعاون الأورو متوسطي (عملية برشلونة)***"،الجزء 2، ، مجلة السياسة الدولية ، العدد137 ،1999 ص247 ،248

المشاركة الاقتصادية والمالية :

وتهدف هذه المشاركة في هذا المجال إلى تعزيز التعاون من أجل تحقيق منطقة رخاء تعم فوائدها على كافة الشركاء ويقوم هذا التعاون على ثلاث دعائم هي :

- إنشاء منطقة تجارة حرة بحلول عام 2010 حيث تم بالفعل التوقيع على اتفاقيات المشاركة بين الاتحاد الأوروبي وتونس .
- التعاون الاقتصادي والمالي إذ يشمل كافة القطاعات الاقتصادية وضرورة زيادة الاستثمار الأجنبي ، التأكيد على أهمية التعاون الإقليمي ، تشجيع التعاون بين المؤسسات والشركات .

المشاركة الاجتماعية والثقافية والإنسانية : وتشمل

- أهمية الحوار بين الثقافات والحضارات في التقريب بين شعوب المنطقة.
- التعاون من اجل التغلب على مشاكل الهجرة والإرهاب وتجارة المخدرات والجريمة المنظمة والفساد .
- تعزيز وتنمية المجتمع المدني والتعاون بين المنظمات الغير الحكومية . [1]

وقد تلى اتفاقية برشلونة العديد من المؤتمرات الأخرى منها :

-مؤتمر مالطا: عقد في 15-16 أفريل 1997 وقد خرج هذا المؤتمر بعدة توصيات ، فيما يخص الجانب الأمني ركزوا على عملية السلام في الشرق الوسط وعلى الصعيد الاقتصادي المالي فقد وافق كل من البنك الأوروبي للاستثمار (BEI) وصندوق(MEDA) يمنح قروض لدول جنوب الحوض التي حددتها ب2.310 مليون ECU مابين 1999/1997 ، أما في المجال الاجتماعي والثقافي والإنساني فقد تم وضع مجموعة من الإجراءات أهمها:التركيز على أهمية الحوار بين شعوب المنطقة ، أيضا الحوار بين الأديان والتخلي على فكرة العمليات الإرهابية ، محاولة التكييف مع ظاهرة الهجرة .[2]

---

[1] - ***المرجع نفسه*** ، ص248 .

[2] - مختار شعيب ،" ***مؤتمر شتوتجارت رؤية تقييميه لمسيرة برشلونة"*** ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 73، جويلية 1999.ص219-221 .

-مؤتمر فاليتا : انعقد في 8-9 نوفمبر 1997 جمع هذا المؤتمر عدد كبير من البرلمانيين من الدول العربية والأوروبية أكد في هذا المؤتمر على ضرورة إيجاد سبل تنفيذ سياسات مشتركة لمحاربة الإرهاب ، وضرورة التمييز بين الإرهاب والمقاومة الوطنية وحقها في الدفاع عن حقوقها ضد الاحتلال الأجنبي .[1]

مؤتمر شتوتجارت الأول والثاني :1999-2000 ركز المؤتمرون على دراسة المشروع الذي قدمته ألمانيا بإقامة ميثاق أوروبي متوسطي للسلام والاستقرار خصوصا فيما يخص الصراع العربي الإسرائيلي ، كما تطرق مؤتمر شتوتجارت الثاني لإلى موضوع البيئة بسبب تدهورها في منطقة الحوض .

مؤتمر فاليتا 2:22-23 أفريل 2002 وركز هذا المؤتمر على خلق برلمان أوروبي متوسطي ، التركيز أكثر على مسألتي حقوق الإنسان والإرهاب خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 .

ثالثا : أبواب التدخل الأوروبي في الشؤون الداخلية المغاربية

بدعوى حقوق الإنسان و الأصولية الإسلامية و المتطلبات الأمنية سعت أوروبا في الفترة الحديثة خصوصا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ، فالحديث عن القيم التي منها يستوحي أهل القرار في الإتحاد الأوروبي يتطلب لمحة تاريخية قد تكشف خلفيات السياسة الأوروبية الراهنة تجاه مسألة الحريات و حقوق الإنسان .فمن يطلع على قرارات البرلمان الأوروبي الراهنة يرى فيها استجابة لقيم إنسانية و لمبدأ الديمقراطية ، و مطلبا بمزيد من الحريات للمجتمعات العربية و الإفريقية التي يبت بشأنها ، و قائمة من الإدانات الموجهة إلى أنظمتها . و قد شملت الإدانة أو الانتقادات الصريحة غالبية الدول العربية الكبيرة (العراق ،سوريا ، الجزائر ، ليبيا ، السعودية ، السودان ، مصر).

- **عودة النزعة التدخلية في أوروبا و مبدأ التدخل لفرض الديمقراطية و تأمين الحريات :**

أصبحت مسألة فرض النموذج الديمقراطي التعددي و قائمة الحريات الأساسية تحظى بأولوية هذه المؤسسات ولا سيما البرلمان الأوروبي. إن مجرد النظر إلى القرارات التي اتخذها هذا الأخير تدفعنا إلى الاعتقاد بأنه باستثناء التصويت على الاتفاقيات و البروتوكولات الاقتصادية أصبحت هذه القرارات أشبه بلائحة من الانتقادات الموجهة إلى الحكومات التي لا تحترم هذه الحرية أو تلك :

---

[1] – أحمد عبد الله يوسف ، ***عن الخبرات حوار الحضارات ، قراءة في النماذج على الصعيد العالمي و الإقليمي و المغربي*** ، القاهرة :كلية الحقوق و العلوم السياسية.2006 ص 79-86 .

- التنديد بالقانون الجزائي الإسلامي في السعودية .
- التنديد بانتهاك الحريات و بالإعدامات السياسية في العراق .
- القلق على السجناء السياسيين في سوريا .
- انتقاد الإعدامات في مصر و الجزائر .
- التنديد بإجراءات القمع في المغرب .
- التنديد بممارسات الحكم السوداني في حرب الجنوب .
- القلق عن مصير سكان مطرودين في ضاحية من ضواحي الخرطوم .
- حماية الأكراد في العراق .
- إعلان حقوق الشعوب غير المسلمة في جنوبي السودان .انتقاد قانون التعريب مبدأ إعلان اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في الجزائر (حفاظا على حقوق الأمازيغ) .[1]

- **بين الديمقراطية و الاستقرار و معضلة التعامل مع الأصولية الإسلامية :**

إن لأهل القرار في الإتحاد الأوروبي غاية أخرى هي الاستقرار ، و ينعكس ذلك في إعلان برشلونة و الذي يدعو إلى التعاون بين دول الاتحاد الأوروبي و الدول المتوسطية الثالثة (Non – Membres Mediterranean States) لمكافحة الإرهاب و لاحتواء الهجرة من الجنوب ، و لمكافحة الجريمة المنظمة .كما أن الدعم الاقتصادي لهذه الدول يهدف إلى تحقيق الاستقرار السياسي .

و تدعو بعض التقارير السياسية حول المتوسط إلى ترجيح الاستقرار على الديمقراطية . إلا أن الهاجس الذي يكمن وراء مطلب الاستقرار هو الخوف من امتداد نفوذ الحركة الإسلامية. إنه هاجس ذو بعد أمني لدى أهل القرار المتمثلين في المجلسين – الأوروبي و الوزاري – في إطار السياسة الخارجية و الأمنية المشتركة . وهو هاجس ذو بعد إيديولوجي إذا ما استمعنا إلى نقاشات البرلمان الأوروبي .

في أكتوبر 1993 أصدر البرلمان الأوروبي قرارا يدين ((الأصولية الإسلامية)) التي تعتبر مسؤولة عن التطرف و الدعوة إلى العنف . و اعتبر القرار الأصولية الإسلامية مسؤولة عن تجميد المسار باتجاه الديمقراطية . كما

[1] – محمد مصطفى كمال ، فؤاد نهرا ،***صنع القرار في الاتحاد الأوروبي والعلاقات العربية– الأوروبية*** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ،2001 ، ص194 ، 195

أنه دعا الاتحاد الأوروبي إلى دعم الحركات المحاربة للتطرف الديني و تلك التي تدعو إلى ((الديمقراطية)) و إلى مساواة المرأة بالرجل و إلى ((الإصلاحات البناءة)) . ثم دعا الأنظمة العربية إلى مكافحة الأصوليين بالطرق القانونية و القضائية ..

لكنه في الوقت نفسه اعتبر أن انتشار الأصولية جنوبي المتوسط لا يبرر إطلاقا مظاهر العنف و التمييز العنصري إزاء الأقليات الإسلامية في شمالها .

و خلال عامي 1993 و 1994 تعددت قرارات الإدانة التي تناولت الحركة الإسلامية في الجزائر .ففي ما يتعلق بالجزائر فبدا موقف البرلمان الأوروبي و المجلس الوزاري مجتمعين أكثر اعتدالا من الموقف الفرنسي . و في هذا الإطار جاءت الدبلوماسية الأوروبية المشتركة لتخرج الموقف الفرنسي من أزمته .[1]

يجدر الذكر إلى أنه حين إلغاء الانتخابات التشريعية في الجزائر كان الموقف الفرنسي أكثر حذرا تجاه الحكم الجديد .و كانت تصريحات الحكم الاشتراكي في فرنسا – رئاسة الدولة ووزارة الخارجية – منتقدا لوقف المسار الديمقراطي ثم متحفظا ، ثم تخلت وزارة الخارجية تدريجيا عن التحفظ .

إلا أن عودة اليمين إلى الحكم في فرنسا أرسلت إلى الواجهة تيارين : تيار أكثر تفهما تجاه الوطن العربي – وزارة الخارجية – ، و تيار أكثر إصرارا على الأهداف الأمنية – وزارة الداخلية – ، و إذ طغى البعد الأمني على البعد الدبلوماسي في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه الجزائر تميز الموقف الفرنسي بموقف الدعم السياسي و الاقتصادي و اللوجستي للحكومة الجزائرية في مواجهتها مع المعارضة الإسلامية . ورافق ذلك تكثيف قمع الإسلاميين في فرنسا منذ عام 1993 .[2]

و طبعا تعددت المبررات و تضافرت لدفع الحكومة الفرنسية إلى هذا الموقف أهمها :

1 –إن العلمانية هي مبدأ مؤسس للجمهورية الفرنسية كما تنص عليه المادة 2 من دستور الجمهورية الخامسة .و بهذا الصدد تعتبر خصوصية فرنسية (Exception Française)بالنسبة إلى الجوار الأوروبي الذي لم يتوصل إلى فصل الدين عن الدولة .لهذا السبب نجد الكثيرين من أهل القرار و كذلك من الأكاديميين

---

[1] - المرجع نفسه .

[2] - ***المرجع نفسه*** ، ص 196

السياسيين يسقطون صراع الدين و الدولة الذي عرفته فرنسا على الساحة الدولية ، و بخاصة على الوطن العربي . لهذا السبب ظهر ذلك لدى بعض التيارات اليسارية – الحزب الشيوعي – و اليمينية .[1]

2 – استمرارية التيار اليميني السابق على الديغولية و الذي تمسك بالثوابت السياسية لعهد الاستعمار ، ومنها دع إسرائيل و الأقليات و مناهضة النزعات التراثية في الوطن العربي ، وقد وجدت هذه النزعة داخل التيار غير الديغولي لليمين – الاتحاد من أجل الديمقراطية الفرنسية(UDF).

3- رد فعل الحكومة العسكرية الجزائرية على انتقاد الرئيس ميتران لتوقف المسار الديمقراطي و الذي دفع اليمين إلى إعادة العلاقات الجيدة مع الدولة من دون قيد أو شرط .

4_ الهاجس الأمني من انتصار الإسلاميين ، و الذي كان من شانه وفقا لاختصاصي وزارة الداخلية أن يؤدي إلى تضخم الهجرة الجزائرية إلى فرنسا .

5 _ إن ثقافة التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، ظلت غريبة عن ثقافة التيار الديغولي . ولا بد هنا من ملاحظة مهمة وهي أن التيارات السياسية الأوروبية التي كانت أقربها من الأنظمة القومية العربية أصبحت من منظور منطلقاتها الإيديولوجية و الإستراتيجية من أشدها معارضة للحركات الإسلامية المعارضة . و هنا نفهم أن الديغوليين أنفسهم كانوا متخوفين من الحركة الإسلامية . و بدا الأمر كذلك بالنسبة إلى الحزب الاشتراكي اليوناني الذي كان في الوقت نفسه مؤيدا للقوميين العرب و مناوئا للإسلاميين .

لقد ساهم تدخل الاتحاد الأوروبي في إطار السياسة الخارجية و الأمنية المشتركة إلى تعديل الموقف الفرنسي و إلى تعزيز الاتجاه المعتدل عند أهل القرار في فرنسا ، فأدت إلى تغلب موقف المعتدلين الذين دعوا إلى الحوار السياسي مع كافة القوى السياسية ، بما فيها التيار الإسلامي المعتدل .

الجدير بالذكر أن السنوات (1995. 1998) شهدت تراجعا تدريجيا للدبلوماسية الفرنسية المنفردة لصالح الدبلوماسية الأوروبية المشتركة ، و التي تدخلت في إطار مؤتمر و إعلان برشلونة . و تمت المناقشات من أجل التوصل إلى اتفاق الشراكة بين الجزائر و الاتحاد الأوروبي بعيد الانتخابات الرئاسية الأولى .

لكن ما يثير القلق في التدخل الأوروبي هو القرار الذي اتخذه البرلمان الأوروبي في 1997/12 والذي انتقد فيه الدستور الجديد الذي عرضته السلطات الجزائرية للاستفتاء .. إذ أن الدستور اعترف لأول مرة بالهوية البربرية .

---

[1] محمد مصطفى كمال ، فؤاد نهرا ، ***مرجع سابق*** ، ص198 -200 .

الأمازيغية . إلى جانب الهويتين العربية و الإسلامية و على قدم المساواة معهما وقضى بمنع استغلال أركان الهوية لأغراض سياسية . إلا أن اللغة العربية اعتبرت هي اللغة الرسمية الوحيدة ، و أنها الحد الأدنى من الدفاع عن الهوية العربية .

الفرع الثاني: السياسات الأمريكية في المنطقة المغاربية[1]

هناك العديد من الآليات لنشر التدخل الأمريكي بالمنطقة تمثلت في آليتين أساسيتين:

أولا : آلية التدخل السياسي والتي تتمثل أساسا في التوصل إلى الأهداف التالية :

- دعم ونشر القيم الليبرالية من خلال طرح السياسة الأمريكية لمفاهيم جديدة للديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم العربي وإفريقيا.
- تكييف الدول المغاربية مع التحولات الدولية الجديدة

ثانيا : آلية التدخل الاقتصادي

إن المتغيرات الدولية الجديدة التي سارت باتجاه العولمة الأمريكية ودعم القادة المغاربة الجدد للمسار السياسي الأمريكي المهيمن على العالم ، قد أدت إلى تركيز الولايات الأمريكية على دبلوماسية التجارة كأداة لاختراق منطقة المغرب العربي ، وقد اتضحت ملامح تلك السياسة منذ 1998 حيث سعت الإدارة الأمريكية إلى تأسيس شراكة أمريكية مغاربية جديدة ، ارتكزت على الموقع الاستراتيجي والثروات الطبيعية وخطوط التجارة من خلال مبادرة **إيزنستات** نسبة إلى كاتب الدولة الأمريكي المكلف بالاقتصاد والشؤون الزراعية والذي قام بجولة في منطقة المغرب العربي من 12 إلى 18 جوان 1998 حيث أطلق المبادرة من تونس في 17 جوان 1998 .

لقد جاءت هذه المبادرة كرد فعل عن مشروع برشلونة 1995 والقاضي بإدماج منطقة المغرب العربي فيما يسمى بالاورو–متوسطية .[2]

أحداث أيلول / سبتمبر وقضايا الإصلاح الداخلي :

---

[1] - محمد الأمين لعجال أعجال ، ***مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في الأبعاد الأمنية الجديدة المتوسط*** ، الملتقى الدولي : الجزائر والأمن في المتوسط واقع وآفاق ، جامعة منتوري قسنطينة ، يومي29 و30 أفريل 2008 ، ص 190 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 191 .

منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 والتي تميزت بخلفية عقدين من الزمن من صعود السياسة الدينية العالمية وقد ظهرت دعوات لاعادة العلمانية شيئا فشيئا والهدف الأكثر وضوحا لهذه الدعوات هو الاسلام ولاسيما تلك الخطابات والممارسات الاسلامية التي توصف بالتشدد فقد أصبح من الضروري على اليساريين واللبراليين من ربط مصير الديموقراطية في العالم الإسلامي بمؤسسات علمانية.[1] على الرغم من أن قضية الإصلاح الداخلي في الدول العربية ليست جديدة ، حيث طرحت في الأجندات الفكرية والسياسية منذ فترة طويلة ، إلا أنه عادة مايزداد تسليط الضوء عليها في أوقات الأزمات الكبرى ، ونظرا لعمق التأثيرات القائمة والمحتملة لأحداث أيلول على المنطقة العربية ، فقد كانت تلك الأحداث مناسبة لتسليط الضوء على قضية الإصلاحات السياسية وذلك على النحو التالي :

أ -**الإصلاح السياسي** : في هذا السياق طرحت مطالب محددة منها على سبيل المثال : تعزيز عملية التحول الديمقراطي من خلال تفعيل التعددية السياسية ، وإفساح المجال لتدعيم المجتمع المدني ، وتأكيد قيم المواطنة وسيادة القانون ، وتوفير ضمانات نزاهة الانتخابات ،وتحقيق التوازن بين السلطات بما يعزز من دور السلطة التشريعية ويحقق استقلال السلطة القضائية ، والتصدي بحسم للفساد السياسي والإداري ، كما تم التأكيد فسح المجال أمام الحركات الإسلامية المعتدلة التي نبذ العنف والتطرف .

ب – **تجديد الخطاب الديني** : بغض النظر عن الدعوات والمطالب التي ظهرت في الغرب وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية يشأن تطوير مناهج التعليم وبخاصة التعليم الديني في الدول العربية ، باعتبار أن هذه المناهج تحض على التطرف والعنف وعدم التسامح ورفض الغرب ، فالمؤكد أن تجديد الفكر الإسلامي أو الخطاب الديني بصفة عامة ، والذي يشمل خطاب " الدعاة والوعاظ والخطباء والمفتين والباحثين " حين يقدم للناس على انه الوصف السليم والفهم الصحيح للإسلام في عقيدته ونظامه الأخلاقي وآدابه وشريعته . وفي إطار تجديد الخطاب الديني ركز البعض على مراجعة الأطر الفكرية والممارسات الحركية للتنظيمات الإسلامية المتشددة ، حيث تم التركيز على مجموعة من الأخطاء الذي اتسم بها عمل هذه التنظيمات مثل الانشغال بالإسلام السياسي أكثر من الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والحضارية للإسلام والسعي لتغيير

---

[1]- Saba Mahmoud, ***Secularism, Hermeutics, and Empire: the Politics of Islamic Reformation*** ,Public Cultur, duke Univercity Press,2006,P323 .

المجتمع من قمته أي تغيير السلطة قبل تغيير المجتمع بما يتضمنه ذلك من تجاهل لأسس ومزايا التدرج والمرحلية .[1]

من خلال ما تقدم يمكن أن نستنتج أن أمريكا فرضت على المنطقة العربية لاسيما المغاربية مجموعة من الأساليب السياسية خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وأهمها فصل كل ماهو ديني على السياسة وعلى الحياة السياسية ككل ، وهذا ما برز في الانتقادات الموجهة للتنظيمات الإسلامية بحجة الاهتمام بالإسلام السياسي.

المبحث الثالث : التيارات السياسية الرئيسية في منطقة المغرب العربي

لقد نشأت العلمانية في البلاد العربية عقب الحملة الفرنسية على مصر والشام من خلال خطوات ومراحل كان أولها رغبة الحكام في الحفاظ عن سلطانهم بعد اكتشافهم للهوة الشاسعة بينهم وبين الدول الغربية ، وقد أدى ذلك لقيامهم بمجموعة من الإصلاحات في شتى المجالات وإيفاد بعثات تعليمية إلى أشهر الجامعات الغربية .

وقد ظهرت العلمانية في المغرب العربي نتيجة تراكمات تاريخية للعديد من الأفكار والتيارات السياسية والدينية والتي نشأت منذ القرن التاسع عشر .

المطلب الأول : تيار التنوير العلماني

نشأ هذا التيار بالموازاة مع تيار الإصلاح الديني ، إذ ينهل افكاره وتصوراته من الفكر الحداثي الأوروبي ويرى أصحاب هذا التيار أن تطور المجتمع وتقدمه في كل المجالات على غرار ماحصل في أوروبا لايمكن أن يقوم إلا على أساس العقل .[2]

يعتبر **فرح أنطون** من أول الدعاة للعلمانية في البلاد الإسلامية حيث يؤكد على أن مأساة الشرقي تكمن في أن " العربي مازال مفصوم الشخصية متضارب المواقف لايدري محل ولائه الأول هو الدين أم الوطن " ، فنادى في كتابه (فلسفة ابن رشد) بفصل الدين عن الدولة من خلال سيادة النظام العلماني ، يقول **فرح أنطون** الداعي لفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية هو خمس أمور :

---

[1] - حسنين توفيق إبراهيم ، ***تحليل ردود الأفعال العربية تجاه أحداث أيلول / سبتمبر وتداعياتها*** " ، أحمد يوسف أحمد (محررا) ،***صناعة الكراهية في العلاقات العربية – الأمريكية*** ، ط 3 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007 ، ص 333 - 335

[2] - زكريا فايد ، ***العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب*** ،(د.م.ن) : الزهراء للإعلام العربي،1988 ،ص103 .

- **الأول** : وهو أهمها إطلاق الفكر الإنساني من كل قيد خدمة لمستقبل الإنسانية .
- **الثاني** : الرغبة في المساواة بين أبناء الأمة ، مساواة مطلقة بغض النظر عن معتقداتهم أو مذاهبهم ولاسبيل لذلك إلا بهدم الحواجز الموضوعة ، أو أن تحكم بينهم سلطة ليست تابعة لمذاهبهم ، لان الحق البشري ليس منوط بالأديان بل هو فوق الأديان .
- **الثالث**: إنه ليس من شؤون السلطة الدينية التدخل في الشؤون الدنيوية لان الأديان شرعت لتدبير الآخرة وليست لتدبير الدنيا .
- **الرابع** : استحالة الوحدة الدينية وهو ما دعا غلى الفتنة والاضطراب في الإسلام والمسيحية ، وإلى هذا السبب تنسب الحوادث الدموية التي حدثت فيها.
- **الخامس** : استمرار الضعف في الأمة مادامت جامعة بين السلطة الدينية والمدنية .[1]

وقد خلص **علي عبد الرازق** في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) ـ الذي أثار جدلا واسعا . إلى إستناجات حول مفهوم جديد للإسلام حيث يقوم على فرضيتين هما :

- **الفرضية الأولى** : الخلافة ليست متأصلة في الإسلام ، فهي ليست ضرورية حيث يقول " إن المصدرين الأساسيين للإسلام (الحديث والسنة) لايذكران شيئا عن الخلافة ،كذلك الإجماع لم يتم حولها ، لذلك أصبحت الخلافة مصدر انقسام وتمرد بين المسلمين " .

- **الفرضية الثانية** : إن القول بفصل الدين عن الدولة في الإسلام يفترض أن الإسلام كالمسيحية دين يحمل رسالة عالمية ،حيث يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم مارس السلطة التي فرضتها ظروف زمانه الخاصة ، فعمله يجب أن يفسر على انه محاولة لإيجاد دولة أو انه كان جزءا من رسالته الدينية التي انتهت بوفاته ، وكان على المسلمين أن ينظموا أمورهم في شكل حكومي ما ، فالتشريع القرآني لم يدع إلى الجمع بين السلطات الدينية والمدنية ،إذن يجب أن تناط جميع الشؤون المدنية بعد زوال الخلافة إلى

[1] إنعام أحمد قدوح ، ***مرجع سابق*** ،ص 65، 66 .

سلطة علمانية كما يجب ان تعدل جميع القوانين ، عدا القوانين الدينية الصرفة ، لتتناسب مع الظروف القائمة ".[1]

ومن رواده **شبلي الشميل** (1850-1917)حيث آمن الشميل بالعلم الحديث ، وفي مشروعه التحديثي يرى أن خروج الأمة العربية من مأزقها السياسي والاجتماعي والثقافي لايتأتى إلا بالعلم الذي يحرر الإنسان من التعصب والجهل ،والابتعاد عن الدين الذي يعتبر عنصرا للتفرقة .[2]

إن الحديث عن علمانية المفكرين العرب يقودنا بالأساس إلى تأثيرات مختلف الظروف التاريخية التي ساهمت في تبني هؤلاء الفكر العلماني ومن أهمها فالحديث عن نشأة مراحل تطور العلمانية في الفكر العربي ، يكون مقرونا بفرضية نهاية الدولة الدينية التي تمثلت سقوط الخلافة العثمانية ، التي تتضح معالمها مع بدء فكرة انفصال العرب عن الدولة العثمانية ، وقيام الدول العربية المدنية التي تقف بين الواقع الاجتماعي العربي وخصوصياته الدينية .

وقد كان محمد علي باشا (1805 – 1848(اليوناني من أصل ألباني) حيث كان من مؤسسي الدولة المدنية العربية حيث حكم مصر في الفترة ما بين (1805/7/9- 1848/9/1) ، إن محمد علي الذي حكم مصر ووصف بالحداثة والمدنية ، وهو الملك الذي نقل الحضارة الغربية إلى مصر ، والذي شجع القوى العلمانية المصرية والعربية ، حينها كان محمد علي خارج السلك العسكري ، ولكن الظروف شاءت أن يكون متطوعاً في كتيبة مدينة (قولة) مسقط رأسه ، وهي مدينة ساحلية يونانية صغيرة تتبع الدولة العثمانية ، وتم نقل هذه الكتيبة بحرا إلى ساحل أبو قير بالإسكندرية في مارس عام 1801.

إن المصادفة التاريخية وحدها التي جعلت محمد علي بطلا قومياً ، وسبباً لدخوله التاريخ بعد معركة الرحمانية التي أجبرت الفرنسيين على الانسحاب دون مقاومة لأسباب غير معروفة ، وتقديراً لشجاعته جرت ترقيته إلى رتبة بكباشي ثم رتبة لواء ، خلالها شهدت مصر صراعات مصيرية على النفوذ بين فرنسا وانجلترا وهولندا واسبانيا ، أُجبرت بريطانيا على توقيع معاهدة الصلح في 27 مارس سنة 1802 ، التي عرفت بمعاهدة صلح (أميان AMIENS - (من شروطها جلاء الإنجليز عن مصر ، ومن جهة أخرى كانت تدور معارك شرسة بين المماليك والأتراك للسيطرة

---

[1] - ***المرجع نفسه*** ، ص 66 ، 67 .

[2] – زكريا فايد ،***مرجع سابق***، ص97 .

على مصر .

لقد استغل محمد علي ثورة الشعب ضد المماليك في مارس عام 1804 م ، كمحاولة للوصول إلى قمة السلطة ، وانضم لثورة المصريين في القاهرة عام 1805ضد العثمانيين ، بقيادة نقيب الأشراف **عمر مكرم** ضد الوالي العثماني خورشيد باشا ، وبسقوطه أعلنوا تنصيب **محمد علي** واليا على مصر في 13 مايو سنة 1805، وصار من مجرد جندي متطوع في إحدى الكتائب العسكرية العثمانية الى محمد على باشا سلطان مصر وبلاد الشام والحجاز والسودان وأوغندا ، وأجزاء من الحبشة واليونان ، حتى كاد أن يقضي تماماً على الخلافة العثمانية والدخول في مرحلة جديدة من الصراع لإقامة الدولة القومية العلمانية. [1]

وقد برزت تيارات سياسية وفكرية علمانية وقد برزت معها تيارات سياسية مغاربية ساهمت في التأثير على الحراك السياسي لأنظمة دول المغرب العربي هذا ما أدى إلى سيادة التوجه العلماني في المنطقة .وعلى غرار دول المشرق العربي كانت لدول المغرب العربي نصيبا في تواجد هذا التيار على مستوى أقطارها فقد برزت تيارات فرانكفونية ساهمت في التأثير على مسار الأنظمة السياسية للدول المغاربية ومن بينها التيار الفرانكفوني في الجزائر الذي يعتبره الكثيرين خليفة فرنسا في الجزائر فهو الذي تمكنت فرنسا من احتوائه والتشبع بالثقافة الغربية وبسبب الدعم الخارجي تمكن من الوصول إلى مراكز صناعة القرار في الجزائر .

ومن أهم رموز هذا التيار خالد نزار قائد الجيش والقائد السابق في الجيش الفرنسي لمدة أربع سنوات امتدت إلى ماقبل الاستقلال والذي قاد الانقلاب على **الشاذلي بن جديد** سنة 1992 ولم يظهر هذا التيار مباشرة بعد الاستقلال بسبب تعاظم التيار القومي العروبي أيام **بن بلة** ،لكن بإشراك الرئيس الأسبق بومدين العسكر الذين تخرجوا من فرنسا في الجيش لمواجهة المعارضة وقد وجدت فرنسا الفرصة لردع هذا التيار ليصبح القوة المهيمنة على الساحة السياسية في الجزائر. [2]

---

[1] - محمد المرياطي ، ***مصادر الفكر العلماني منذ مطلع القرن الثامن عشر*** ، الحوار المتمدن ، عدد 2861 ، 2009/12/17 ، نقلا عن :بتاريخ 2011/07/20 http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=221090

[2] رضوان أحمد شمسان الشيباني ، ***الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي*** ،القاهرة: مكتبة مدبولي، 2006 ، ص148-149.

كما قاد **الحبيب بورقيبة** التوجه العلماني الحداثي منذ الاستقلال فقد منع تعدد الزوجات وأناط الطلاق للمحاكم المدنية وفق قوانين علمانية ، وسيأتي بالتفصيل جميع المظاهر العلمانية في عهد بورقيبة في جزء موالي من أجزاء البحث.

المطلب الثاني : تيار الإصلاح الديني

ظهرت هذه الحركة محاولة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة وقد تبناها المصلح الدين الأفغاني (1839-1897)وساعده في ذلك محمد عبده (1849-1905) والكواكبي(1845-1902)إذ تبنت هذه الحركة منذ نشأتها فكرة التعايش مع الحكم الأوروبي ومؤثراته الحتمية وبعض تشريعاته ،جاهدة قدر الإمكان صياغة تلك المؤثرات – إسلاميا –وإلباسها بالمصطلح الإسلامي :

- الديمقراطية تتطابق مع الشورى .
- المصلحة العامة تتوازى مع المصلحة الشرعية .
- الرأي الحديث يقارن بمبدأ الإجماع الفقهي .
- الضريبة تتوازى مع الزكاة.[1]

يقول **جون إسبوزيتو** (John Esposito) " أن القيم والاهتمامات الدينية المشتركة ستصبح باردة بقدر ما ، وبالتدريج ستصبح الرهانات الألفية الجديدة التي سيتواجد فيها الإسلام بنفس القدر مثل المسيحية واليهودية ، ليس في البلدان الإسلامية فحسب ، ولكن في أوروبا وأمريكا أيضا " .

لقد كانت لحملة نابليون على مصر وإصلاحات محمد علي الفكرية والثقافية أثرهما البالغ على الكثير من المفكرين المسلمين إذ أتاح لعدد منهم تعلم اللغات الأوروبية والإقامة لفترات طويلة من الزمن في أوروبا أتاحت لهم الاطلاع على مختلف المؤسسات فيها وكذا دراسة التيارات الفكرية المتعددة .

و قد كانت عودة المجتمعات العربية لاسيما منها المغاربة إلى الإسلام بمعدلات كبيرة في الثمانينات من القرن الماضي . فبعد سقوط الإتحاد السوفياتي مع نهاية الثمانينات على صعيد الفكر و الممارسة لم تكفي أمام الشعوب الإسلامية عند الصحوة العقائدية لمواجهة الأنظمة العلمانية .

---

[1] - محمد جابر الأنصاري ، ***تحولات الفكر والسياسة في الشرق الوسط 1930-1970*** ، سلسة عالم المعرفة ،الكويت : الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، نوفمبر 1980 ،ص 8-9 .

و بهذا فقد ظهرت للعيان حركات إسلامية في الأقطار المغاربية حيث يقصد بالحركة الإسلامية كما يعرفها راشد الغنوشي _زعيم حركة النهضة في تونس _جملة النشاط المنبعث بدوافع الإسلام لتحقيق أهداف و تحقيق المستمر له من أجل ضبط الواقع و توجيهه أبدا .[1]

ففي الجزائر ظهرت العديد من الجمعيات الإسلامية و التي كانت تمثل امتداد لجمعية العلماء من أبرزها :

- **جمعية القيم** : أنشئت في بداية الستينات و شارك في تأسيسها عباس مدني و العرباوي .اللذان شاركا في تأسيس الجمعية الإسلامية للإنقاذ و قد أصدرت مجلة التهذيب الإسلامية و قد أوقفت نشاطها عام 1964 بناء على طلب من الرئيس عبد الناصر بسبب مطالبتها بإلغاء حكم الإعدام على سيد قاطن مما أعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية لمصر .
- **جمعية التذكير** : أنشئت في منتصف الستينات على يد المفكر (مالك بن نبي) و التي ساهمت في قيام حركة ثقافية بين طلاب الجامعات عبر مشروع مساحة الجامعة .

بالإضافة إلى جمعيات أخرى نذكر منها جمعية الإرشاد و الإصلاح برئاسة محفوظ نحنح و جمعية دار الأرقم التي أنشئت على يد عباس المدني سنة 1982 و قد بدأ أول تحرك علني للتيار الإسلامي من نفس السنة عندما دعا القيصر الفقيه إلى تجمع شعبي كبير للاحتجاج و المطالبة بمزيد من الحريات السياسية .[2]

وقد انقسم المشهد الحركي الإسلامي في المغرب إلى تيارين رئيسيين هما:

1_ **تيار المشاركة** : الذي مثله حزب العدالة و التنمية و حركة التوحيد و الإصلاح إذ قيل هذا التيار للتعاطي مع قواعد اللعبة السياسية .

حيث تأسست حركة التوحيد و الإصلاح عام 1982 و هدفها هو الاندماج في الحقل السياسي تمهيدا لاحتلال الموقع المفضل فيه و قد انتزعت بداية الحركة اعتراف السلطة بصورة غير مباشرة بالعمل تحت عباءة حزب الدكتور الخطيب للحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية .و قد فارقت ب9 مقاعد برلمانية في انتخابات سنة 1998.

2- تيار المقاطعة :

---

[1]- راشد الغنوشي ، ***الحركة الإسلامية ومسألة التغيير*** ، تونس : دار قرطبة للنشر والتوزيع ،2003 ، ص14

[2] - رضوان احمد شمسان الشيباني ، ***مرجع سابق*** ، ص 149 -150 .

يضم هذا التيار قاعدة واسعة من التشكيلات الإسلامية جماعة العدل و الإحسان ، حركة البديل الحضاري و الحركة من أجل الأمة ، إلا أن التنظيم الأبرز فيه على الإطلاق هو جماعة العدل و الإحسان ، بحكم تاريخها و إمكاناتها و حضورها الذي يفوق _كما و نوعا _ باقي التشكيلات التي لا تزال تجتهد ، بكثير من التعثر ، في بلورة مجرد الحضور الإعلامي في الحياة السياسية و الاجتماعية.

تعطي الجماعة (العدل و الإحسان) الانطباع بأنها تمثل تيارا منظما متماسكا ، و مصمما على تحقيق مشروعه . و بالرغم من كونها جمعية لم تحظ بعد باعتراف السلطات بها رسميا ، فإنها تمثل أهم جماعة على الساحة الإسلامية المغربية من حيث العدد و طبيعة التأطير،إنها جماعة تمتزج في تركيبتها الكاريزماتية بالنضال السياسي و الديني ، و يعتبر الشيخ **عبد السلام ياسين** العنصر المحوري في الحركة الإسلامية المغربية و المنظر الرئيسي لها ، و هو يحظى باحترام و تقدير أتباعه و خصومه على السواء ، و إنتاجه الفكري الذي يعد بالعشرات يدل على عمق وسعة اطلاع الرجل ،و أهم كتبه **المنهاج النبوي** (1989) الذي يمكن اعتباره المرجع الإيديولوجي الذي يؤطر أنشطة و مواقف وتوجهات الجماعة .

لقد حرص المرشد العام للجماعة منذ أن تجاوز محنته(الأولى) عقب الرسالة الشهيرة التي وجهها إلى الملك الراحل (الإسلام أو الطوفان) على صياغة خطاب سياسي منسجم مع المنطق العام الحاكم لفكره السياسي و الديني .و بالرغم من عدم وجود (ملف مطلبي) لدى الجماعة بالمعنى المتعارف عليه ، إلا أن من الممكن أن نستخلص من ثنايا أدبياتها عددا من المطالب الأساسية _ العامة جدا _ التي تجمع بين الثوابت العامة الدينية و الخصوصية المجتمعية للمغرب ، و يمكن تلخيص أهم تلك المطالب على النحو التالي :[1]

أ –الدعوة إلى بناء (مجتمع مؤمن يستظل بظلال الإسلام) خال من (دواعي الفتنة الفردية و الجماعية التي يسببها الجهل بالدين و ترف المترفين و تبذيرهم) متحرر (من جبرية الحكم و استبداده) .

ب – رفض الأساس الفلسفي و القيمي الغربي للديمقراطية و تجلياتها اللائكية ، مع الإقرار بأهميتها في الآن ذاته كآلية لصيانة و تطوير الحقوق و الحريات المكتسبة و الدعوة إلى اكتسابها مضمونا إسلاميا (الديمقراطية = الشورى).

---

[1] - عبد الحكيم بن شماش، "***مستقبل حركات الإسلام السياسي في المغرب***"، المستقبل العربي : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 325 ، 3 مارس 2006 ،41-46

ج- اعتبار القوانين الوضعية (أساسا شرعيا للحكم الاستبدادي) و من هنا (ضرورة اعتماد الشريعة –دستوريا – مصدرا للتشريع) و بدل الانخراط في لعبة المؤسسات الدولية القاضية بملائمة القوانين الوطنية مع المعاهدات الدولية، يجب العمل على ملاءمتها مع الشريعة الإسلامية.

د- الدعوة إلى إقامة اقتصاد إسلامي يرتكز على البواعث الدينية و الأخلاقية ، مع التركيز على إشاعة العدالة الاجتماعية بما يتوافق مع روح الدين وفلسفته.

هـ- إعادة المنظومة التربوية و التعليمية على أسس تعيد للمجتمع هويته الإسلامية الحقة وتنزع عنه مالحق به من تغريب .

خلاصة:

لقد تم التطرق في هذا الفصل إلى أهم المرجعيات الفكرية والسياسية للعلمانية في منطقة المغرب العربي حيث تم في المبحث الأول التطرق للمكانة الجيوسياسية لمنطقة المغرب العربي التي مكنتها من جعلها منطقة أطماع من قبل مختلف القوى الاستعمارية، الفينيقيين بداية وانتهاء بالمستعمرين الفرنسي والايطالي .

إلى جانب ذلك مايميز المنطقة الموارد الطبيعية والتي تتنوع مابين الإنتاج الزراعي و الإمكانيات الصناعية المتمثلة في الأساس في البترول .

وفي المبحث الثاني تم التطرق إلى أهم المحددات الداخلية والخارجية لتبني الخيار العلماني في المنطقة المغاربية والمتمثلة أساسا في تأثيرات السلطة المستعمرة و النخبة الفرانكفونية خلال فترة الاحتلال وبعدها إضافة إلى العلاقات الأورومغاربية و السياسات الأمريكية في المنطقة كمحددات خارجية وحديثة .

وفي المبحث الثالث عرج البحث إلى أهم التيارات السياسية الرئيسية في منطقة المغرب العربي والمتمثلة في الأساس في تيار التنوير العلماني و تيار الإصلاح الديني .

الفصل الثالث

العلمانية في تونس

لمحة عامة عن إفريقيا *

يبلغ عدد سكان تونس 10.435.000 مليون نسمة ديانتهم الإسلام و1 %مسيحيين و1 %يهود ، وما يميز تونس أن ليس لها انقسامات عرقية عميقة حيث يبلغ العرب فيها الأغلبية بنسبة 98% وأوروبيون 1 % ويهود وغيرهم 1% ، أما الحكم في تونس فهو جمهوري يخضع لتعدد الأحزاب .[1]

لايختلف تاريخ تونس عن باقي الدول المغاربية لكن حاولنا من خلال هذا البحث أن نبرز نموذج الدراسة من الناحية التاريخية ومن الناحية الجيوسياسية.

إن موقع تونس في مكان وسط من الساحل الأفريقي الشمالي ، حيث يتغير اتجاهه العام ، ويسير من الجنوب إلى الشمال ، بدلا من أن يستمر امتداده نحو الغرب ، وبهذا تخرج تونس من المنطقة الصحراوية وتدخل في حيز المنطقة التي ينزل فيها المطر الغزير خصوصا في الشتاء [2]، وهذا ما أدى إلى زيادة الأطماع الاستعمارية فيها عبر الحقبات التاريخية المختلفة ، حيث عرفت المنطقة تعاقب العديد من الحضارات التي جلبتها ثروات هذه الأرض وأهمية موقعها الإستراتيجي في قلب حوض البحر الأبيض المتوسط وساعد على دخولها الانفتاح الطبيعي لتونس وسهولة تضاريسها. ويعد قدوم الفينيقيين بداية دخول المنطقة فترة التاريخ بتأسيسهم لدولة قرطاج . فقد عرفت تونس سيطرة الفينيقيين والرومان والوندال والعرب والبربر سكان المغرب الأقصى والأسبان والأتراك وأخيرا الفرنسيين.

لتونس مكانة تاريخية وجغرافية و إستراتيجية فهي همزة وصل بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب حيث تكتسي تونس أهمية من نواحي أربعة :

1 - البعد التاريخي والطويل لتونس على المدى الطويل وعلى مدى المراحل المتعددة .
2 - الوزن المعتبر لتونس على مستوى البحر الابيض المتوسط .
3 - تونس كمفترق طرق استراتيجي في البحر الابيض المتوسط .
4 - تونس كأرض للتسامح وتقبل التقاربات والحوارات .[3]

---

[1] - كمال موريس شربل ، ***مرجع سابق*** ، ص 142

[2] - حسن محمد جوهر ، ***شعوب العالم : تونس*** ، ط 2 ، مصر : دار المعارف ، 1968 ، ص1 .

3-Mohhieddine Hadhri , ***« La Tunisie Méditerranéenne. Un pont Entre Les Deux Rives***, *Dans* ***La méditerranée et le Monde arabo-Méditerranéen aux port du XXI siècle*** ,Tunisie ; centre du publication, Universitaire ,2003 mP41

عرفت تونس تاريخا يعود لعهود سحيقة إذ يعود ظهور الإنسان في المنطقة التي تعرف اليوم بتونس إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث تم العثور على آثار نشاط إنساني يعود إلى العصر الحجري القديم السفلي .

1 - **العهد البونيقي** : لقد سيطر الفينيقيون أو البونيقيون طيلة ألف سنة من أواخر الألف الثانية حتى سنة146 قبل الميلاد أي حتى تاريخ تهديم قرطاج ،وقد استطاعوا بفضل رسوخ أقدامهم ومناعة مراكزهم أن يحتكروا جميع المبادلات مع الخارج وأن ينفردوا بأحدث التقنيات و وأكثر النظم إحكاما بالنسبة إلى ذلك العصر ، أما سكان البلاد الأصليين فقد كانوا رعايا خاضعين لنفوذ قرطاج وهم إما :

- اللوبيون وقد سكنوا قسم كبير من القطر التونسي .
- النوميديون المسيليون وهم مستقين عن التأثير العميق الذي كان للفينيقيين وكانوا متواجدين في غرب البلاد التونسية الحالية وفي مقاطعة قسنطينة .

ومن المتعارف إن تأسيس المدينة الجديدة " قرط حدث أو قرطاج " يعود إلى سنة 814 قبل الميلاد أي أربعين سنة قبل بداية الألعاب الاولمبية وستين سنة قبل ظهور اليونانيين في الغرب وقبل التأريخ الرسمي لتأسيس روما .

2 -**العهد الروماني** (**146 ق.م – 431** م)

قرر الإمبراطور الروماني **يوليوس** قيصر إعادة بناء مدينة قرطاج بعد أن كانت أوتيكا العاصمة ولكن أعمال البناء لم تبدأ رسميا إلا مع خلفه أوغسطس وبذلك بدأت فترة ازدهار في المنطقة حيث أصبحت أفريقية مخزن حبوب روما. حيث أصبحت ممالك قرطاج في سنة 146 ق.م ملكا للشعب الروماني وهو ما يوافق تقريبا الثلث الواقع في الشمال الشرقي للبلاد التونسية الحالية .

لقد تسارعت حركة انتشار الحضارة الرومانية منذ بداية القرن الثاني وتسارعت معها حركة الأفارقة حيث بلغ عدد الارستقراطيين الرومانيين المنحدرين من أصل إفريقي نسبة 15 بالمائة وفي عهد السفريين وحتى بعد ذلك العهد بلغت إفريقيا درجة عالية من الازدهار والقوة وأصبحت آنذاك على حد قول **كورتوا** " شبيهة بالمزرعة الكبيرة المستثمرة استثمارا تاما محكما" ، فقد عمت المنتوجات من قمح وزيوت ، حيث شهدت تطور كبير في تقنيات الري والفلاحة [1].

[1] - محمد الهادي الشريف ، ***مرجع سابق*** ، ص 17 -29.

إضافة إلى ذلك مرت على تونس فترات تاريخية متعاقبة من بينها الفترة الوندالية مابين 431 و 533 ميلاد و الفترة البيزنطية سيطر البيزنطيون بسهولة على قرطاج سنة 533م ثم انتصر الجيش البيزنطي .

3 -**العهد الإسلامي** :

وصل الفتح الإسلامي إلى تونس في القرنين السابع والثامن ، ونشر المسلمون الدين بسرعة ،وهدموا مدينة قرطاجة عام 698 م ، وبنوا مدينة تونس لكنهم لم يتمكنوا من إخضاع البربر وفي المرحلة الممتدة بين مطلع القرن الثالث عشر ونهاية القرن السادس عشر أصبحت تونس مركزا علميا ودينيا مزدهرا .

وقد تعاقبت على الدولة التونسية أربع دول إسلامية كانت كالآتي :

- **الدولة الأغلبية (800 –910 م)**
- **الدولة الفاطمية (910 –973 م)**
- **الدولة الزيرية (973 م– منتصف القرن الحادي عشر ميلادي)**
- **الدولة الحفصية (حوالي 1230 – 1574 م)**

وفي العام 1584 وقعت تونس تحت الحكم التركي ، وفي عام1705 قامت الأسرة الحسينية التي حكمت البلاد حتى تأسيس الجمهورية .[1]

شهدت تونس الفترة الاستعمارية الأخيرة والمتعلقة بالحماية الفرنسية لتونس سنة 1881.

[1] – كمال موريس شربل ، ***مرجع سابق*** ،ص 136 .

خريطة تونس المصدر:http://www.langue-arabe.fr/spip.php?article245

المبحث الأول:مظاهر النهج العلماني في البنية العامة للنظام السياسي التونسي

المطلب الأول: مظاهر العلمانية من الناحية القانونية

ركز البحث في دراسة مظاهر النهج العلماني من الناحية القانونية على مرجعين أساسيين في تونس وهما دستور الجمهورية التونسية ومجلة الأحوال الشخصية .

الفرع الأول : دستور الجمهورية التونسية

إن واضعي الدستور التونسي حاولوا التوفيق بين هدفين تمثل الأول في إقامة دولة ديمقراطية أساسها سيادة الشعب وقوامها نظام سياسي يرتكز على التفريق بين السلط أي أنها ديمقراطية على النمط الليبرالي أما الثاني فهو هدف تشترك فيه جميع دساتير الدول الحديثة العهد بالاستقلال وهو الاضطلاع ببناء الدولة و تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها.

وما يلحظ هنا أن كلا الهدفين مختلفين : هدف الدولة الليبرالية إلى جانب ذلك أعطى الدستور صلاحيات كبيرة للدولة ومنح لها الريادة في كل المجالات ، ولهذا أكد المجلس القومي التأسيسي على ضرورة إقامة سلطة تنفيذية قوية، وقد انعكست هذه الإرادة في النص الأصلي للدستور الأول من جوان1956 إذ اخذ بأهم مبادئ النظام الرئاسي مع تقوية لصلاحيات رئيس الجمهورية.

واستمرت هذه الرؤية مع التعديلات الخمس عشر التي عرفها الدستور التونسي والتي نذكر أهمها :

- تعديل 31 ديسمبر 1969 والذي كرس في صلبه مؤسسة الوزير الأول.
- تعديل 19 مارس 1975 والذي أقر الرئاسة مدى الحياة لفائدة الرئيس الحبيب بورقيبة.
- تعديل 08 أفريل 1976 والذي شمل قرابة ثلثي فصول الدستور ،حيث دخل تقنيات عادة ماتدخل في إطار النظام البرلماني مثل لوم الحكومة وحل البرلمان من قبل الرئيس ، هذا بالإضافة إلى تكريس تقنية الاستفتاء .
- تعديل 25 جويلية 1988 والذي أعاد تنظيم السلطة التنفيذية وعلاقتها مع السلطة التشريعية.
- تعديل 27 أكتوبر 1997 والذي شمل العديد من الفصول واهم هذه التعديلات تعديل لوظيفة تشريع القانون .

- أخيرا تعديل 01 جوان 2002 والذي غير تركيبة البرلمان ليصبح برلمانا ذو مجلسين وذلك بإنشاء مجلس المستشارين إضافة إلى مجلس النواب.[1]

تخلو فصول الدستور التونسي منذ إنشائه من أي إشارة إلى تبني النهج العلماني كنظام سياسي للدولة وهذا مايؤكده الفصل الأول من الباب الأول من دستور الجمهورية التونسية حيث ينص على :

"تونس دولة ، حرة ، مستقلة ، ذات سيادة ، الإسلام دينها ، والعربية لغتها، والجمهورية نظامها."[2]

عند تحليلنا للمادة الأولى من الدستور نجد أن تونس رسميا هي دولة ذات توجه إسلامي وهذا ما أكدته الجملة – الإسلام دينها– كما أكد صفة الإسلام على أهم مكونات الدولة الحديثة ألا وهو الشعب وذلك حسب ماورد في الفصل الثالث من الباب الأول "**الشعب التونسي هو صاحب السيادة يباشرها على الوجه الذي يضبطه هذا الدستور**" [3]

كما أكد الدستور على أن يكون رئيس الجمهورية مسلما وذلك حسب الفصل 38 الذي ورد في القسم الأول من الباب الثالث – السلطة التنفيذية – والتي تنص على "**رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ودينه الإسلام**"[4]

إن نص الدستور التونسي على صفة الإسلام على أهم ثلاث مستويات في أي دولة حديثة ألا وهي :

- ✓ الدولة
- ✓ رئيس الدولة
- ✓ الشعب المكون لهذه الدولة .

يؤكد من الناحية القانونية على أن الجمهورية التونسية هي جمهورية إسلامية وهذا ما يتناقض و النهج العلماني المتبنى من قبل رأس السلطة التنفيذية ألا وهو الحبيب بورقيبة منذ فجر الاستقلال كما يتناقض مع مواد دستورية أخرى تقر حرية المعتقد وهذا مانص عليه الفصل الخامس من الباب الأول " **الجمهورية التونسية تضمن حرمة الفرد وحرية**

---

[1] - محمد شفيق صرصار،***مناظرة الدخول إلى المرحلة العليا: القانون المحور الأول القانون الدستوري والمؤسسات السياسية*** ، الجمهورية التونسية : المدرسة العليا للإدارة ، سبتمبر 2007 ،ص 47 .

[2]- الجمهورية التونسية ، الدستور ، ***الفصل الأول من الباب الأول***، ص6 .

[3] المرجع نفسه، ***الفصل الثالث من الباب الأول*** ، ص 6 .

[4] – المرجع نفسه، ***الفصل38 من الباب الثالث*** ، ص 11 .

المعتقد تحمي حرية القيام بالشعائر الدينية ما لم تخل بالأمن العام" إن الدارس للواقع السياسي لأي دولة في العالم لاسيما الدول النامية يجد قاعدة أساسية وصحيحة ليس كل ماهو قاعدة قانونية هي قاعدة يعيشها المجتمع وتطبقها النخبة الحاكمة فمجلة الأحوال الشخصية في تونس خير دليل عن ذلك .

الفرع الثاني : مجلة الأحوال الشخصية في تونس

بأمر مؤرخ في 13 أوت 1956 تم إصدار مجلة الأحول الشخصية بتونس التي كانت من أهم الأسباب التي أدت بالمفكرين العرب والمسلمين إلى أن يطلقوا على الحبيب بورقيبة الرجل العلماني لأنه تبنى من خلال هذه المجلة قوانين مخالفة للشريعة الإسلامية خصوصا فيما يتعلق بمسألتي الزواج والطلاق .

حيث ينبني الزواج وفق مجلة الأحوال الشخصية في تونس على المساواة التامة بين الرجل والمرأة ويبرز ذلك من خلال مقتضيات عديدة أهمها :

- منع تعدد الزوجات، إذ ينص الفصل 18 من المجلة على أن " تعدد الزوجات ممنوع " كما نص على عقاب من يخالف ذلك حيث ينص الفصل 18 بعد ماتم تنقيحه بالقانون عدد 70 لسنة 1958 المؤرخ في 04 جويلية 1958 وأضيفت إليه الفقرات 3 و4 و5 بالمرسوم عدد 1 لسنة 1964 المؤرخ في 20 فيفري 1964 المصادق عليه بالقانون عدد 1 لسنة 1964 المؤرخ في 21 أفريل 1964 " كل من تزوج وهو في حالة الزوجية وقبل فك عصمة الزواج السابق يعاقب بالسجن لمدة عام وبخطية قدرها مائتان وأربعون ألف فرنك أو بإحدى العقوبتين ولو أن الزواج الجديد لم يبرم طبقا لأحكام القانون. "[1]
- كما وضع القانون حدا لوضع الجبر الذي كان يتمتع به الأب وأصبحت المرأة تزوج نفسها بنفسها ولو كانت بكرا .
- الطلاق ينبني الطلاق على المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، ولا يقع الطلاق حسب الفصل 30 من المجلة "إلا لدى المحكمة "[2] يتم الطلاق في إحدى الحالات الثلاث:

1/ بتراضي الزوجين .

---

[1] - ***مجلة الأحوال الشخصية التونسية*** ، ص 7 .

[2] - ***المرجع نفسه*** ، ص 8 .

2/ بناء على طلب أحد الزوجين بسبب ماحصل له من ضرر.

3/ برغبة من الزوجة إنشاء الطلاق أو مطالبة الزوجة به .

وينص الفصل 31 من فقرته الثالثة للمرأة فقط حق الاختيار بالنسبة للتعويض المادي بين رأس مال يسند إليها دفعة واحدة أو جراية عمرية تدفع لها كل شهر .

المطلب الثاني :مظاهر العلمانية من الناحية السياسية

تجلت المظاهر السياسية للعلمانية في تونس من خلال عهدين :

- عهد الرئيس الحبيب بورقيبة
- عهد الرئيس زين العابدين بن علي .

الفرع الأول: عهد الرئيس الحبيب بورقيبة

ولد الحبيب بورقيبة سنة 1903 وولج الميدان السياسي مبكرا [1] ،في شهر نوفمبر من سنة 1937، عبر بورقيبة بوضوح عن توجهه وإستراتيجيته خلال المؤتمر الثاني للحزب الدستوري وقال :" إن الاستقلال لن يتحقق إلا بثلاث طرق وتتمثل الأولى في ثورة شعبية عنيفة عارمة تقضي على الحماية ، والثانية هي هزيمة فرنسا في حربها ضد دولة أخرى ، أما الثالثة فتنطوي على حل سلمي يتم على مراحل بمساعدة فرنسا نفسها و تحت إشرافها ،إن اختلال توازن القوى بين الشعب التونسي وفرنسا يلغي أي حظ في انتصار شعبي، كما أن هزيمة عسكرية فرنسية على يد دولة أخرى لن تساعد عملية الاستقلال بل تسقطنا بين مخالب استعمار جديد فلا مجال إذن للخلاص إلا بالطرق السلمية وتحت رعاية فرنسا ".[2]

لقد تبنى بورقيبة منذ الفترة الاستعمارية الفرنسية الحلول السلمية للقضية التونسية وهذا ماجعله يقيم علاقات ودية مع القيادة الفرنسية خلال الحماية وبعدها .

فمنذ الاستقلال السياسي لتونس وحتى عام 1987 حكمت تونس بحزب سياسي واحد ألا وهو الحزب الاشتراكي الدستوري بزعامة الحبيب بورقيبة الذي دخلت البلاد تحت حكمه في عملية تحديث ونمو اقتصادي سريعة

---

[1]- Claude Liauza, "Bourguiba héritier de Tahar Haddad et des militants des années 1920" , Michel Camau et Vincent Geisser , ***Habib Bourguiba la trace et héritage*** ,p20.

[2] – الطاهر بلخوجة ، ***الحبيب بورقيبة : سيرة زعيم شهادة على العصر*** ، القاهرة : الدار الثقافية للنشر ، 1999 ، ص 4 .

لدولة ما بعد الاستقلال، بدأت بمحاولات وجيزة غير ناجحة للإصلاح الاشتراكي أعقبتها مباشرة المحاولات المبكرة نحو الليبرالية الاقتصادية.[1]

لقد جعل بورقيبة من التحديث شعار الدولة التونسية المستقلة وفي ظل ذلك عمل على طمس كافة العلاقات والروابط التقليدية العائلية والعشائرية والقبلية والدينية والتخلص منها فألغى المحاكم الشرعية ، وأوقف التعليم في الجامع الأعظم ، وحل الأوقاف ، وأصدر مجلة الأحوال الشخصية التي تمنع تعدد الزوجات وحول مقرات الزوايا والطرق الصوفية إلى مراكز للحزب الدستوري الجديد وعمم التعليم الفرنكو- عربي.

وقد تجلت مظاهر العلمانية في عهد الرئيس بورقيبة في موقفين مهمين :

- **موقف بورقيبة من العروبة** : اتسم بنوع من الازدواجية فهو لا يتوانى عن الاعتراف بانتماء تونس إلى الأمة العربية كما جاء في خطابه يوم 13 ديسمبر1963 حيث يقول : "هدف نصبو إليه جميعا وضرورة في عصر التكتلات ، وهي وسيلة لرد الأطماع والصمود اتجاه الضغوط الخارجية " وهي ما اقتضته الضرورة البروتوكولية والسياسية في علاقته مع زملائه الحكام العرب.لأنه في المقابل بورقيبة صاحب المقولة الشهيرة :"إن مايربطنا بالعرب ليس إلا من قبيل الذكريات التاريخية ، وإن مصلحة تونس أن ترتبط بالغرب وفرنسا بصورة اخص ،وإن مرسيليا اقرب لنا من بغداد ودمشق والقاهرة ، وإن اجتياز البحر الأبيض المتوسط لأسهل من اجتياز الصحراء الليبية" ، إن هذه المقولة تناقض سابقتها وهذا إن دل على شيء فانه يدل على تناقض مواقف بورقيبة حول موضوع العروبة.

يرى بورقيبة أن الانتماء لتونس هوية قائمة بحد ذاتها ، وهو مايعكسه بقوله: "الوطن التونسي لا الوطن العربي ، لان تونس لها شخصيتها منذ آلاف السنين ، منذ عهد قرطاج ، أما العرب فيشكلون عدة أمم وهو مايؤكد انقسامهم إلى عدة دول ".كما ينعكس موقف بورقيبة من خلال آرائه ومواقفه المتعلقة باللغة العربية ومن خلال تبجيله للعامية ، فقد جاء في خطابه في 29 يوليو 1968 في المنستير "إن اللغة العربية التي يتكلمها الشعب ويفهمها كل تونسي مهما كان نصيبه من الثقافة ، ومهما كانت الجهة التي ينتمي إليها ومهما تباينت الجهات ،

[1] سعد الشلماني، "***التغير الاقتصادي والسياسي في تونس: من بورقيبة إلى بن علي***"، المستقبل العربي، العدد 255، 23 ماي 2000، ص 255.

ليست الفصحى ، بل العامية لذلك من حق الأدب الشعبي والشعر الشعبي أن يحتلا مكانتهما عند الشعب وأن يكونا هما أدبه وشعره" .[1]

إن هذا الموقف لايقود إلى الازدواجية اللغوية فحسب بل تأتي اللغة العربية في المرتبة الثالثة بعد اللغة الفرنسية والعامية التونسية .وقد انعكس ذلك على اختيارات بورقيبة من المسؤولين السياسيين في المناصب العليا في هرم السلطة الذين كثيرا مايقع اختيارهم على خريجي الصادقية التي أسسها المصلح خير الدين باشا حيث فتحت المدرسة الصادقية بتونس العاصمة أبوابها أمام طلاب العلم يوم 27 فبراير عام 1875 وتخرج منها الحبيب بورقيبة و70 وزيرا تونسيا تمكنت هذه المدرسة من تخريج إطارات جديدة في المجتمع التونسي من القيادات الوطنية التي أرست دعائم التحديث الاجتماعي والاقتصادي في تونس.[2]

يقول **هردر** Harder* في موضوع اللغة " هل لشعب ما – ولاسيما لشعب جاهد- ثورة أثمن من لغة أجداده ؟في تلك اللغة تكمن كل ذخائر الفكر والتقاليد والفلسفة والدين وبها ينبض كل قلب الشعب، وتتحرك كل روحه .....فإن من ينتزع من مثل هذا الشعب لغته –أو يقصر في احترامها – يحرمه من ثروته الوحيدة التي لاتعرف البلى ، والتي تنتقل من الآباء إلى الأبناء ، على مر الأجيال ..."[3]

لقد تم إقصاء خريجي الزيتونة عن تولي تلك المناصب ، وهو ما اعتبر بمثابة الإقصاء لذوي التكوين الزيتوني- العربي . إن الإقصاء الذي تعرضت له لغة الدولة لم يكن عابرا وإنما جاء نتيجة التكوين الفرنكوفوني الذي عرفه رجالات وأعضاء السلطة في تونس.

- **موقف بورقيبة من الإسلام** : لم يكن موقف بورقيبة من الإسلام مختلفا عن ذلك ، فقد خضع

[1] - سالم لبيض، ***الهوية: الإسلام ، العروبة، التونسة***، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ،2009 ، ص 44 ، 45 .

[2] المنجي السعيداني ،" ***المدرسة الصادقية في تونس تحتفل بمرور 135 سنة على تأسيسها***"، الشرق الأوسط، عدد 11505 ،29ماي 2010 ،ص2

*كان هاردر 1742 -1803 من أوائل المفكرين الذين ركزوا على دراسة اللغة كعامل أساسي لوجود الأمم ، وأعطاها أهمية تفوق غيرها من العوامل .

[3] – سليمان صالح لغويل ، ***الدولة القومية : دراسة تحليلية مقارنة*** ،ط7 ، ليبيا : دار النهضة العربية، 2002،ص 107 ، 108 .

بدوره للازدواجية ، فإذا نظرنا إلى الفترة التاريخية الممتدة من سنة 1934 إلى سنة1956 سنلاحظ أن بورقيبة لم يتصادم مع الإسلام ولو لمرة واحدة ، بل كان يوظف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في نشاطه السياسي ، حتى أنه كان من دعاة تحجب المرأة ، وهو الاتجاه نفسه الذي كان ينتهجه في كثير من المناسبات الدينية ، مثل المولد النبوي الشريف ، وقد فعل ذلك في أثناء زيارة أحد قادة الدول الإسلامية إلى تونس ، فعند استقباله للملك فيصل في تونس سنة 1966 صرح قائلا إن الأساس الذي قامت عليه الدولة التونسية بعد استقلالها هو الإسلام .إلا أن تلك التصريحات كانت تنم على رؤية براجماتية كثيرا ماحكمت السلوك السياسي لبورقيبة خاصة عندما يعلم دارس التجربة السياسية البورقيبية أن بورقيبة صاحب المواقف التالية :

- وصف الصلاة بأنها " زقزقة مياه" وإنزال الرأس إلى الأرض ، وكون المصلي "يكب ويقعد ".
- الدعوة إلى التخلي عن الحج لما ينجر عن ذلك من نزيف للعملة ، وتعويضه بالحج إلى مقام الصحابي أبي زمعة البلوي في القيروان .
- فتح باب الاجتهاد لكل إنسان له "فكر حر"فيقبل من الإسلام مايراه صالحا ويترك مالا يراه كذلك ، دون الحاجة إلى المعارف الدينية والإلمام بالنصوص ومصادر التشريع التي تحتل المرتبة الأكثر أهمية من الاجتهاد ، مثل القرآن والسنة ، حتى أنه دعا إلى تغيير قانون الإرث ، وفي هذا الإطار جاء في قوله"فهل يكون من المنطق في شيء أن ترث الشقيقة نصف مايرثه شقيقها ...، فعلينا أن نتوخى طريق الاجتهاد في تحليلنا لهذه المسألة ،وأن نبادر إلى تطوير الأحكام التشريعية بحسب مايقتضيه تطور المجتمع وقد سبق لنا أن حجرنا تعدد الزوجات بالاجتهاد في مفهوم الآية الكريمة ...إلخ".
- التشكيك في القصص القرآني فهو القائل :" مثل قصة عصا موسى التي القي بها ، فإذا هي حية تسعى ، وقد كان الإيمان بالحية يمكن أن تخرج من الجماد سائدا أوروبا أيضا ولكنه انقرض تماما منذ عهد باستور ومن هذه الأساطير التي ظلت موضع إيمان الناس في البلاد العربية دهرا قصة أهل الكهف ، اللذين لبثوا رقودا مئات السنين ، ثم انبعثت فيهم الحياة .[1]

تعبر هذه المواقف على أن الرئيس الأسبق بورقيبة كان مناوئا للدين والعروبة وكل الطرق الصوفية والزوايا ،تندرج هذه المواقف ضمن توجه بورقيبة الذي يوصف بالعلماني في تناوله لقضايا الصوم ، وإباحة الإفطار في

[1] - سالم لبيض، ***مرجع سابق*** ، ص 45 ، 46 .

شهر رمضان ، وقضايا الربا ، حيث تجاهلت الدولة الوطنية الناشئة في أيام حكمه تجاهلا تاما الموقف الديني المحرم للربا وبالتالي إباحته في نظامها البنكي ، ومسالة تحديد النسل عن طريق ماسماه رفع السحر عن رحم المرأة باستنباط حلول لذلك ، مثل المراوحة بين الولادة والولادة ، واستعمال موانع الحمل والإجهاض والعزل ، وتعطيل وظيفة الحمل من خلال تعقيم المرأة . كما شكلت المساواة في الإرث مجال جدل واخذ ورد في التصور السياسي والديني البورقيبي ،إلا أن وجود نصوص قرآنية حاسمة حال دون التدخل في هذا الشأن لكن تلك الخيارات لم تمر دون ردود أفعال ، مثل مظاهرة القيروان المدينة ذات الرمزية الدينية في 17 يناير 1961 بقيادة إمام جامع عقبة بن نافع **عبد الرحمان خليف** ، كرد فعل مباشر على الدعوة إلى الإفطار في رمضان وعلى التوجه العلماني للرئيس بورقيبة .[1]

تقودنا حقيقة تونس من جهة أولى إلى الحضور المؤسساتي للإسلام من خلال التجربة السياسية للحبيب بورقيبة والتي دامت أكثر من ثلاثين سنة ، ومن جهة أخرى التوتر استمر سواء بصورة صريحة أو ضمنية حول المرجع الديني للنظام .[2]

لقد ظل تأثر بورقيبة بالعلمانية خصوصا اللائكية الفرنسية حتى آخر يوم في حكمه بالرغم من أن موضوع العلمانية في فرنسا مؤخرا قدتم النظر إليه من جانب أنه يرفع من العنف ، ويترقب مناقشات فكرية من طرف المختصين حول هذا الموضوع .[3]

الفرع الثاني : عهد الرئيس زين العابدين بن علي

يمكن تقسيم عهد بن علي إلى مرحلتين أساسيتين هما :

المرحلة الأولى:(1987-1989) مرحلة بناء النظام الجديد

عين الجنرال بن علي سنة 1987 وزيرا أولا بدل رشيد صيفي وبعد شهر من توليه المنصب قام بانقلاب ابيض على بورقيبة حيث وقع سبع أطباء على أن الرئيس الحالي الحبيب بورقيبة لم يعد قادرا على تولي الحكم.[4]

---

[1] ***المرجع نفسه*** ، ص47 ، 48 .

[2]- - Frank Fregosi,***La régulation institutionnelle l'islam en Tunisie :entre audace moderne tutelle étatiqu***e ,Policy paper ,n 11,07/03/2005,p7

[2] Olivier Roy ,***Secularism Confronts Islam*** , Translated by George Holoch , New York, Columbia university Press,2007 , P1 .

[4]- www.aldjazira.net- . 2011/01/14 بتاريخ

وقد تميزت هذه الفترة بتركيز النظام الجديد على بناء مصادر شرعيته وقد ركز ذلك على عنصرين رئيسيين :

- **الأول** : هو إتخاذ عدد من الإجراءات الهامة على طريق تخفيف الضغوط والقيود السياسية المفروضة على عمل القوى السياسية والتخفيف من حالة الاحتقان السياسي التي وصلت إليها البلاد في السنوات الأخيرة من عهد الرئيس السابق الحبيب بورقيبة .
- **الثاني** : العمل على بناء حالة من التوافق الوطني حول طبيعة المرحلة التي يمر بها النظام السياسي وأولويات عمل تلك المرحلة. وفي هذا الإطار قام بن علي بإطلاق سراح مايزيد عن 10000 من المعتقلين السياسيين كان أغلبهم من الإسلاميين ، وتطبيع العلاقة بين الدولة وعدد من الهيئات والتنظيمات النقابية خاصة الإتحاد العام التونسي للشغل والإتحاد العام لطلبة تونس، والإعتراف ببعض الأحزاب السياسية(التجمع الاشتراكي ، الحزب التحرري ، الاتحاد الوحدوي) وبعض الجمعيات الجديدة (جمعية نساء ديموقراطيات ، الاتحاد العام التونسي للطلبة) ، وإلغاء بعض المؤسسات والمحاكم والقوانين التي ارتبطت بمرحلة النظام السياسي التسلطي السابق حيث شكلت الرموز الرئيسية لذلك النظام وانتهاكاته لحقوق الإنسان و في مقدمتها :
- إلغاء محاكم أمن الدولة والمدعى العام وعقوبة الأشغال الشاقة .
- تعليق تنفيذ عقوبة الإعدام.
- السماح بإعادة إصدار صحف المعارضة التي تم إغلاقها .
- إقرار تشريع جديد يسمح بالتعددية الحزبية في أبريل 1988 واشترط التزام الأحزاب السياسية بالعمل في إطار الدستور والقوانين القائمة ورفض قيامها على أسس عرقية أو دينية أو لغوية أو جهوية ، بالإضافة إلى الامتناع عن تلقي أي دعم خارجي إلا بعد موافقة السلطات المختصة (وزير الداخلية).
- تعديل قانون الصحافة بهدف تخفيف القيود المفروضة على حريات النشر .
- إسناد عدد من الوزارات إلى بعض العناصر من خارج الحزب الحاكم .
- احتكار بن علي سلطة تعيين 122 من أعضاء اللجنة المركزية للحزب التي تم توسيع عضويتها لتصل إلى 200 عضو .

- إقرار عدد من التعديلات الدستورية في يوليو 1988 تضمنت إلغاء مبدأ الرئاسة مدى الحياة الذي تم إقراره دستوريا كاستثناء خاص للرئيس الحبيب بورقيبة ، على أن يكون انتخاب الرئيس بالاقتراع العام المباشر كل خمس سنوات وجواز تجديد انتخابه لدورتين متتاليتين ، وألا يزيد سن المترشح عن 70 عاما . وبدلا من تولي رئيس الوزراء منصب الرئاسة في حالة خلو المنصب لسبب أو لآخر ، نصت التعديلات الجديدة على تولي رئيس مجلس النواب منصب الرئيس إلى حين انتخاب رئيس جديد وعدم جواز ترشيح الأخير لنفسه في تلك الانتخابات ، وقد نصت التعديلات الجديدة أيضا على اعتبار دور رئيس الوزراء"منسق الأنشطة الحكومية " أكثر منه قائدا للحكومة .[1]
- حاول النظام الجديد احتواء القوى الإسلامية خاصة حركة الاتجاه الإسلامي ، من خلال تنظيم عدد من اللقاءات مع قيادات ورموز تلك القوى وتقديم وعود بالاعتراف بها ، بالإضافة إلى الاعتراف ببعض الحركات الطلابية القريبة من حركة الاتجاه الإسلامي ، فضلا عن السماح لبعض القوى الإسلامية بالترشيح كمستقلين في الانتخابات التشريعية التي أجريت خلال تلك المرحلة ، وقد عمل النظام الجديد على التأكيد على الطابع الإسلامي للمجتمع التونسي من خلال قيام الرئيس بن علي بأداء العمرة فور توليه السلطة وإلغاء بعض السياسات المعادية للإسلام كان أهمها استئناف الدراسة في الجامعة الإسلامية في الزيتونة والتي أغلقها الحبيب بورقيبة بسبب قناعته بأن المجتمع الاشتراكي التقدمي ليس بحاجة إلى علماء دين ، وذلك بالإضافة إلى بث الأذان على شاشات التلفزيون والاحتكام إلى رجال الدين في تحديد اليوم الأول من شهر رمضان الكريم بدلا من تحديده عن طريق الدولة ، وتأسيس مجلس إسلامي للنظر في القوانين والتأكد من مدى مطابقتها للشريعة الإسلامية .
- توقيع ميثاق وطني يكون أساسا للمرحلة الجديدة في سبتمبر 1988بمناقشته مختلف القوى الحزبية والسياسية سواء العلمانية أو الإسلامية شملت : حركة الاشتراكيين الديمقراطيين ، والحزب الشيوعي التونسي ، وحزب الوحدة الشعبية ، الحزب الاشتراكي التقدمي ، الحزب الليبرالي الاجتماعي ، حركة الوحدة الشعبية ، حركة

[1] – فايز محمد فرحات ، ***مرجع سابق*** ، ص177 .

الاتجاه الإسلامي ، بالإضافة إلى قوى المجتمع المدني خاصة الاتحاد التونسي للشغل وجامعات الشباب والمرأة [1].

وشهدت حركة النهضة تحولاً حقيقياً في خطابها الإيديولوجي و السياسي عبر تبنيها قضايا جماهيرية، مثل الحريات والدفاع عن حقوق الإنسان والتوزيع العادل للثروة وذلك بسبب ما شهدته من إقصاء في عهد بورقيبة، والتأكيد على الهوية العربية الإسلامية وترسيخ التجربة الديمقراطية من خلال الاعتراف بحق الاختلاف والتنوع حين يقول **الغنوشي** في هذا الموضوع " إن مثل هذا الاختلاف في البرامج والتنافس في خدمة البلاد ضروري ومقوم لا غنى عنه لإرساء الديمقراطية الحقيقية المتوازنة والحيوية" وفضلاً عن ذلك يؤكد **الغنوشي** أن الديمقراطية المعاصرة هي الأنسب لحركته، لأن البنية التنظيمية للإسلاميين أصبحت مستقطبة من الأعضاء المتعلمين في الجامعات التونسية والغربية، وهؤلاء ينتمون إلى الفئات الوسطى في المجتمع ويتمتعون بمستوى ثقافي وفكري حديث كما يعملون جنبا إلى جنب مع زملائهم من العلمانيين والديمقراطيين الآخرين في مختلف المؤسسات الإدارية و الاجتماعية و الاقتصادية والإنتاجية .

ومع كل ذلك ظلت السلطة ينتابها شكوك قوية لجهة مضمون هذا الخطاب الإسلامي الجديد، الذي يعبر في نظرها عن وجود مواقف تكتيكية ذات معايير مزدوجة من قضية التداول السلمي للسلطة، وضمانات التعددية السياسية، والحريات المدنية وكيفية احترام الحريات السياسية احتراما كاملا لا لبس فيه، ومسالة شرعية الدفاع عن" شرعية " مؤسسات النظام الدستوري الحاكم، والموقف من قضية الأحوال الشخصية. وهي الشكوك التي ترى فيها سلطة السابع من نوفمبر استحالة التحاور الجاد والمسؤول مع "المشروع الإسلامي العقلاني والمستنير و الديمقراطي" كما توصلت إليه حركة النهضة ،فالسلطة التونسية لم تمنح حركة النهضة التأشيرة القانونية لأسباب قانونية . [2]

و في هذا الإطار، لم يطرأ تحول جوهري في العلاقة بين الدولة و القوى السياسية و الحزبية المعارضة ، على نحو ما شهدته الانتخابات التشريعية التي أجريت في أبريل 1989 فقد حاول نظام بن علي استغلال الميثاق الوطني كأساس لإجراء توزيع مسبق لمقاعد البرلمان التونسي قبل إجراء تلك الانتخابات 1989 من خلال تأسيس تحالف انتخابي بين التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم، من ناحية ، و أحزاب المعارضة الستة من ناحية أخرى ، بحيث تحصلت أحزاب المعارضة على ثلاثين مقعدا(من إجمالي 140 مقعدا) يتم توزيعها على تلك الأحزاب طبقا لنسبة

---

[1] - فايز محمد فرحات ، ***مرجع سابق*** ، ص177 ،178

[2] – توفيق المديني ، ***المعارضة التونسية نشأتها وتطورها*** ، دمشق : منشورات إتحاد العرب ، 2001 ،ص 311 .

الأصوات التي تحصل عليها.و يبدو أن الهدف الحقيقي من تخصيص ثلاثين مقعدا فقط للمعارضة هو ضمان عدم إقدام المعارضة إلى الدخول في معركة إنتخابات الرئاسة، بسبب اشتراط حصول المرشح في تلك الانتخابات على تزكية ثلاثين عضوا على الأقل داخل البرلمان. و بما يضمن من ناحية أخرى ، إضفاء واجهة ديمقراطية على النظام الجديد. إلا أن المعارضة انتهت في نهاية المطاف إلى رفض العرض الحكومي و تفضيل المشاركة في الانتخابات بقوامها الحزبية الخاصة، كما حاولت حركة النهضة مقايضة الاعتراف بالمشاركة في تلك الانتخابات بقائمة خاصة ، إلا أن الحكومة رفضت ذلك الاقتراح .[1]

المرحلة الثانية : مرحلة التحالف بين الدولة والأحزاب العلمانية ضد التيار الإسلامي

كشفت الانتخابات البرلمانية في عام 1989 على أن القوى الإسلامية ممثلة في حركة النهضة بالأساس تمثل التهديد الحقيقي للنظام الجديد الآمر الذي دفع به على التركيز إبتداءا من عقد التسعينات على التخلص من هذا التيار وتحجيمه وقد اتبع بن علي على آليتين في هذا الإطار هما :

- **الآلية الأولى** : تأسيس نوع من التحالف مع الأحزاب العلمانية ضد هذه القوى باعتبارها التهديد المشترك للطرفين .
- **الآلية الثانية** : توجيه سلسلة من الضربات الأمنية إلى رموز وقواعد هذه القوى وقد كان لطبيعة تلك المرحة انعكاساتها السلبية الشديدة على عملية التحول الديمقراطي في البلاد .[2]

فعلى مستوى التعليم مثلا تولى الدكتور **محمد الشرفي** المعروف بتوجهاته الفرنكوشيوعية وزارة التربية والتعليم مباشرة بعد الانتخابات التشريعية في سنة 1989، لتصفية الإرث الثقافي البورقيبي فيما يتعلق بالجانب العربي الإسلامي .

وكانت الآلية السياسية الثقافية التي اعتمدها النظام في مواجهة الحركة الإسلامية تتمثل في الوثيقة السرية المصادق عليها من طرف اللجنة المركزية للحزب الحاكم في شهر أيار سنة 1989، والمعروفة بخطة " تجفيف الينابيع " وهي خطة أعدتها وزارة التعليم بقيادة الشرفي كجزء من المعركة الإيديولوجية لضرب المصادر الدينية والهيكلية التي

---

[1] – فايز محمد فرحات ، ***مرجع سابق*** ،ص 179

[2] - المرجع نفسه ، ص181 .

تتغذى منها الحركة الإسلامية، وإحلال " ثقافة جديدة" تقطع مع كل القيم والتصورات الدينية باعتبارها رديفا للتخلف والجمود والتعصب .

وتجسدت الحرب الإيديولوجية التي قادتها النخبة اليسارية التي انحازت إلى سلطة السابع من نوفمبر برفع مقولات الدفاع عن المجتمع المدني والحداثة والتقدم، وقيم العقلانية في مواجهة الأصولية ، والمقصود بذلك تحديدا ، مواجهة التوجه الإسلامي لمصلحة العلمانية .

كما تجسدت الحرب الإيديولوجية في السيطرة الكاملة على المساجد ودور العبادة مع إزالتها تماما من الإدارات والجامعات والمؤسسات العامة، وتحول الأئمة والخطباء إلى ما يشبه الموظفين الرسميين لدى وزارة الداخلية حيث يفرض عليهم حرفيا نص الخطبة الموجهة لجمهور المصلين، بل أكثر من ذلك، تحولت المساجد إلى مجال لممارسة الدعاية السياسية للتجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم ورئيسه والتشهير الكاذب برموز المعارضة السياسية وخاصة الإسلامية منها .

كما قامت الدولة بمنع ارتداء الزي الإسلامي رسميا في مواقع الشغل والتدريس وحتى الشارع وتم نعته بالزي الطائفي، وفرضت رقابة مشددة على الكتاب الإسلامي بما في ذلك التراثي منه .[1]

لقد تميزت الفترة الرئاسية لبن علي بإقصاء كل معارضة سياسية تقف أمام تحقيق النجاحات الانتخابية التي يصبو إليها من الانقلاب الذي قاده ضد الحبيب بورقيبة وقد واصل طريق الرئيس الأسبق في إطار تبنيه على كل ما هو علماني وبعيد عن كل القيم الدينية .

المطلب الثالث :مظاهر العلمانية من الناحية الثقافية

يركز البحث في جانبه الدراسي هذا على عنصريين أساسيين يظهر فيهما تجلى النهج العلماني بصورة واضحة وهما :

- **المجتمع المدني**
- **المشاركة السياسية والاجتماعية للمرأة في تونس.**

الفرع الأول : المجتمع المدني في تونس

[1] - توفيق المديني ، ، ***مرجع سابق***، ص 315 ، 316 .

يرى صامويل هنتغتون أن تحقيق الاستقرار السياسي يقترن بإيجاد مؤسسات سياسية تنظم المشاركة السياسية وتمنع انتشار العنف والفساد بتوسيع المساهمة الشعبية في وضع السياسات العامة وفي اختيار الأشخاص للمناصب الرسمية وتوفير آليات المشاركة للنظام السياسي والقدرة على معالجة الأزمات والانقسامات والتوترات في المجتمع والاستجابة للمطالب الشعبية عبر الديمقراطية وعدالة توزيع المهمات لضمان المساواة[1].

إن المؤسسات الحديثة للمجتمع المدني والمتمثلة في الأحزاب السياسية والنقابات والاتحادات ومنظمات حقوق الإنسان والجامعات ومراكز البحوث والمنظمات والاتحادات المهنية تساهم في صياغة سياسات رشيدة تسير مؤسسات النظام في الدولة وتطور المؤسسات الديمقراطية فيها .

وقد اظهر جون كين أهمية مفهوم المجتمع المدني من حيث ارتباطه بالدولة من حيث الامتياز في التنظيم والقدرة على ترتيب الإطار الديمقراطي .[2]

لقد ساهم المجتمع المدني التونسي والمتمثل في مختلف الأحزاب خصوصا الحزب الدستوري والجمعيات كالكشافة والهلال الأحمر والجمعيات الثقافية والنقابات كاتحاد الشغل واتحاد عملة القطر التونسي واتحاد الفلاحين واتحاد الصناعة والتجارة واتحاد الطلبة منذ 1953 وغيرها في النضال ضد السياسة الاستعمارية .

أصبح المشهد الصحفي محوره الأساسي الرئيس بورقيبة وصوره وخطبه وتنقلاته داخل وخارج الوطن.

مرت علاقة الدولة بالمجتمع في تونس بمرحلتين أساسيتين :[3]

- **المرحلة الأولى** : تجربة الستينات التي كانت مطبوعة بإدارة النخب التسييرية في اتجاه تأميم الدولة ودولة المجتمع فوجود مشروع وطني كهذا مكن البلاد بدرجة هامة إلى التزام السكان والإدارة تجاه تحديات التغيير الاجتماعي والاقتصادي ، وقد توصل الحزب الدستوري بفضل رصيده التاريخي إلى أن يعبئ الناس ويستوعب الصراعات ويحيد أغلب أشكال المعارضة .ولكن هذه المرحلة كانت تحمل في طياتها عناصر فنائها ، لأنه

---

[1] أحمد شكري الصبيحي ، ***مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي*** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000 ، ص98 .

2 Laurence Weerts, ***quatre modèle théorique pour penser la société civile dans l ordre juridique*** ***Internationa***l

http :www.ubd.ac.be/droit/cdi /fichiers/ modèle théorique

[3] محمد عبد الباقي الهرماسي ، ***المجتمع والدولة في المغرب العربي*** ، ط3 ،لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية ،1999 ،ص108 .

بإطلاق الطاقات الجديدة وبإعطاء الإمكانات لنشوء فئات جديدة ، تولد مجتمع مدني سمته الأساسية .طموحات الفئات المجتمعية نحو الوجود المستقل .

- **المرحلة الثانية:** شهدت بداية مأسسة للنسق السياسي وللمشاركة وقد كانت عملية هشة نظرا لتمسك النخب الحاكمة بأشكال المؤسسات القديمة للتأطير والمراقبة السياسيتين.

الفرع الثاني : المشاركة السياسية والاجتماعية للمرأة في تونس

يتراءى للعيان أن المشهد الأوروبي منذ ظهور العلمانية لم يعطي للمرأة جميع الحقوق التي تنتظرها المرأة الأوروبية آنذاك التي كانت مضطهدة بشكل كبير حتى أن الثورة الفرنسية التي كانت سببا أساسيا في ظهور العلمنة والتي كان نتاجها " حقوق الإنسان والمواطن " المشهور في أغسطس 1879 ألغت أي إشارة إلى حقوق النساء [1].

إن الحقوق المعاصرة التي اجتهدت المرأة الغربية في تكريسها على مدى قرون تتمثل في :

- الحق في التعلم وتيسير الوصول إليه .
- المساواة في العمل والمعاش والتشريعات الجنائية .
- الحماية ضد التحرش والعنف .
- الاضطلاع بدور فيما يسمى بمجال العمل العام سواء في العمل أوفي الحياة السياسية .

يندرج حرص الإرادة السياسية في تونس على التطوير المتواصل لأوضاع المرأة في إطار رهان اشمل هو رهان التنمية البشرية الذي تسعى تونس إلى اكتسابه ،وهي البلد الأفريقي المتوسطي العربي الذي تمثل فيه القوة البشرية أهم ثروة وطنية تكون وتصقل إمكانياتها فتوظف بجميع عناصرها من نساء ورجال .

يفرض موضوع المرأة واتخاذ القرار نفسه على الساحة العالمية وحتى العربية ، فموضوع القرار له مكانة جوهرية في صلب العلوم الإنسانية وتحديدا في إطار مقاربة الفعل l'approche de l'action التي تبوأ الفاعل

---

[1] لوري براند ، ***'النساء الدولة والليبرالية السياسية : تجارب الشرق الأوسط وافريقية*** " ، ترجمة : شهرت العالم ، ***نحو دراسة النوع في العلوم السياسية*** ، مصر: دار الكتب المصرية ،2010 ،ص130 .

الاجتماعي آيا كان جنسه المكانة الجوهرية في التحليل ، فالسلوك الفردي والممارسات الجماعية تتحدد جميعها حسب هذه المقاربة على ضوء الاحتكاك والتفاعل بين العقلانيات المختلفة للفاعلين .[1]

وقد حاولت السلطات التونسية منذ فجر الاستقلال إعطاء المرأة التونسية الفرصة لخوض غمار التجربة السياسية والاجتماعية وذلك من تكوين اتحادات نسوية إضافة إلى الاشتراك في أحزاب اغلبها يسارية ، وحسب إحصائيات 1999 المرأة في تونس تمثل 46.6 بالمائة من مجموع السكان في مقابل 50.4 بالمائة من الرجال وبهذا احتلت في نفس السنة امرأتين الوزارة وكتابة الدولة ، كما تحصلت النساء على نسبة 11 بالمائة من أعضاء البرلمان في انتخابات 1999 /2000 ، و13بالمائة من أعضاء المجلس الأعلى للقضاء (امرأتين من 15 عضوا) ، و20.71 بالمائة من أعضاء المجالس البلدية . و في المجلس الاقتصادي والاجتماعي تمثل المرأة 10 بالمائة ، وفي سنة 1998 تم تعيين 46 امرأة صلب المجالس الجهوية للتنمية بهدف تشريك المرأة في صياغة الأهداف والسياسات التنموية على الصعيدين الجهوي والمحلي وتمثل نسبة النساء في هذه المجالس نسبة 20 بالمائة.

وقد بلغ عدد المنخرطات في الهياكل القاعدية للتجمع الدستوري الديمقراطي 500 ألف امرأة هذا إلى جانب انتخاب 50 امرأة ضمن تركيبة اللجنة المركزية سنة 1998 .

كما تمثل المرأة العاملة في سنة 1999 :

- قرابة نصف الإطار الطبي والشبه طبي .
- نصف إطار التدريس في التعليم الأساسي والثانوي .
- قرابة ثلث الإطارات في التعليم العالي .
- ربع سلك القضاء .
- 22 بالمائة من سلك المحامين .
- 30 بالمائة من سلك الصيادلة .
- 26.2 بالمائة من الصحفيين .[2]

---

[1] -- سنية بن جميع ،" ***المرأة واتخاذ القرار الحياة العامة في تونس نموذجا*** "، حمدي عبد الرحمان (محررا) ،***المشاركة السياسية للمرأة خبرة الشمال الإفريقي*** ،، القاهرة : مركز دراسات المستقبل الأفريقي ، 2001 ، ص33 – 36 .

[2] - فوزية عبيد شقرون ،" ***المشاركة السياسية للمرأة التونسية واقع وآفاق***" ، حمدي عبد الرحمان (محررا) ، ***المرجع نفسه***، ص 93 -95 .

المبحث الثاني: الحركات السياسية في تونس

يعتبر مفهوم العلمانية من المفاهيم الحديثة على الساحة العربية المعاصرة ويتقاطع هذا المفهوم مع الديمقراطية من حيث أن كلاهما يدعمان فكرة الحرية والمساواة . وللدولة التونسية الحديثة تاريخ مع العلمانية وذلك بسبب تبني الرئيس السبق الحبيب بورقيبة للنهج العلماني منذ حصول الدولة على الاستقلال السياسي وبهذا ظهرت تيارات سياسية متنافسة هدفها الوصول إلى السلطة حيث تميزت الحياة السياسية في تونس بوجود حركتين رئيسيتين هما:

المطلب الأول: حركة الإصلاح

الفرع الأول : التيارات الرئيسية للحزب الإسلامي في المغرب العربي

اختلف الباحثون حول أسباب ظهور الحركة الإسلامية في العصر الحديث فقد اعتبرها الكثير ظاهرة جديدة صاحبت انتقال العالم الإسلامي إلى العصر الحديث ،وأرجعوها إلى حالة الاغتراب الذي تعرض لها الكثير من شباب المسلمين بسبب تسارع عجلة التحولات الاجتماعية والثقافية ، تلك التحولات التي اقتبست على نطاق واسع من إشعاع الحضارة الغربية المعاصرة حتى اعتبرها البعض صداما مع عقيدة الإسلام التي هي جزء من الثقافة العربية.

كما اعتبر البعض أن ظهور الحركات الإسلامية صاحب هزيمة العرب في الحرب أمام إسرائيل في 5 جويلية 1967 كرد فعل لفشل القومية العربية في مواجهة إسرائيل وكبديل لهذه القومية.

وكفريق ثالث يرجع ظهورها كرد فعل على سقوط نظام الخلافة الإسلامية والذي تمثل في إلغاء كمال الدين أتاتورك للخلافة الإسلامية وإقامة جمهورية علمانية على أنقاضها في تركيا.[1]

إضافة إلى ذلك ارتبط وجود الأحزاب الإسلامية في الوطن العربي بالقوة الاستعمارية ومرحلة الاستقلال حيث حاولت التيارات الإسلامية بلورة أحزاب سياسية لتقود النضال ضد السيطرة الاستعمارية ومن ناحية أخرى حاولت بعض هذه التيارات قيادة حركات الرأي العام المعارضة للسلطة القائمة في الفترة الاستعمارية والموالية للغرب في المنطقة المغاربية محاولة هذه الأحزاب تأليب الرأي العام والشعوب العربية على التوجهات الغربية للأنظمة العربية واتهامها بالعلمانية ومحاولة فصل الدين عن الدولة .

---

[1] عبد المنعم منيب ، ***الحركات الإسلامية في مصر*** ، القاهرة : (د د ن) ، 2009 ، ص7 .

إن الوقوف ضد التغريب والاستعمار مكتسب تاريخي يؤدي إلى مايسمى بالتحرر وهذا انعكاس للفعل الثوري أي المقاومة ،[1] وعليه المناداة بتيارات سياسية وطنية تحقق السيادة وتمنح للشعوب العربي الخصوصية الثقافية التي تميزها حيث أصبح ضروري خصوصا في ظل التغيرات الدولية الراهنة.

شكلت بعض الأحزاب الإسلامية امتدادا للحركات الصوفية والتقليدية التي كانت سائدة في الوطن العربي مثل المهدية والسنوسية .

وانقسمت الأحزاب الإسلامية إلى تيارين رئيسيين :

- التيار الأول : يرفض العلمانية رفضا قاطعا فهو يرى أن الاختلاف بين العلمانية والإسلام اختلافا جذريا حيث يستحيل التوفيق بينهما ، فالعلمانية الآتية من الغرب في ثوب الديمقراطية ماهي إلا تكريسا للهيمنة الغربية على العالم العربي والإسلام.
- التيار الثاني تيار يطلب بالأخذ بالديمقراطية لكن بشروط إسلامية .

الفرع الثاني : أزمة مشاركة النخبة الدينية في السلطة التونسية

لقد ظهر التيارين السابقين الذكر بصورة جلية في تونس من خلال ثلاث حركات إسلامية بقيادة ناشط سياسي وحيد راشد **الغنوشي** حيث انتهى مسار الحركات الثلاثة إلى حركة إسلامية تحت اسم حركة النهضة حيث تعود جذورها الأولى إلى نهاية الستينات فبعد عودة راشد **الغنوشي** إلى تونس من سوريا حاملا شهادته في الفلسفة حاول ومجموعة من الشباب الوقوف ضد المشروع التغريبي الذي فرضته السلطة التونسية منذ السنوات الأولى لاستقلالها السياسي .

اجتمع كل من راشد الغنوشي وصالح بن عبد الله،صالح كركر ، الفاضل البلدي ،الهاشمي الحامدي ،عبد الفتاح مورو ، الحبيب مكي ، علي نوير وغيرهم من الجيل الزيتوني لتأسيس الجماعة الاسلامية برئاسة راشد الغنوشي ومورو سنة 1969 باعتبارها حركة تربوية إسلامية تلتها مرحلتين أساسيتين في مسيرة حركة النهضة هما :

- **المرحلة الأولى** : من عام 1970-1981 حيث تم تحويل الجماعة الإسلامية إلى تنظيم سياسي باسم " الاتجاه الإسلامي " فحدث خلاف أدى إلى انسحاب فصيل سمى نفسه الإسلاميون التقدميون بقيادة **احميدة النيفر وصلاح الدين الجورشي** اعتراضا على تحول الحركة إلى تنظيم

---

[1] Tayeb , chentouf , ***« La décolonisation , un Essai D'interprétation*** , Dans ***Le Maghreb Au Présent*** , Alger : office des Publication Universitaires , 2003 ,p12 .

سياسي واعتبرو أنفسهم تيار فكريا ثقافيا .و بخصوص التجربة التونسية، تؤكد كل من الدراسات أن التيار السلفي لم ينشأ في وقت مبكر في تونس، بحيث يؤرخ له في نهاية التسعينات من القرن الماضي، وهذا راجع إلى عدة أسباب تلخص في عدة عناصر أساسية:

- تغلغل الطريقة الصوفية في الثقافة الدينية التونسية، وانتشار نموذج "التدين المغاربي" الذي يختلف جملة عن "الإسلام الطهوري والنظري" الذي صاغه العقل السلفي القديم حسب تعبير الباحث صلاح الدين الجورشي .
- التأثير الفكري لزعماء مثل عبد العزيز الثعالبي ثم ابنه الفاضل بن عاشور باعتبارهم من علماء الأزهر ذوي التوجه الفكري المعتدل .
- أخيرا التجربة البورقيبية في التحديث، ودورها في إعادة صياغة الوعي والوجدان التونسي، وهو ماساهم في تأخر ظهور تيار سلفي في تونس[1].

والحديث عن التيار السلفي في تونس لم يطفو إلى السطح إلا في السنوات الأخيرة، فهي "لم تتحول إلى قضية تشغل السلطة والنخب السياسية والفكرية، وجزء هاما من الرأي العام، إلا بعد اكتشاف مجموعة مسلحة دخلت في اشتباك مع الأجهزة الأمنية نهاية بين أواخر ديسمبر 2006 وبداية يناير 2007 وهو ما دفع إلى طفو الظاهرة إلى السطح من خلال التغطية الإعلامية الواسعة لهذه الأحداث .

بخصوص بنية التيار السلفي في تونس فهو ليس امتدادا لحركة النهضة التونسية، بالرغم من وجود تقاطعات على المستوى الفكري، بل ولد التيار السلفي في تونس في قطيعة مع حركة النهضة وذلك كما ذكر سابقا، وتراثها الفكري والسياسي والتنظيمي .

ظهر التيار السلفي في تونس نتيجة عدد من الأسباب، يعددها الأستاذ **اعلية علاني** كالتالي:

1 – هناك غياب تيار ديني معتدل، بسبب حظر النظام التونسي لحركة النهضة .

2 – بسبب تهميش التيارات المعارضة الغير إسلامية للمرجعية الإسلامية في خطابها وممارستها، مما جعلها معزولة عن المجتمع .

3– بسبب انتشار التيار السلفي القوي في المشرق والدول المغاربية المجاورة .

---

[1] – رضوان احمد شمسان الشيباني ، ***مرجع سابق*** ، ص 157 ،158 .

4– من خلال التأثر بما وقع في الجزائر.

5– انتشار الفكر السلفي من خلال الفضائيات والإنترنيت .

6– ضعف النخب ومؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحصين الشباب التونسي .

7–انتشار التيار السلفي في صفوف المهاجرين التونسيين[1].

أعلن البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي في حزيران من العام 1981 داعيا إلى إقامة نظام إسلامي في إطار المساهمة في بعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام .

- **المرحلة الثانية** : من 1981 إلى 1988 حيث تحولت الحركة من الاتجاه الإسلامي إلى

حركة النهضة وجاءت هذه التسمية مراعاة لحساسية النظام اتجاه الأحزاب الدينية حيث ظهرت النهضة كتنظيم سياسي يحاول أن يجد له مكانا في الساحة السياسية التونسية فقد تم تشكيل مكتب تنفيذي يرأسه الغنوشي وأصبح الفتاح مورو أمينا عاما .

كما تشكلت مكاتب للشورى للولايات وخلايا عمل في معظم المناطق التونسية وتم إصدار جريدة الفجر الذي أدارها **حمادي الجبالي** لتكون ناطقا باسم النهضة . ومع ذلك لم تحصل حركة النهضة على الشرعية من حكومة زين العابدين بن علي وجاءت انتخابات 1989 التي حقق فيها الإسلاميون نسب عالية من النجاح لتوجه بعد ذلك إلى الحركة تهما كثير منها:

- محاولة قلب نظام الحكم .
- تكوين جمعية غير مرخص بها .
- الاعتداء على امن الدولة .

لتصدر أحكاما ضد أعضاء الحركة عام 1992 تراوحت مابين السجن الطويل والإعدام وصار الغنوشي لاجئا سياسيا في بريطانيا بعد النفي الذي تعرض له .[2]

---

[1] محمد مصباح ،" ***السلفيون في دول المغرب العربي : التطور الفكري والسياسي*** "، جريدة التجديد ، الخميس 12 ماي 2011
نقلا عن : http://www.alkhabar.maa36990.html بتاريخ 2011/06/05 .

[2]– رضوان احمد شمسان الشيباني ، ***مرجع سابق*** ،ص 159 .

وفي محاولة لإثراء هذا البحث ، اعتمدنا بصورة مباشرة على مقارنات قام بها المفكر **الهرماسي** حيث يبرز فيها جليا التطورات الفكرية للحزب الإسلامي في تونس حول موضوع الديمقراطية والعلمانية والآراء المتضاربة والمختلفة لقادة الحركات الإسلامية في تونس حول هذا الموضوع :

الجدول توضيحي :رقم 03

الموضوع	**الجماعة الإسلامية/ حركة الاتجاه الإسلامي** **الفترة : السبعينات**	**حركة الاتجاه الإسلامي /حركة النهضة** **الفترة : الثمانينات**
الموقف من تطبيق الشريعة	تنفيذ أحكام الله وإقامة الحدود في المرحلة الثانية من الدعوة : مرحلة قيام المجتمع المسلم التي تلي مرحلة الدعوة والبناء (1).	تأجيل المسالة إلى أن يتم إعداد الرأي العام .الرأي بتعطيل الحدود حتى تزول أسباب الجريمة وتتوفر شروط التطبيق (2).

(1)راشد الغنوشي ،" الإسلام والعنف " المستقبل 23 مارس 1981.

(2)عبد الفتاح مورو ،في المغرب العربي 3 فبراير 1989 .

المصدر : كتاب الحركات الإسلامية والديمقراطية في الوطن العربي : دراسات في الفكر والممارسة ، لعبد اللطيف الهرماسي ،بيروت :مركز الدراسات الوحدة العربية ،2001 ، ص304

جدول توضيحي :رقم 04

الموضوع	**الجماعة الإسلامية/ حركة الاتجاه الإسلامي** **الفترة : السبعينات**	**حركة الاتجاه الإسلامي /حركة النهضة** **الفترة : الثمانينات**
الموقف من قانون الأحوال الشخصية	اعتبار القوانين التي تضمنتها مجلة الأحوال الشخصية * [1] حاملة روح التمرد على الإسلام ودافعة المرأة إلى التحلل(1).	-اعتبار المجلة في الجملة إطارا صالحا لتنظيم العلاقات السرية والحوار حولها لتطويرها وخاصة إذا وضع ضمن الإطار المرجعي للاجتهاد الإسلامي (2). -المجلة عمل إيجابي في مجمله ومعظم نصوصها ذات علاقة بالفقه الاسلاميي، مع رفض تقديسها (3) .

(1)من استجواب لراشد الغنوشي ورد في : عبد اللطيف الهر ماسي ، الحركة الإسلامية في تونس ، تونس : دار بيرم للنشر ،1985 ،ص33 .

(2)راشد الغنوشي في الصباح 18 يوليو 1988 .

(3)عبد الفتاح مورو ، في المغرب العربي 23سبتمبر 1988 .

المصدر : كتاب الحركات الإسلامية والديمقراطية في الوطن العربي : دراسات في الفكر والممارسة ، لعبد اللطيف الهرماسي ،بيروت :مركز الدراسات الوحدة العربية ،2001 ، ص305 .

[1] * ملاحظة : المجلة تمنع تعدد الزوجات وتحكم القضاء في الطلاق وتقر بحق التبني

جدول توضيحي : رقم 05

الموضوع	**الجماعة الإسلامية/ حركة الاتجاه الإسلامي** **الفترة : السبعينات**	**حركة الاتجاه الإسلامي /حركة النهضة** **الفترة : الثمانينات**
الموقف من تعدد الزوجات	تعدد الزوجات مباح وجائز بصريح النص المحكم الذي لاشبهة فيه ، ولا يجوز للحاكم المسلم أن يمنعه مطلقا (1).	إن حركة الاتجاه ، ماكانت تهدف ولاهي تهدف الآن إلى مراجعة منع تعدد الزوجات ، وهي لاتعتبر التعدد أصلا من أصول الدين ولا تعتبر أن حل مشكل الأسرة يتوقف على السماح بالتعدد (2).

(1) المغرب العربي ، العدد 54 ،1982 .

(2) عبد الفتاح مورو في : المغرب العربي 23 سبتمبر 1988 .

المصدر : كتاب الحركات الإسلامية والديمقراطية في الوطن العربي : دراسات في الفكر والممارسة ، لعبد اللطيف الهرماسي ،بيروت :مركز الدراسات الوحدة العربية ،2001 ، ص306

جدول توضيحي : رقم 06

الموضوع	**الجماعة الإسلامية/ حركة الاتجاه الإسلامي** **الفترة : السبعينات**	**حركة الاتجاه الإسلامي /حركة النهضة** **الفترة : الثمانينات**
الموقف من الاختلاط وتعليم المرأة وعملها	الاختلاط سبيل للفجور .حق المرأة في التعليم محدود فيما يكفل قيامها بوظيفتها الطبيعية : شؤون المنزل ورعاية الأطفال ، وشغلها لايجوز إلا عند شدة الحاجة وشرط ان تكون المهنة شريفة والمرأة دون عائل (1).	اعتبار وجود المرأة في المؤسسة غدا أمرا واقعا لابد من مواجهته بروح جريئة ، واعتبار الممانعة في تعليم البنت تصورا بدائيا ليس له أساس من الدين ولامن المصلحة القول بالاختلاط بشروطه الإسلامية (2).

(1) المعرفة ، العدد 4 ،1977 .

(2) راشد الغنوشي ، " المرأة في الحركة الاسلامية ".

المصدر : كتاب الحركات الإسلامية والديمقراطية في الوطن العربي : دراسات في الفكر والممارسة ، لعبد اللطيف الهرماسي ،بيروت :مركز الدراسات الوحدة العربية ،2001 ، ص307 .

جدول توضيحي : رقم 07

الموضوع	**الجماعة الإسلامية/ ح الاتجاه الإسلامي** **الفترة : السبعينات**	**الاتجاه الإسلامي /حركة النهضة** **الفترة : الثمانينات**
الموقف من الديمقراطية	-الإسلام يتضمن كل مايحتاج إليه لإدارة المجتمع .كل محاولة لإدخال مفاهيم مثل الديمقراطية والاشتراكية هي تعبير عن شعور داخلي بالهزيمة (1). -"الحرية " و"الدمقرادية" و"المساواة" ليست سوى أصنام حديثة أو وسائل تخدير واستعباد (2) -رفض كل النظم البشرية والقول بمفهوم الحاكمية (3)	-العلاقة مع الله تمر بالشعب ثم بالحاكم الملتزم بتطبيق البرنامج الذي اختاره الشعب ، نحن لانعارض قيام حركة سياسية وإن اختلفت معنا اختلافا جذريا (4).-نحن الإسلاميين استحدثنا مشكلات عديدة مثل مشكلة الديمقراطية فأصبح الجدل بيننا هل الاسلام مع الديمقراطية أم ضد الديموقراطية ؟ العجيب أن ضحايا الاستبداد يتجادلون هل الاستبداد مشروع أم غير مشروع –الحاكمية للشعب وحاكمية الله تمر عبر الشعب (5).

(1) المعرفة ، العدد7 ،1973 .

(2) راشد الغنوشي ،" طريقنا إلى الحضارة " .

(3) المعرفة ، العدد2، 1976 .

(4) راشد الغنوشي في الندوة الصحفية الأولى لحركة الاتجاه الإسلامي .

(5) راشد الغنوشي،في :حقائق 17 نوفمبر 1989 .

المصدر : كتاب الحركات الإسلامية والديمقراطية في الوطن العربي : دراسات في الفكر والممارسة ، لعبد اللطيف الهرماسي ،بيروت :مركز الدراسات الوحدة العربية ،2001 ، ص308

تعقيب : إن المتمعن في محتوى هذه الجداول يجد أن مواقف قادة الحركات الإسلامية الموجودة في تونس تتسم بالاختلاف في حين والتناقض في أحيان كثيرة . وذلك بسبب ارتباط التيار الإسلامي في تونس بداية بتنظيرات مصادر الحركة الإسلامية الأصولية في العمل الإسلامي، والتي قادتها: حسن البنا وسيد قطب وأبو الأعلى المودودي وباقر الصدر والخميني. وبهذا تشكل الحركة الإسلامية التونسية في نظر مناضليها امتداداً في الزمان والمكان لتجارب هؤلاء القادة ،إن الإسلام نافع في كل زمان ومكان، أثبت الماضي حيويته، والحاضر أيضاً، وهو سيظل كذلك إلى الأبد. إن المسألة تتعلق ببساطة، بقدرة شعب يحيى على هذه الأرض على اعتناقه بكامله ".

وقد عارض مسألة تحويل الجماعة الإسلامية إلى حزب أو حركة سياسية، مفضلا إبقائها دون أطر تنظيمية والاكتفاء بها تيارا ثقافيا جماهيريا.

ثم انشق التيار الإسلامي في العام 1978 من بينهم **حميدة النيفر** الذي كان يرأس تحرير مجلة" المعرفة " الإسلامية، إلى جانب **صلاح الجورشي** وكلاهما كان ممثلا لاتجاه المعارضة في تحول الحركة الإسلامية إلى حركة سياسية، فيما حسم التيار الإسلامي لصالح **راشد الغنوشي** الزعيم والداعية لتسييس التيار الديني وجعله منظمة سياسية .[1]

وما يمكن استنتاجه من خلال هذه الجداول أن المفاهيم السياسية الغربية الحديثة كالديمقراطية والحرية باتت لدى التيارات الإسلامية في تونس ذات معاني متعددة تتوافق والخصوصية الدينية للمنطقة .

- ❖ الرأي **بتعطيل الحدود** التي شرعتها الشريعة الإسلامية حتى تزول أسباب الجريمة وتتوفر شروط التطبيق .
- ❖ وفي موقف التيار الإسلامي من الاختلاط رأى أن وجود المرأة في المؤسسة غدا أمرا واقعا لابد من مواجهته بروح جريئة

[1] - توفيق المديني ، ***مرجع سابق*** ،ص 260 -263 .

- ❖ مجلة الأحوال الشخصية هي عمل إيجابي في مجمله ومعظم نصوصها ذات علاقة بالفقه الإسلامي، مع رفض تقديسها.
- ❖ **الديمقراطية** ارتبطت في جانبها الإسلامي **بالشورى**.
- ❖ الاعتراف ببعض التيارات السياسية الأخرى **كالاشتراكية** من خلال تصريح التيارات الإسلامية الذي يؤكد بأن العلاقة مع الله تمر بالشعب ثم بالحاكم الملتزم بتطبيق البرنامج الذي اختاره الشعب ، نحن لانعارض قيام حركة سياسية وإن اختلفت معنا اختلافا جذريا .

المطلب الثاني : حركة العلمنة

الفرع الأول :التيار العلماني البورقيبي المعارض

يعد امتدادا للمشروع البورقيبي وقد اضطر هذا التيار إلى الدخول في فلك النظام بعد سقوط نظام بورقيبة وهزيمة المشروع الاشتراكي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، وبالتالي فإن علاقة هذا التيار بالدولة هي اقرب إلى التحالف والاندماج العضوي منها إلى المعارضة السياسية ، إذ لا يسعى هذا التيار إلى ممارسة الضغوط المستمرة على النظام الحاكم لإدخال إصلاحات سياسية حقيقية بقدر مايسعى على ممارسة الضغوط بهدف تعظيم مكاسبه الاقتصادية والاجتماعية داخل الدولة ويعتمد هذا التيار بشكل رئيسي على توظيف علاقاته الجيدة مع مؤسسات المجتمع المدني العالمي ، خاصة اللوبيهات الغربية والحقوقية الأوروبية ، ومن ناحية أخرى ، انه في الوقت الذي سعى فيه النظام السياسي الجديد عقب حركة نوفمبر إلى استقطاب واحتواء عناصر هذا التيار بهدف تحسين صورة النظام الجديد من خلال الاستفادة من العلاقات التي تربط هذا التيار باللوبيهات الأوروبية .

الفرع الثاني: التيار العلماني الوطني

وهو الذي يتبنى سياسة النخب الحاكمة في تونس ويتوزع هذا التيار بشأن التحالف السياسي مع المعارضة السياسية بين تيارين فرعيين ،الأول هو تيار لايعادي الحركة الإسلامية ولا يعارض التعاون أو العمل السياسي المشترك معها من حيث المبدأ ، لكنه يرى أن الوقت لايزال غير مناسب للتعاون معها لأسباب عديدة يتعلق بعضها بإدراكه لخطورة التعاون مع الحركة الإسلامية في الوقت الراهن خاصة فيما يتعلق برد الفعل المتوقع من جانب الدولة أو التخوف من توتر العلاقة المعارضة مع الخارج خاصة فرنسا ، بالإضافة إلى التناقض الإيديولوجي .أما التيار الثاني فيرى أنه لا جدوى لعمل سياسي مشترك يساهم في الخروج من الأزمة الراهنة دون التحالف مع المعارضة الإسلامية مع

إمكانية تأجيل الصراع الثقافي والإيديولوجي إلى مراحل لاحقة ، ويرجع هذا التيار إلى قناعته بمحورية العامل الداخلي وليس الخارجي في دفع عملية التحول الديمقراطي.[1]

الفرع الثالث : بعض التيارات الأخرى

لقد كانت العلمانية هدفا من العديد من الأحزاب السياسية من بينهم الحزب الشيوعي الذي تأسس منذ عشرينات القرن الماضي حيث حاول الحزب الشيوعي تقويم مجمل سياساته ومواقفه وممارساته، وواصل الجهود لبناء الحزب كحزب ماركسي . وقد تميزت فترة 1956- 1962 من حكم البرجوازية التونسية، بأنها كانت مرحلة تشكلها السياسي والإيديولوجي، وذلك عبر هيمنتها على جهاز الدولة، كما كانت مرحلة رجعية في مجمل مواقفها السياسية وتوجهاتها الاقتصادية والاجتماعية، حيث أنها عولت على مقدرة تحالفها مع البرجوازية التقليدية في حل مشاكل التخلف والتبعية .

وفضلا عن ذلك ، كانت سياسة الدولة- التونسية الفتية، تستند إلى سياسة تخفيف حدة العداء تجاه الاستعمار القديم و الاستعمار الجديد، و المحافظة على "الوحدة القومية" تحت الوصاية المباشرة للولايات المتحدة الأمريكية. ولقد كانت تجربة معركة الجلاء عن بنزرت العام 1962، أحد معالم هذه السياسة.[2]

في هذه الفترة هيمنت الشعارات والرموز الأيديولوجية للنظام التونسي المجردة من الوقائع الجديدة، والتي لا تربطها أية صلة بالمسائل السياسية الاقتصادية للشعب، وبقضاياه الوطنية والقومية.

وقد حدثت محاولة انقلابية ذات طبيعة برجوازية صغيرة وطنية غير ملتحمة بالجماهير في 24 كانون أول 1962، فاغتنم النظام هذه الفرصة لاتخاذ قرار بحل الأحزاب السياسية المعارضة وتجميدها، فتم حظر الحزب الشيوعي، وصودرت صحيفته: جريدة " الطليعة " ومجلة "تريبون دي بروغري" ، وقمعت الحريات السياسية.

ولكن الأمر بالنسبة لبرجوازية الدولة الصاعدة كان يتمثل في فرض رقابة تامة على المنظمات الجماهيرية، وبالأخص منها الاتحاد العام التونسي للشغل، والاتحاد العام لطلبة تونس. واجتمع المجلس القومي للحزب الدستوري بمدينة الكاف في آذار (مارس) 1963، وقرر أن كل المنظمات الجماهيرية تعتبر من" خلايا الحزب " وتعمل تحت قيادته، ويتمثل دورها في " تطبيق سياسة الحزب كل في ميدانها" .وجاءت عملية حظر نشاط الحزب الشيوعي

---

[1] محمد فاير فرحات ،***مرجع سابق***،-194 ، 195 .

[2] -توفيق المديني ، ***مرجع سابق*** ، ص 117 -128

وصحافته مترافقة مع شن حملة اعتقالات واسعة ضد قيادة الحزب وكوادره ، بعد حرمان الحزب الشيوعي من الممارسة السياسية عن ما يزيد على ثمانية عشر عاما، وبعد محاولات عديدة ومتكررة قام بها في عقدي الستينات والسبعينات لتمكينه على الأقل من إصدار صحيفته، تم رفع الحظر عن نشاط الحزب الشيوعي التونسي في تموز 1981، إثر مقابلة بين محمد حرمل الذي تولى منصب الأمين العام للحزب في العام 1980، والرئيس السابق الحبيب بورقيبة وقد استأنف نشاطه العلني في سنة 1981 .[1]

كما تم الاعتراف الرسمي بحزب التجمع الاشتراكي التقدمي في عام 1988، في سياق إجراءات الانفتاح في عهد الرئيس بن علي .

والجدول التالي يمثل أهم الأحزاب التونسية في عهد بن علي ، وهي في اغلبها أحزاب يسارية ، شيوعية ، اشتراكية تحمل في طياتها الفكر العلماني و وبالرغم من أنها أقصيت في العديد من المحطات التاريخية خصوصا في فترة الرئيس بورقيبة إلا انهاكانت من أهم مساندي السلطة خصوصا فيما يتعلق بإلغاء التدريس في جامعة الزيتونة ، بالإضافة أنها ساعدت النظام التونسي في التصدي للنخب الإسلامية التي ظهرت في تونس.

وقد حاولت الدراسة من خلال الجدول الآتي تبيين أهم الأحزاب السياسية الموجودة في تونس خلال فترة حكم الرئيس السابق **زين العابدين بن علي** مع التأكيد على أن عدد المقاعد البرلمانية كانت بالأغلبية لحزب التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم فقد كانت نسبة كاسحة بلغت 148 مقعد ، يلي الحزب الحاكم بالنسبة لعدد المقاعد بعض الاحزاب العلمانية الدائر أغلبها في فلك السلطة من بينها **حركة الديمقراطيين الاشتراكية** بـ 13 مقعد ، **الاتحاد الديمقراطي الوحدوي والوحدة الشعبية بـ 7 مقاعد** لكل منهما ، ثم
حركة التجديد بـ 5 مقاعد وأخيرا **الحزب الاشتراكي الحر** بمقعدين .

[1] - المرجع نفسه .

جدول توضيحي : رقم 08

أهم الأحزاب السياسية في تونس خلال فترة زين العابدين بن علي

الحزب	الرئيس	المقاعد	التأسيس	الإصدارات
التجمع الدستوري الديمقراطي	زين العابدين بن علي	148	1920	صحيفتا الحرية ولورينوفو
حركة الديمقراطيين الاشتراكية	محمد معضة	13	1983	صحيفتا المستقبل ولافنير
الاتحاد الديمقراطي الوحدوي	عبد الرحمان تليلي	7	1988	جريدة الوطن
الوحدة الشعبية	محمد بلحاج عمر	7	1983	جريدة الوحدة
حركة التجديد	أحمد ابراهيم	5	1993	جريدة الطريق الجديد
الاشتراكي الحر	محمد الكيلاني	2	1988	جريدة الأفق

المصدر: عبد القادر رزيق المخادمي ، **الإصلاح الديمقراطي في الوطن العربي بين القرار السياسي والفوضى البناءة** ، القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع ، 2007 ، ص288 .

المبحث الثالث : التوجه العلماني في تونس الآثار والسيناريوهات

المطلب الأول: أثر التوجه العلماني على النظام السياسي التونسي

الحديث على تأثيرات النهج العلماني على النظام السياسي في تونس يقودنا بداية إلى التفرقة بين مصطلحين هامين جدا هما :

الدولة الإسلامية والدولة الدينية حيث حرص المفكرون المعاصرون على التفرقة بين مفهوم الدولة الإسلامية والدولة الدينية ، بحسب الثاني غريب عن تعاليم الإسلام وتجربته السياسية ، وذلك بالتأكيد على انه "لارهبنة في الإسلام " وأن رجال الدين فيه ليسوا مثالات لرجال الدين " الاكليروس" في أوروبا ، بل إن "سلطة رجال الدين المسلمين محصورة محدودة –يقول البنا– لاتملك تغيير الأوضاع ولاقلب النظم ..." [1]

يعرف القرضاوي الدولة الإسلامية مظاهر متعددة كما يكل في مقابل الدولة الدينية :" الدولة الإسلامية كما جاء بها الإسلام ، وكما عرفها تاريخ المسلمين ، دولة مدنية تقوم السلطة فيها على البيعة والاختيار والشورى،والحاكم فيها وكيل عند الأمة أو أجير لها ، ومن حق –ممثله في أهل الحل والعقد فيها– أن تحاسبه وتراقبه ،وتأمره وتنهاه، وتقومه إن اعوج، وإلا عزلته ومن حق كل مسلم أن ينكر على رئيسا لدولة ،نفسه إذا رآه اقترف منكرا ، أو ضيع معروفا .بل على الشعب أن يعلن الثورة عليه إذا رأى كفرا بواحا عنده فيه من الله برهان.أما الدولة الدينية " التيوقراطية" التي عرفها الغرب في العصور الوسطى والتي يحكمها رجال الدين ،الذين يتحكمون في رقاب الناس– وضمائرهم أيضا– باسم"الحق الإلهي"...فهي مرفوضة في الإسلام"[2].

---

[1]– عبد الاله بلقزيز ،***الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر*** ،ط2 ،لبنان: مركز راسات الوحدة العربية، سبتمبر2004 ،ص131.

[2] – ***المرجع نفسه***،ص133.

وما يجب تأكيده أن تطبيق العلمانية في الأنظمة السياسية المغاربية لايتعلق بالصراع الديني بين المسيحية والإسلام لان الديانة المسيحية تضررت شعائرها جراء التطبيق الخاطئ لرجال الكنيسة في بداية ظهور المسيحية وقد ازدادت ضررا بظهور العلمانية التي أبعدت كل ماهو ديني على جميع أوجه الحياة الأوربية وهذا ماساهم في انتشار الانحلال الخلقي والرذيلة و آفات المخدرات والانتحار التي أصبحت نسبها عالية جدا.

إن الحوار الإسلامي المسيحي تجلت صوره في العديد من اللقاءات التي اكتست أهمية كبرى في إرساء دائم التسامح بين الأديان فقد مثل حدث الحادي عشر من آذار 1965 حينما قام كاردينال الكنيسة الكاثوليكية **ف. كينبغ** بزيارة جامعة الأزهر بالقاهرة وقد مثل حدثا مهما إذ انه لأول مرة منذ وجود هذا المركز العلمي الأضخم في العالم الإسلامي يتحدث فيه عالم مسيحي ومنذ آذار سنة 1965 تجري لقاءات إسلامية مسيحية بصورة مستمرة نشير إلى أهمها والتي حدثت على مستوى الأقطار المغاربية :[1]

- في نيسان 1974 قام سكرتير أمانة شؤون الديانات المسيحية الكاردينال **بينيدولي** بزيارة السعودية ، التقى خلالها الملك فهد وفي العام نفسه زار القاهرة أيضا.
- في أكتوبر من السنة ذاتها قام وفد من العلماء المسلمين من المملكة العربية السعودية برد الزيارة .
- عقد مؤتمران عالميان للحوار الإسلامي المسيحي في قرطبة (في أيلول 1974 وفي آذار 1977)
- تم تنظيم ملتقيين عالميين بين المسلمين والمسيحيين في تونس خصص أولها لدراسة مشكلات التطور المعاصر (في أيلول 1974) وخصص ثانيها لمناقشة مسائل " الوحي والتاريخ" و" الوحي ، العقل ، العلم " في نيسان وأيار 1979).
- في شباط 1976 عقدت في طرابلس حلقات بحث عالمية إسلامية مسيحية صدرت في ختامها وثيقتان حول " الأسس النظرية العامة للديانتين والميادين المختلفة للقاءاتهما ، والأعمال الضرورية للقضاء على الخرافات وسوء التفاهم التي تجزؤها ".
- في التاسع عشر من آب 1985 وبدعوة من الملك الحسن الثاني قام يوحنا بولس الثاني بزيارة المغرب.

الفرع الأول : الآثار السياسة

[1] – أليسكي جورافسكي ، ***الإسلام والمسيحية*** ، ترجمة خلف محمد الجراد ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد215 ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، نوفمبر 1996 ،ص 132-135 .

يتصور **جوزيف مغيزل** – مفكر لبناني– بأن العلمنة بفصلها الدين كإيمان وأخلاق عن الدولة ، عن السياسة وأسباب التباعد والانقسام ،تنقذه وتعيده إلى أصالته ، إلى دوره الأخلاقي إلى صفائه الرباني،إن المؤمنين الكاملين بحسب قوله يجب أن يكونوا هم دعاة العلمنة الأوائل" [1]

إن الأخذ بهذا التصور يقود إلى التأكيد على حصر الدين الإسلامي في الدور الأخلاقي فحسب ، وفي حقيقة الأمر أن الإسلام شريعة متكاملة الجوانب الدينية والاجتماعية وحتى السياسية منها .

حيث كان للعلمانية الأثر البالغ على الحياة السياسية في تونس ففي حديثه لصحيفة الأمان اللبنانية قال زعيم حركة النهضة راشد الغنوشي أنّ الحركة الإسلامية في تونس واجهت عوائق مختلفة إنتهت بآلاف المساجين والتعذيب الرهيب والذي أفضى إلى استشهاد العشرات وتجويع العائلات ومنع كل عون عنهم من أجل إضعاف صمود المساجين ودفع الزوجة إلى طلب الطلاق وما إلى ذلك من الأساليب الهمجية . [2]

لقد أنتج النظام في تونس دولة بوليسية *من الدرجة الأولى قائم على الإرهاب ، وله مبدأ عمل منطقي قائم على الفكر الإيديولوجي ، الذي يعتبر الأصولية الإسلامية عدوة المجتمع المدني والحداثة والديمقراطية ، ويجب استئصالها ، ولما كانت سيطرة الإرهاب لا تتحقق بين الناس إلا في حال كونهم معزولين بعضهم عن بعض ، فإن أولى مهمات الدولة البوليسية التونسية ، هي إنشاء تحالف تكتيكي غير مقدس بين هذه الدولة وأحزاب المعارضة القانونية والمثقفين اليساريين واللبراليين العلمانيين ، ومختلف مكونات المجتمع المدني بهدف إحداث عزلة حركة النهضة ، التي تم الانقضاض عليها واستئصالها ، وتلك كانت بداية الإرهاب البوليسي ، حيث أن هذه العزلة هي الأرض الخصبة التي ينمو فيها الإرهاب ، ويكون ثمرتها على الدوام .

لقد شرعت الدولة البوليسية في تونس بمطاردة الديمقراطيين ونشطاء حقوق الإنسان حيث أدخت مفهوم "العدو الموضوعي" إلى قاموسها السياسي.[3]

---

[1] مهدي النجار ،"***الإطار المفهومي للعلمنة***"، مجلة المدى الثقافي ، بغداد: تشرين الثاني 2004 ،ص11 .

[2] – "***حوار مع زعيم حركة النهضة راشد الغنوشي***" ، صحيفة الأمان ، بيروت ، العدد 229 بتاريخ 01 تشرين الثاني –1991.

* **الدولة البوليسية** هي دولة تمارس فيها الحكومة إجراءات قمعية صارمة ضد المجتمع تتحكم من خلالها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب. غالبا ما يتم ذلك من خلال شرطة سرية تعمل عادة خارج حدود التي تفرضها الجمهورية الدستورية. الدولة البوليسية عادة ما تظهر مظاهر الشمولية والرقابة الاجتماعية.

[3] - توفيق المدني ، ***سقوط الدولة البوليسية في تونس***، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون ،2010 ،ص 15

إن حقيقة مركزية السياسة أو مايسمى بمركزية صنع القرار وهي لاتعدو أن تكون حقيقة فرض الحاكم لهيمنته وسلطته المطلقة على كل نواحي الحياة وحتى أن بعض الموظفون السامون في المجال السياسي لايستطيعون تجاوز المركزية السياسية أي الحاكم .[1] توجد فعالية أو دينامكية في العلاقة بين الديمقراطية واللامركزية حيث يؤكد **محمد لخضر** على ضرورة التكامل بين الموضوعين للوصول إلى مايسمى بالنماء أو التطور الديمقراطي ، إن اللامركزية لها دور فعال في ترسيخ بعض المظاهر الاجتماعية كالتضامن ، حيث تلعب اللامركزية في البلديات دور فعال في ترسيخ هذه المظاهر خصوصا عند توفر الكفاءة في القائمين على المجالس البلدية [2].

إن مركزية صنع القرار الشديدة في تونس وقفت حاجزا أمام تنامي الظاهرة الديمقراطية فيها بسبب عد فسح المجال أما فواعل سياسية ومجتمعية تساهم في بناء الدولة الحديثة في تونس .

الفرع الثاني: الآثار الاجتماعية

لقد أثر الاستعمار على الهوية في تونس منذ الحماية التي فرضت عليها بداية من القرن 19 م ، حيث شرعت السلطات الفرنسية منذ أواخر سنة 1932 في مسألة التجنيس الذي اعتبرها أن كل من يتجنس مارقا وكافرا وليس له الحق في أن يدفن في المقابر الإسلامية ، وقد حصلت السلطات الفرنسية آنذاك من اكبر السلطات الدينية في تونس على فتوى يمكن بمقتضاها للمرء أن يتجنس دون أن يكون قد تخلى على عقيدته الإسلامية ، وقد تدخلت الصحافة وشنت حملة ضد التجنيس وجعلت مستوى الحوار يرتفع إلى مناقشة بقاء الأمة أو تلاشيها .[3]

وبعد الاستقلال و بالرغم من عدم تجذر النهج العلماني في النظام السياسي التونسي إلا أنه خلف آثار متمايزة بين السلب والإيجاب على مكونات المجتمع في الدولة التونسية بسبب تأثيرات سياسات الرؤساء التونسيين منذ الاستقلال والنخبة الفرانكفونية الموروثة أفكار فرنسية مشبعة بالدعائم الأساسية لثورة فرنسا سنة1789 الحرية والمساواة على الهوية الوطنية في تونس.

---

[1] -Gerard Marcou , ***«L'administration Territorialeen Tunisie Les Enjeux de la Décentralisation «*** ,Hafedh Ben Salah et Gérard Marcou , ***Décentralisation Et Démocratie En Tunisie ,*** France (centre de recherche administrative,politique et sociales université de lille2) ,p45.

[2] - Ibid,p 45 ,46.

[3] - محمد الهادي الشريف ، ***مرجع سابق*** ، ص119 ،120 .

إن تأثير العلمانية في المجتمع تمثل في العديد من نواحي الحياة في تونس كان أهمها الثقافة والتي نعني بها " الخصائص المحددة لمجتمع ما ، وهي بذلك تعكس صورة المجتمع ودرجة رقيه الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات وترسم صورة السلوك العام للأفراد والجماعات داخل هذا المجتمع " لذلك فالثقافة تعكس روح المجتمع وهويته وقيمه إذ أن كل شعب ومجتمع له ثقافته وخصوصيته .[1]

ولكي تستطيع أي دولة التقدم من الناحية الثقافية لابد أن يكون لها سياسات ثقافية تواكب جميع التطورات الدولية الحاصلة ومختلفة التغيرات المجتمعية الداخلية ،وإن كانت الثقافة هي حركة المجتمع تفاعلا وتأثرا بعوامل من داخل المجتمع نفسه وخارجه إلا أن تبني سياسات معينة وتطبيقها هو في غاية الأهمية لوضع الإطار العام لحركة المجتمع نحو التطوير .

والسياسة تعني "إيجاد عوامل التجانس التي تجمع المجتمعات المتعددة الأعراق معا ، أو الثقافات من خلال التوسع في استخدام الواقع وفرص التعددية بما يقتضي تشجيع الإبداع في السياسات وفي الحكم والتكنولوجيا والتجارة والتعليم وفي التنمية المجتمعية وفي الفنون كما يقتضي استخدام الوسائل الإعلامية لزيادة الفرص المتاحة من خلال توصيل الخاصة بها للجميع ويعني هذا الأمر تبني منظور يهتم بمنظومة المرأة واحتياجاتها ويسعى إلى إعادة توزيع عادلة لمصادر للطاقة بين النساء والرجال ، كما يعني إعطاء الأطفال والشباب موقفا أهم ،بوصفهم حاملي ثقافة مستقبل العالم الجديد ، إلى جانب تنويع مفهوم الميراث الثقافي داخل عملية التغيير الاجتماعي ، وبناء فهم أفضل للأبعاد الثقافية العميقة لإدارة البنية الثقافية وخلق مؤسسات تعضد من ذلك الفهم مع الانتباه إلى مسألة الدمج الثقافي وأشكال التنظيم السياسي"

إن السياسات الثقافية لها أبعاد ثلاث يجب مراعاتها عند تطوير هذه السياسات:[2]

البعد الأول : " سياسي"

بمعنى تبني السياسات الثقافية باعتبار أن الثقافة حق من حقوق الفرد والمجتمع في إطار من الديمقراطية والحرية في ممارسة الحقوق السياسية ، ذلك يستلزم توفير مناخا وآليات تعطي استقلالا للفكر وتؤكد المساواة والعدالة وسيادة القانون وتكافؤ الفرص .

---

[1] أحمد شوقي ، "***حوار الثقافات ضرورة مستقبلية أم رفاهية*** "، سلسلة كراسات مستقبلية ، القاهرة : المكتبة الأكاديمية ،2001 ،ص24 .

[2] - ***المرجع نفسه*** ، ص34 ،35 .

البعد الثاني : " اقتصادي"

بمعنى أن تبنى السياسات الثقافية على أساس تلبية حقيقية للاحتياجات الضرورية للمواطنين وتقليص الفجوة بين الفقراء والأغنياء مع الأخذ بالأسلوب العلمي في التفكير والتخطيط وبناء ثقافة تحفز على التجديد والابتكار والبحث والاختيار والمحاولة والمخاطرة .

البعد الثالث : " ثقافي "

وذلك بتبني سياسات للتجديد من الداخل ، تشمل جميع مرا فق حياتنا الثقافية الجماهيرية . سياسة تعطي كافة الفرص للإبداع والحرية والحركة الذاتية على أساس احترام الذات الثقافية مع تربية العقل النقدي والانفتاح على المنجزات الثقافية العالمية . التعلم منها والتأثير عليها .وفتح مجالات واسعة للحوار بين أفراد المجتمع ومؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

إن هذه الأبعاد الثلاث ضرورية لقيام سياسة ثقافية التي تبني هوية المجتمع لمواجهة مايصيب أي ثقافة من ضغوط ثقافات أخرى غريبة عنها ، وتساعد على إعادة تجديدها لتنفتح على معطيات العصر وتتفاعل معنى ثقافات أخرى دون أن تمحي سماتها وهويتها .

إن الأزمة الثقافية العربية لا سيما في تونس سببها الرئيسي افتقارها لمثل هذه السياسات الثقافية التي تساهم في بلورة مجتمع منفتح ومتحضر .

فالثقافة في تونس هي الثقافة العربية التي تتميز بها معظم الدول العربية والإسلامية وهي نتاج تفاعلات تاريخية إنسانية داخلية مع الثقافات والحضارات الأخرى عبر التاريخ الطويل لمجتمعاتنا .

والثقافة تتميز هنا باللغة العربية التي جمعت كل الذين يتحدثون العربية والدين الإسلامي الذي يعتنقه معظم السكان ففي المسألة الثقافية كانت الجامعات التونسية عرضة للصراعات الحادة بين المحسوبين على الثقافة العربية و الثقافة الفرنسية وعاشت الجامعات إضطرابات موسعة كانت تستدعي التدخل الأمني من طرف رجال الشرطة والجيش إلى الحرم الجامعي.

تميز موقف الحزب الحاكم بعد الاستقلال وأساسا مواقف زعيمه بورقيبة بالتصلب. هذه المواقف المتصلبة تتعارض تماما مع طبيعة المشهد السياسي التونسي الذي اثبت نضجه وإيمانه بالتعددية وقبوله لها بل ودفاعه عنها. ومن بين مظاهر هذا التصلب نذكر[1] :

- لم يعد للحزب القديم أي وجود قانوني كما سلب مناضلوه حق الفعل السياسي .
- منع الحزب الشيوعي من أي نشاط سياسي علني منذ 8 جانفي 1963 ومنع صحافته ومضايقة مناضليه .
- اغتيال صالح بن يوسف في ألمانيا.
- ضرب الاتحاد العام للفلاحة التونسية وسجن العديد من مناضليه وقياديه وتعويضه بالاتحاد القومي للفلاحين سنة 1956 .
- إقالة احمد بن صالح من الأمانة العامة لاتحاد الشغل واحتواء قياداته النقابية وبالتالي احتواء الاتحاد العام التونسي للشغل .
- 1964 بداية نظام الحزب الواحد، وسيطرة الحزب على كل مكونات المجتمع المدني التي تحولت إلى خلايا حزبية .
- محاكمة مناضلي الحزب الشيوعي عام 1968 ومحاكمة مجموعة من مناضلي العامل التونسي ومحاكمات الطلبة سنة 1972 و1974 .
- تعرض مئات الجمعيات الثقافية والصحافة الوطنية والكشافة التونسية بعد الاستقلال مباشرة إلى المراقبة، الأمر الذي أدى إلى انحسارها وغيابها الفكري والسياسي .

وكذلك كان الشأن في فترة حكم الرئيس السابق زين العابدين بن علي.كما أنتهت تونس في الجانب الاقتصادي زمن بورقيبة إلى أزمة اقتصادية خانقة أدت إلى إضرابات عمالية واسعة وثورة الخبز والعديد من الاضطرابات ، وأزداد الاقتصاد التونسي تبعية للشركات الغربية التي راحت تستبيح تونس باسم حرية الاستثمار.

إن غياب الحرية في تونس أدى إلى إلغاء الصفة الكونية في اعتبار الإنسان أن له حقوق وجب أن تحترم في جميع الشرائع وهذا انطلاقا من الروح التي تمثل الإنسان ومن تلك الحقوق حق الاختيار ، ولابد أن تتكفل السلطة السياسية بالسهر على كفالة الحقوق الفردية والجماعية للإنسان .

---

[1] - - منير زعتور، ***المجتمع المدني التونسي من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحكم البورقيبي*** ، مجلة الطريق الجديد ،تاريخ 28 أفريل 2010 نقلا عن : http://www.attariq.org/spip.php?article919

تعقيب:

يشير المفكر **محمد عابد الجابري** إلى أن :" مسألة العلمانية هي مسألة مزيفة ... فالحاجة إلى الديمقراطية التي تعني حفظ حقوق الأقليات والحاجة إلى الممارسة العقلانية للسياسة هي حاجات موضوعية فعلا ، إنها مطالب معقولة وضرورية في عالمنا العربي ، ولكنها تفقد معقوليتها بل ومشروعيتها عندما يعبر عنها بشعار ملتبس كشعار العلمانية ... وفي رأيي أنه من الواجب استبعاد شعار العلمانية من قاموس الفكر العربي وتعوضه بشعاري الديمقراطية والعقلانية ،فهما اللذان يعبران عن تعبيرا مطابقا عن حاجات المجتمع العربي: الديمقراطية تعني حفظ الحقوق ، حقوق الأفراد والجماعات ، والعقلانية تعني الصدور في الممارسة السياسية عن العقل ومعاييره المنطقية والأخلاقية ، ...وكلاهما أي الديمقراطية والعقلانية لاتعنيان استبعاد الإسلام بأي صورة من صور.."[1]

إن الخلط الذي تم الإشارة إليه بين المفهومين العلمانية والديمقراطية فك التباسه المفكر الجابري من خلال قوله إن الديمقراطية والعقلانية جاءت تحت شعار العلمانية واختلطا المفهومين مع بعضهما البعض حتى بات المفكر والسياسي العربي لايفرقان بين الاثنين .

التنظير للواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي العربي له أهمية بالغة في تبلور فكر سياسي عربي يتواءم ومختلف المعطيات العربية والتي تختلف تماما على المعطيات في بلد آخر ، لأن الشعب العربي لاسيما المجتمع المغاربي له صبغته الثقافية والاجتماعية وحتى الدينية التي تميزه عن غيره من الشعوب والتي تجعل من المقاربات النظرية لاتصلح للتطبيق بصورة مباشرة على الساحة السياسية للمنطقة وإنما تحتاج إلى التمحيص والغربة .

قال في مقاله"**الشرعية السياسية على الطريقة العربية** " الذي نشره بتاريخ 21 مارس 1994 " إن الحديث المجرد عن الوطن العربي ، من شأنه أن يخفي الفروق الجسيمة بين قطر عربي وآخر ، سواء من ناحية نوعية النظام السياسي، أو طبيعة النخبة ، أو الخصوصية الثقافية ، أو درجة التطور الاجتماعي ، أو طبيعة التحالفات الإقليمية أو الدولية ، ومن ثم اقترحنا في دراسة أزمة الشرعية السياسية ألا ننطلق من المجردات ، وإنما نصوب أنظارنا للواقع العربي الحي ، ونقوم بتصنيف للنظم السياسية الراهنة على أساس ممارساتها الفعلية ، وليس في ضوء دساتيرها المكتوبة ، أو

---

[1] - حسن حنفي ، محمد عابد الجابري ، ***حوار المشرق والمغرب : نحو إعادة بناء الفكر العربي القومي*** ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1990 ، ص 39 ، 40 .

الخطاب السياسي المعلن لحكامها ، وفي ضوء هذا التصنيف يمكن أن نبدأ دراستنا النقدية للديمقراطية العربية في النظرية والتطبيق ".[1]

المطلب الثاني: السيناريوهات المستقبلية للعلمنة في تونس

ساهمت البيئة السياسية العربية التي سبقت ورافقت الحراك الشعبي للشارع العربي في تنامي الثورات الشعبية في المنطقة ، حيث تميزت بمظاهر عديدة أهمها ضعف الأنظمة الحاكمة وعجزها عن الخروج من حالة الضعف هذه، وتزايد الدكتاتورية في العالم العربي، وتراجع الحرية والعدالة، وقد انعكس الحراك الشعبي على واقع الامة العربية بحيث انهارت ثقافة الخوف، وبرز دور جديد للشباب، ما جعل الحراك يتمتع بشرعية شعبية وإنسانية، وقد أدى ذلك كله إلى الحديث عن انتهاء دور الحاكم المطلق، والبدء بالمطالبة الجادة بالانتقال من مفهوم السلطة إلى مفهوم الدولة.

ثورة تونس كانت هي الانطلاقة الجادة في مسيرة الثورات الشعبية التي أتت فيما بعد في مصر ، ليبيا ، اليمن ، وسوريا والقائمة مازالت مفتوحة ، فوفق جملة المعطيات التاريخية والوقائع السياسية التي حدثت في تونس منذ إعلان رحيل الرئيس السابق **زين العابدين بن علي** يوم الجمعة 2011/01/14 على الساعة الخامسة مساءا ، اتجه المجتمع التونسي وبنية النظام السياسي إلى منحى مغاير تماما لما قبل تاريخ الرابع عشر من أيار حيث تولى محمد الغنوشي رئيس الوزراء التونسي مباشرة بعد التأكد من رحيل بن علي مهام الرئاسة. و ذلك استنادا على الفصل 56 من الدستور التونسي والذي ينص على أن لرئيس الدولة أن يفوض الوزير الأول في حال عدم تمكنه من القيام بمهامه وقد قام الغنوشي بإعلان مجموعة من القرارات منها:[2]

- إعلان الوزير الأول التونسي محمد الغنوشي عن تشكيل حكومة وحدة وطنية و بعد يوم واحد فقط من هذا القرار استقال ثلاثة وزراء الثلاثاء 18 يناير احتجاجا على تواصل هيمنة حزب الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي.

[1] - السيد ياسين ، ***أسئلة القرن الحادي والعشرين : الكونية والأصولية وما بعد الحداثة*** ، ج2 ، القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، 1996 ، 83 .

[2] الثورة التونسية ، مركز الاخبار ، نقلا عن :بتاريخ 2011/01/14

- بالموازاة إلى ذلك أعلن عن تشكيل لجنة وطنية لاستقصاء الحقائق حول قضايا الفساد والرشوة يرأسها المحامي عبد الفتاح عمر. وفي خضم احتجاجات الشارع التونسي ضد الحكومة أعلن الغنوشي استقالته يوم الأحد 27فبراير .

ويشغل منصب الرئيس المؤقت محمد فؤاد المبزع و هو سياسي تونسي شغل منصب رئيس مجلس النواب منذ 14أكتوبر1997ويشغل منصب رئيس الجمهورية التونسية بشكل مؤقت منذ 15 يناير 2011 وذلك بعد إعلان المجلس الدستوري التونسي شغور منصب رئيس الجمهورية بشكل نهائي حسب الفصل 57 من الدستور التونسي ، حيث عمل على :

- تأسيس هيئة تتكون من 12 حزبا و 42 شخصية وطنية و17 من مكونات المجتمع المدني والهيئات الوطنية، في 18 فبراير بموجب مرسوم رئاسي. وتتمثل مهمتها في دراسة النصوص التشريعية ذات العلاقة بالتنظيم السياسي واقتراح الإصلاحات التي تحقق أهداف الثورة،ومن مهام الهيئة أيضا مراقبة نشاط الحكومة المؤقتة وصياغة النص التشريعي الخاص بانتخابات المجلس التأسيسي في انتخابات 24 يوليو المقبل. وأُطلق على هذه الهيئة اسم "اللجنة العليا للإصلاح السياسي".
- حل حزب التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم رسميا في يوم الأربعاء 9 مارس .

إن مجموع التغيرات السياسية والاجتماعية التي تعيشها تونس حاليا تصعب من مهمة هذا البحث من حيث تحديد سيناريوهات محتملة الوقوع على الساحة السياسية التونسية لأن الثورة الشعبية التي حصلت في تونس ساهمت بشكل كبير في تحريك ثورات شعوب عربية أخرى حيث كان نتاجها سقوط أنظمة سياسية دامت لعقود طويلة تحكم البلاد وتضطهد العباد على غرار مصر وليبيا وبهذا أصبح فن المستحيل الذي صنعته هذه الأنظمة ممكنا.

أكد صلاح الدين الجورشي النائب الأول للرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان (LTDH) وعضو لجنة تقصي الحقائق في ندوة حول الانتقال الديمقراطي في تونس فقال إن كل الثورات تمر بثلاث مراحل:

- ✓ الأولى هي الإطاحة برأس النظام.
- ✓ الثانية فهي المرحلة الانتقالية وهي الأصعب
- ✓ المرحلة الثالثة فتتعلق ببناء نظام سياسي بديل.

وحسب الجورشي، فإن المرحلة الحالية التي تمر بها تونس تتميز "بهشاشة جميع المؤسسات بدون استثناء وليست المؤسسة التنفيذية فقط بل الاقتصادية والأمنية أيضا".[1]

إن إعلان الحكومة الانتقالية التونسية أن الانتخابات النيابية ستتم في أكتوبر 2011 وأنها ستستقيل بعد إعلان نتائج الانتخابات هذا من جانب ومن جانب آخر اعتماد أكثر من 100 حزب رسميا في تونس يؤكد على أن المعترك السياسي في تونس سيشهد العديد من التغيرات في جيميع المجالات سواء السياسية أو الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية .

مما سبق ذكره ومن جملة المعطيات السياسية الحاصلة في تونس منذ الثورة الشعبية القائمة فيها من بداية يناير 2011 حيث فسحت المجال أمام الباحثين والدارسين لوضع سيناريوهات مستقبلية للوضع السياسي في تونس ، وعليه تؤكد هذه الدراسة من جانبها و من خلال السيناريوهات المحتملة على ثلاث خيارات أساسية :

الفرع الأول:تبني التوجه العلماني

نعني بالخيار العلماني في تونس وصول نخب سياسية فرانكفونية علمانية إلى سدة الحكم وقد تم وضع هذا السيناريو اعتمادا على مجموعة من الظروف التي سادت في تونس والتي ميزت الملامح السياسية العامة في تونس قبل الثورة وأثنائها وبعدها .

فالذين ساهموا فعليا في الإطاحة بنظام "بن علي" من خلال ثورة الرابع عشرمن يناير لم يطالبوا بصياغة جديدة لعلاقة الدين بالدولة ، بل ثاروا بسبب جملة من الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتراكمة منذ الاستقلال في تونس ، والكثير من الذين شاركو في هذه الثورة هم الذين تظاهر مئات الأشخاص منهم في فبراير 2011 في العاصمة التونسية من أجل «تونس علمانية» وذلك غداة حوادث يشتبه بضلوع إسلاميين فيها، بينها بالخصوص مهاجمة مبنى يزعم أنه يستخدم كمقر للبغاء واغتيال قس بولندي ذبحا .

إن النهج العلماني التي تبنته القيادة التونسية منذ الاستقلال ساهم في بلورة فكر علماني لدى العديد من الفئات الشعبية . فقد ظلت العلمانية دائما منهجا فكريا تتبناه أطروحات مختلفة سواء في إطار تنظيمي حزبي أو في إطار جمعياتي داخل مكونات المجتمع المدني وسواء كان هذا أو ذاك فان العلمانية تلقى تجاوبا وصدى ايجابيا لدى عدد كبير من المثقفين والسياسيين باعتبارها ضمانة هامة للمسار الديمقراطي ، وهذا ما أكدته المعطيات السياسية بعد

[1] جمال عرفاوي، ***ندوة حول الانتقال الديموقراطي في تونس*** ، بتاريخ 2011/05/23 نقلا عن :
http://magharebia.com/cocoon/awi/xhtml1/ar/features/awi/features/2011/03/08/feature-03

ثورة تونس الأخيرة من خلال ظهور أحزاب علمانية من بينها حزب التجديد، وهو حزب شيوعي سابق أعاد تعريف نفسه كيسار معتدل. حيث بدأ في تجمع اليساريون ومؤيدو الحركات النسوية ،بالإضافة إلى أحزاب سياسية علمانية واشتراكية في أغلبها من بينها حزب العمل الوطني الديمقراطي بقيادة **عبد الرزاق الهمامي** ، وحزب الحرار التونسي بقيادة **منير بوعطور** ، وحزب العمال الشيوعي التونسي **حمة الهمامي** أمينا له.

التسليم بهذا الخيار يعني التأكيد على استمرارية النخب السياسية التابعة للنظام السابق وبهذا فإن دعاة الثورة الشعبية في تونس من مثقفين وبسطاء سيدخلون في حلقة التحاور من جديد مع هذه النخب لإنتاج وضع سياسي واجتماعي مختلف .

إن التوجه العلماني للدولة التونسية يعني بالضرورة الاتجاه نحو الليبرالية في الحياة السياسية والتي ستعقبها بالتأكيد خطوات باتجاه الليبرالية الاقتصادية والاجتماعية. وعندما يكون الحديث عن الليبرالية لابد من طرح فكرة العلمانية في الإطار القانوني الضامن للحريات التي يتمتع بها الفرد في ضل تلك الحياة الليبرالية, كحرية الأديان, وحرية الضمير, وحرية التعبير، بمعنى آخر دسترة العلمانية كما هو الشأن بالنسبة لفرنسا ، وبهذا يتحقق المشروع السياسي العلماني في جانبيه الواقعي والقانوني.

الفرع الثاني :تبني الخيار الإسلامي

تلعب الأحزاب دور الوسيط بين الشعب والسلطة أو صناع القرار . هذه الوساطة تنسج برامج انتخابية تصغي جيدا إلى مشاغل المواطن وتطلعاته . لتصبح هذه المشاغل أفكارا تتضمنها الأحزاب وتنسج منها خطابا دعويا بأسلوب ما تستميل به ثقة الناخب ، و قد شاركت حركة "النهضة" الإسلامية عام 1989 في انتخابات تشريعية تحت لوائح مستقلة، فحصلت على حوالي20% من الأصوات حسب اعتراف السلطة، بما أهلها لتكون بمثابة خصم سياسي للنظام الحاكم، الذي بدأ في مواجهتها، خاصة بعد تقدمها بطلب الحصول على ترخيص قانوني جوبه بالرفض من طرف السلطة.ومع مطلع العام 1990 بدأت نذر الصدام بين الحركة والسلطة، التي تبين لها تعاظم قوة التيار الإسلامي واتساع قاعدته الشعبية، وواجه النظام التونسي الحركة بحظر أنشطتها واعتقال قادتها، باعتبارها حركة سياسية غير شرعية، وبذريعة أنها تحوي في عضويتها بعض القيادات الذين ينتمون إلى السلفية الجهادية أمثال الشيخ **صالح كركر**.

إن الإقصاء الذي شهدته الحركة الإسلامية في تونس منذ ظهورها قد زال بعد الثورة الشعبية في تونس وهكذا قد نشهد وجود حركات إسلامية أخرى على الخريطة في تونس حيث تحصلت حركة الكرامة والتنمية على تأشيرة للعمل القانوني في 18 مارس 2011 ورغم أن الحركة حديثة التأسيس فإنها مكونة من مجموعة من الأشخاص الذين سبق لهم العمل في الميدان السياسي والنقابي بل أن مجموعة منهم تعرضوا للسجن والتجنيد في أوائل التسعينات نتيجة نشاطاتهم الطلابية. كما نشهد وجود حركة الاتجاه الإسلامي "النهضة" على الساحة وبالأخص بعد مجموعة الحريات المتوقعة، بعد الثورة الشعبية التي قامت في تونس، وذلك بعد رجوع راشد الغنوشي .

وبالتالي ستشهد الساحة السياسية قي تونس تبلور فكر إسلامي من جديد بعد أن تم إقصائه لعقود من الزمن من خلال حركة النهضة وبعض الحركات التي ظهرت بعد الثورة وبالتالي سيكون الخيار الإسلامي في تونس مفتوحا أمام توليه السلطة ، خصوصا بعد استطلاعات للرأي التي تؤكد أن حزب النهضة وهو الأوفر حظا للفوز بالانتخابات حيث حصل على 17 بالمائة . ويؤكد الاستطلاع من جهة أخرى أن الأحياء الفقيرة مثل حي التضامن هو أرض خصبة للحزب ،كما يملك الممثلون المحليون مقرا جديدا، وقد أطلقوا بالفعل حملتهم الانتخابية.

كما أكد الدكتور **أعلية العلاني** أستاذ التاريخ المعاصر بالجامعة التونسية والباحث المتخصص في التيارات الإسلاميّة المغاربية قال في تصريح صحافي إن النهضة غيرت خلال السنوات الأخيرة "خطابها السياسي بالكامل" حتى أصبحت "مفردات الديمقراطية والتعددية والتسامح والتعايش مستعملة بكثرة في أدبياتها" مستدلا بكتاب "الحريات العامة في الدولة الإسلامية" الذي أصدره زعيم النهضة راشد الغنوشي سنة 1993.

الفرع الثالث : تبني الخيار الديمقراطي (التعايش السلمي للمعارضة)

ونعني به التعايش بين مختلف التيارات الإسلامية و العلمانية في إطار جو ديمقراطي وهذا هو السيناريو المحتمل والتي تؤكد عليه الدراسة بسبب أن النخب الفرانكفونية في تونس مازالت ناشطة في جميع المجالات ومن بينها المجال السياسي الذي احتكرت الممارسة فيه منذ الاستقلال بسبب تبني كلا الرئيسين الأسبقين النهج العلماني في العديد من الأوجه المجتمعية للشعب التونسي .

فمنذ الترخيص له بالنشاط كحزب سياسي، في 01 مارس/آذار 2011، توخى حزب حركة النهضة نهجا حذرا في الجدل السياسي الدائر في تونس حول قضايا عديدة، مثل المناقشات التي يشهدها المجلس الأعلى لتحقيق

أهداف الثورة الذي يضم هيئات المجتمع المدني وقوى شبابية شاركت في الثورة إلى جانب أحزاب سياسية، حول قضايا المرحلة الانتقالية والقانون الانتخابي ووضع دستور جديد للبلاد بعد إلغاء العمل بمؤسسات نظام الرئيس المخلوع بن علي. حيث أعلن **الغنوشي** في تصريحات صحفية إن حركة النهضة تعتبر تركيا "خلاصة ناجحة بين الإسلام والحداثة". وقال في تصريحات لوكالة "الأناضول" التركية: إن"المجتمع التونسي يعتبر تركيا مثالا يقتدى به مذكرا بأن تركيا "بدأت في بداية القرن 19 عملية إصلاحات للمواءمة بين الإسلام والحداثة" وأن "حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا ضامن لتواصل هذه الحركة الإصلاحية".

من جهة أخرى تواجد جمعيات وأحزاب علمانية على الساحة السياسية التونسية يؤكد على ضرورة فتح الحوار بين الجبهتين – الإسلامية والعلمانية- لتبني نهج ديمقراطي يسمح فيهما كلا الطرفين لخوض المعركة السياسية في جو ديمقسراطي .

ويعتبر هذا الخيار من بين السيناريوهات القريبة والمحققة بسبب مختلف الظروف السياسية التي حدثت في تونس منذ ثورتها . وبالتالي فإن للنموذج التركي احتمال التكرار في الدولة التونسية على أن هذا النموذج نجح في تقديم تجربة ناجحة للحكم في دولة إسلامية من خلال التوفيق بين الإسلام والعلمانية والاقتصاد.

وهذا ماذهب إليه رئيس حزب "المجد" **عبد الوهاب الهاني** حينما قال نريد "نظاما جمهوريا لا علماني بالمنظور الغربي ولا ديني بالمنظور الإيراني " ، وقال إنه يفضل "نظاما جمهوريا لا علمانيا بالمنظور الغربي ولا دينيا بالمنظور الإيراني" يكفل السلطة والتشريع للشعب، كما يغلق الباب أمام الانخراط في منظومة الدولة العقائدية سواء كانت دينية أو إلحادية.

وأكد من جانبه الأستاذ في التاريخ المعاصر والأنثروبولوجيا التاريخية **عبد الواحد المكني**، أن النظام الجديد يجب أن "يعمل على إرساء دعائم الحرية في مختلف أبعادها، وعلى إرساء العدالة الاجتماعية والجهوية".
وقال **المكني** إن الدولة يجب أن تكون مدنية تقوم على مبدأ الحق والواجب لا على خلفية حكم الأقلية (الأوليغارشية)، أو جهوية، أو عسكرية، أو على خلفية عروشية.

ودعا الأستاذ والباحث في الحضارة **توفيق عرفاوي** إلى استغلال "المزاج العام الحالي الديمقراطي للتوصل إلى قوانين وفق مبدأ التوافق والعقد الاجتماعي"، وأضاف بأن اليسار مطالب هو أيضا بأن ينفتح ويجد أرضية توافق، لأن الإسلام أثبت أنه يواكب التطور الحداثي من خلال تجدد الاجتهادات دون المساس بالروح العقدية.[1]

إن تأكيد هؤلاء السياسيين والباحثين على ضرورة تبني نظاما قائما على العدالة الاجتماعية و دعائم الحرية ، يساهم في بناء الصرح الديمقراطي للجمهورية التونسية القائم على حركة نهضوية كانت بدايتها الثورة الشعبية وهذا ما تم الإشارة إليه في هذا السيناريو .

[1] - ما بعد الثورة جدل العلماني والديني في تونس نقلا عن :
http://www.aljazeera.net/Mob/Templates/Postings/NewsDetailedPage.aspx?GUID=04908E65-14A7-494D-96D2-A6913EE38906

الخاتمة

إن دراسة موضوع العلمانية في جانبيه النظري و والتطبيقي على مستوى المنطقة المغربية و خصوصا على مستوى نموذج الدراسة الجمهورية التونسية يقودنا إلى العديد من الاستنتاجات :

أولا : في الجانب النظري

تم رصد الملاحظات التالية :

1/ عدم تحديد مفهوم العلمانية في البيئتين الغربية والعربية

2/ العلمانية ليس نظرية إنما حل عملي لمختلف التراكمات التاريخية الدينية والفكرية والسياسية التي كانت حاصلة في أوروبا ، من بينها الطغيان الكنسي في مختلف الجوانب الحياتية للشعوب الأوروبية ، بالإضافة إلى محاربة العلم ، وقد مهد صلح واستفاليا سنة 1648 لفكر علماني حقيقي في أوروبا ،

فالعلمانية هي نتاج صراع مرير، ومخلفات عقود من المعاناة عاشها الغرب المسيحي في ظل أوضاع غاية في التخلف والقسوة ، وقد ارتبطت تلك الأوضاع المأساوية بالدين ، فقد غدت الكنيسة في الغرب المسيحي مصدرا للظلم ، وهي في ذات الوقت مصدر للجهل، وانتشار الخرافة ، وأصبح رجال الدين (الاكليروس) يستعبدون العامة فكريا وماليا وجسديا، فقد كانت الكنيسة سندا قويا لرجال الإقطاع، بل كانت هي أعظم الإقطاعيين.

3/ برزت بعض النظريات المتعلقة بحركة الأرض، وكرويتها على يد العلماء، فقامت الكنيسة بالتنكيل بهم، فحرقت ، وسجنت ، وقتلت، في محاولة منها للحفاظ على سلطانها القائم على الخرافة والدجل، كل هذا وغيره دفع الناس إلى التمرد على سلطان الكنيسة، بغية الخلاص من طغيانها، وقد احتقر الشعب الاوروبي الدين ، فكان من نتاج ذلك أن ظهر الإلحاد كإطار عقدي في البعد عن إله الكنيسة ، وظهرت العلمانية كإطار عملي في البعد عن سلطان الكنيسة، واندفع الناس في هذين الإطارين حتى نادى بعضهم قائلا : " اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس " .

4/صعوبة التحديد المقارباتي لموضوع العلمانية بسبب تبني العديد من المدارس والنظريات لفكرتي المادية و فصل الدين عن الدولة ، حيث حاولنا من خلال هذه الدراسة التطرق لأهم المدارس والنظريات التي لها صلة بالموضوع وهي :

- **المدرسة البراجماتية**
- **المدرسة الوضعية**
- **المدرسة العضوية**
- **النظرية الماركسية**

- **نظرية الحداثة وما بعد الحداثة**

5/ واءمت نظريتا الحداثة ومابعد الحداثة النموذج التونسي منذ الاستقلال و حتى تاريخ يناير 2011 تاريخ الثورة التونسية والتي وصفها العديد من الدارسين والملاحظين بأنها ثورة نهضة وتحديث ، وذلك مقارنة بالمدارس والنظريات التي تم التطرق إليها في الدراسة .

ثانيا : الجانب التطبيقي

تتمتع الأنظمة المغاربية بتبني النهج العلماني وذلك بسبب المحددات الداخلية والخارجية التي ساهمت في تبني هذا النهج ومن أهمها :

1/ اليد الاستعمارية التي ساهمت في نشر ثقافة الثورة الفرنسية القائمة على أساس الحرية والمساواة والتي تدعمان فكرة اللائكية .

2/النخب لحاكمة والتي تتميز بالثقافة الفرانكفونية المساعدة بالنهوض بالنهج العلماني على مستوى الأنظمة السياسية لأقطار المغرب العربي .

3/ بالإضافة إلى ذلك هناك محددات خارجية ساهمت في تبني الخيار العلماني أهمها العلاقات الأوروبية المغاربية من جهة والعلاقات الأمريكية المغاربية من جهة أخرى بعد استقلال أقطار المغرب العربي حيث تميزت بالطابع الاقتصادي السياسي ، والتي فرضت من خلاله هذه القوى أفكار علمانية على الأنظمة السياسية الحاكمة .

4/ ساهمت مرجعيات فكرية وسياسية عربية في تبني هذا الخيار بسبب تشبعها بالثقافة الأوروبية بخاصة والغربية بصفة عامة وقد كان تيار التنوير العلماني بقيادة **فرح أنطون** ، **علي عبد الرازق** ، **شبلي الشميل**،من أهم التيارات الفكرية التي ساهمت تبني التوجه العلماني في المنطقة العربية ولاسيما المغاربية .

إن النهج العلماني للنظام السياسي للجمهورية التونسية لم يحصل على قاعدة إجماع من قبل مختلف القوى الاجتماعية والسياسية على نحو ماحصل في الغرب الأوروبي فالحداثة البورقيبية التي تبنت منذ الاستقلال السياسي للدولة لم تلاقي ذلك الترحيب الكبير من قبل القاعدة الشعبية الواسعة لان هذه الأخيرة كانت تجمع تيارات فكرية وسياسية مختلفة لم ترقى إصلاحات الحبيب بورقيبة إلى درجة بلورتها ضمن إطار سياسي موحد يسوده الفضاء الديمقراطي الحر.

وعليه فإن التجربة التونسية في مجال التحديث والعلمنة واجهتها مجموعة من الصعوبات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي أدت إلى عدم وضوح الرؤيا اتجاه هذا الموضوع في المنطقة بصفة عامة و في تونس بصفة خاصة ، و بالرغم من ذلك فإن النهج العلماني للنظام السياسي التونسي خطى خطوات مميزة في هذا المجال ميزه عن غيره من النظم السياسية المغاربية .

من خلال الدراسة نجد أن تبني النهج العلماني من طرف **الحبيب بورقيبة** كان منذ الاستقلال السياسي لتونس وقد تبعه **زين العابدين بن علي** فيما بعد ، بالموازاة إلى ذلك تبنى كلا الرئيسين العلمانية الأوروبية في بعض الأمور السياسية والاقتصادية ، الأمر الذي جعل النظام التونسي يقع في خطأ استخدام المنظورات السياسية المتبناة منذ عصر النهضة في أوروبا ومحاولة إسقاطها على النظام السياسي التونسي الذي له خصوصية دينية واجتماعية تجعل من مصير النظرية العلمانية والحداثية على وجه الخصوص هو الفشل ، فإذا كان تسلط الكنيسة على العلماء ورفضها للعلم سببا في ظهور العلمانية في الغرب فإن الإسلام :

- هو دين ودنيا فقد فصل الإسلام في الزواج والطلاق وتقسيم المواريث ، كما أنه فتح الباب أمام التعددية من خلال مبدأ الشورى و ترك باب الاجتهاد مفتوح في تحديد شكل الدولة وذلك حسب ماتقتضيه المصلحة والمنفعة وحسب مقتضيات كل عصر .
- لم يرفض العلم ولم يحارب العلماء بل شجع القرآن الكريم والسنة النبوية التحصيل العلمي فقال سبحانه في أول سورة أنزلها على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم **:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ سورة العلق (الآية :01)**
- الإسلام ليس كنيسة كي نفصله عن الدولة .
- لم ترفض أوروبا التدين بالمسحية بل رفضت تسلط رجال الكنيسة ، وغياب رجال الكنيسة في المجتمعات الإسلامية يؤدي بالضرورة إلى إلغاء الحلول الإجرائية –المتمثلة في العلمنة– لمشاكل غير موجودة أصلا.
- كما أن علماء الإسلام لم يدعوا أنهم يملكون حق تفسير الظواهر الطبيعية كما ادعت ذلك الكنيسة
- كما لم يدعي أحد من علماء المسلمين أنه يملك حق المنح والمنع من رحمة الله كما فعلت الكنيسة ، كما لم يدعي أحد منهم أن بيده مفاتيح الجنة يعطيها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء.

- نشأت العلمانية في الغرب للحد من السلطة المطلقة لرجال الدين كما أكد بعض الباحثين أن العلمانية نشأت في الشرق للعديد من الأسباب وكان من بينها ضمان حق أقلية طائفية ودينية.وبالتالي عندما نتحدث عن العلمانية في تونس فان السؤال الذي يطرح هل نحن في حاجة للعلمانية في إطار بلد مندمج طائفيا ومذهبيا ودينيا ؟

- إن الديمقراطية تتواءم و النموذج التونسي ذو الخصوصية الدينية ،و هي التي تفسح المجال أمام التعددية السياسية، ومنح الحرية والمساواة بين الأفراد ، وتحفظ حقوق الإنسان ، دون فصل الدين عن الدولة وهذا ما تدعو إليه العلمانية في المنطقة المغاربية.

إن المأزق السياسي لايكمن فقط في تبني الأنظمة السياسة الحاكمة النهج العلماني – حتى لوكان بصورة ضمنية– هذا النهج الذي لايتوائم و الخصوصية الدينية للمنطقة ، لان الدين الإسلامي هو دين ودنيا ، لم يمسسه التحريف ،وضح جميع الأمور العقائدية وترك الاجتهاد في أمور دنيوية كشكل الدولة أو نوع الحكم السياسي فيها مع اشتراط العدالة والمساواة في الحكم وهي مطالب علمانية مضادة للدين المسيحي المحرف الذي أغفل هذا الجانب، إن المأزق السياسي في دول المنطقة يكمن في غياب جو ديمقراطي تتنافس فيه مختلف التيارات السياسية ويفسح فيه المجال أمام تكوين منظمات المجتمع المدني وإشراكها في العملية السياسية .

قائمة المراجع

أولا: المراجع والمصادر باللغة العربية

I. **القرآن الكريم**

1 - سورة المائدة الآية 73.

II. دستور الجمهورية التونسية

1-*الفصل الأول من الباب الأول*.

2-***الفصل الثالث من الباب الأول*** .

3-***الفصل38 من الباب الثالث*** .

4- ***مجلة الأحوال الشخصية التونسية*** .

III. الكتب

1 -إبراهيم(حسنين توفيق) ، ***تحليل ردود الأفعال العربية تجاه أحداث أيلول / سبتمبر وتداعياتها*** " ، أحمد يوسف أحمد (محررا) ،***صناعة الكراهية في العلاقات العربية – الأمريكية*** ، ط 3 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007

2 -أغاية (محمد نور الدين) ،***الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس*** ، ط2 ، المغرب : إفريقيا الشرق، 1998

3 -أبو جابر (فايز صالح) ، ***الفكر السياسي الحديث***، بيروت: دار الجبل، عمان: مكتبة المحتسب، 1985

4 -إسماعيل (كريم حسنين)،***الخلق بين العنكبوتية الداروينية والحقيقة القرآنية*** ،مصر : دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع،2001 ، ص 112

5 -أعراب (إبراهيم) ، ***الإسلام السياسي والحداثة*** ، المغرب : إفريقيا الشرق ، 2000 .

6 – الأنصاري(محمد جابر) ، ***تحولات الفكر والسياسة في الشرق الوسط 1930-1970*** ، سلسة عالم المعرفة ،الكويت : الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، نوفمبر 1980

7 -ايجلتون (تيري) ، ***أوهام مابعد الحداثة*** ، ترجمة :منى سلام، القاهرة : مطابع المجلس الأعلى للآثار، 2000

8 -بلخوجة(الطاهر) ، ***الحبيب بورقيبة : سيرة زعيم شهادة على العصر*** ، القاهرة : الدار الثقافية للنشر ، 1999 .

9 -برهييه (إميل) ،***تاريخ الفلسفة : الفلسفة الحديثة 1850 -1945*** ،ترجمة : جورج طرابيشي، لبنان : دار الطليعة للطباعة والنشر 1987 ،ص20 .

10- بلقزيز (عبد الإله) ،***الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر*** ،ط2 ،لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر2004 .

11 - براند (لوري) ، "***النساء الدولة والليبرالية السياسية : تجارب الشرق الأوسط وافريقية*** " ، ترجمة : شهرت العالم ، ***نحو دراسة النوع في العلوم السياسية*** ، مصر: دار الكتب المصرية ،2010 .

12 - بن جميع (سنية) ،" ***المرأة واتخاذ القرار الحياة العامة في تونس نموذجا*** "، حمدي عبد الرحمان (محررا) ، ***المشاركة السياسية للمرأة خبرة الشمال الإفريقي*** ،، القاهرة : مركز دراسات المستقبل الأفريقي ، 2001

13 - بارندر (جفري) ، ***المعتقدات الدينية لدى الشعوب*** ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد173 ،الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،ماي1993 .

14 برينتون (كرين)، ***تشكيل العقل الحديث*** ، ترجمة : شوقي جلال ،سلسلة عالم المعرفة ، عدد82 ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والآداب ، أكتوبر 1984

15 - بن سلمان (سعود)، ***النظام السياسي في الإسلام*** ،ط2 ، الرياض : دار الوطن للنشر ،2006 .

16 - الجابري (محمد عابد) ، ***وحدة المغرب العربي : فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال*** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية 1987.

17 - جورافسكي (أليسكي) ، ***الإسلام والمسيحية*** ، ترجمة خلف محمد الجراد ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد215 ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، نوفمبر 1996 .

18 -الجمل (شوقي) ، عبد الرازق(عبد الله) ، ***تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة*** ، القاهرة :المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 2000 .

19 - جوهر (حسن محمد) ، ***شعوب العالم : تونس*** ، ط 2 ، مصر : دار المعارف ، 1968

20 – حاروش (نور الدين)، ***تاريخ الفكر السياسي: أعمال موجهة***، (الجزائر: مطبعة النعمان، ماي 2004 حنفي (حسن) ، الجابري (محمد عابد) ، ***حوار المشرق والمغرب : نحو إعادة بناء الفكر العربي القومي*** ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1990

21 – الحداد(يوسف درة)، ***مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي*** ، ط2 ،(د. م. ن) ،ن منشورات المكتبة البولسية ، 1986

22 – حرب (أسامة الغزالي) ، ***الأحزاب السياسية في العالم الثالث*** ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عدد117 ، سبتمبر 1987 .

23 - الحوالي (سفر عبد الرحمان) ، ***العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة*** ، دار مكة للطباعة والنشر ، 1982 .

24 – رزيق المخادمي (عبد القادر) ، ***الإصلاح الديمقراطي في الوطن العربي بين القرار السياسي والفوضى البناءة*** ، القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع ، 2007

25 – زغلول (عبد الحميد سعد) ، ***تاريخ المغرب العربي : الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيين إلى قيام المرابطين*** ،ج 3 ،الإسكندرية : منشأة المعارف ،1990

26 – زيبب (نجيب محمود)، ***الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس*** ، ج 1 ، بيروت : دار الأمير للثقافة والعلوم ،1995 .

27 – سلطان (جاسم) ، ***النهضة من الصحوة على اليقظة : سلسلة أدوات القادة*** ،(د .م .ن)، (د.د.ن)،(د.ت.ن)

28 – سعودي (محمد عبد الغني) ، ***الوطن العربي*** ، القاهرة : مكتبة الانجلو مصرية ، 2006 .

29 - سويفي (عبد الهادي عبد القادر)، ***قراءات في اقتصاديات الوطن العربي***، ط2 ، مصر ، (د. د . ن) ، 2008

30 –شلبي (أحمد) ، ***المسيحية*** ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، (د .ت .ن)

31 – شلبي (محمد) ، ***المنهجية في التحليل السياسي : المفاهيم، المناهج ، الإقترابات والأدوات ،*** الجزائر : دار هومة ،2007

32 - الشيباني (رضوان أحمد شمسان) ، ***الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي*** ،القاهرة: مكتبة مدبولي، 2006

33 - شوفاليه(جان جاك) ، ***تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية***، ترجمة : محمد عرب صاصيلا ، ط3 ، لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 2002 .

34 - الشريف (محمد الهادي) ، ***تاريخ تونس : من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال*** ،ط3 ، تونس : دار سراس للنشر ،1993

35 -شربل(كمال موريس) ، ***الموسوعة الجغرافية للوطن العربي*** ، بيروت : دار الجيل ، 1998.

36 -الشريف (ماهر) ، الكواكبي(إسلام)، ***تيار الإصلاح الديني و مصائره في المجتمعات في المجتمعات العربية*** ، دمشق : المعهد الفرنسي للشرق الأوسط ، 2004 .

37 -الصبيحي (أحمد شكري) ، ***مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي*** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000

38 -الصبيحي (أحمد شكري) ، ***مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي*** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000

39 - صرصار(محمد شفيق) ،***مناظرة الدخول إلى المرحلة العليا: القانون المحور الأول القانون الدستوري والمؤسسات السياسية*** ، الجمهورية التونسية : المدرسة العليا للإدارة ، سبتمبر 2007

40 -فياض (عامر حسن) ، علي عباس مراد ، ***الفكر السياسي الحديث والمعاصر*** ، موسوعة الفكر السياسي ، ج 3 ، عمان : دار الجنان للنشر والتوزيع ،2010

41 -فايد (زكريا) ، ***العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب*** ،(د.م.ن) : الزهراء للإعلام العربي،1988

42 -عبيد شقرون (فوزية) ،" ***المشاركة السياسية للمرأة التونسية واقع وآفاق***" ، حمدي عبد الرحمان (محررا) ، ***المشاركة السياسية للمرأة خبرة الشمال الإفريقي*** ،، القاهرة : مركز دراسات المستقبل الأفريقي ، 2001

43 -العظمة (عزيز) ، ***العلمانية من منظور مختلف***، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،2001

44 -عبد السلام (رفيق) ، ***في العلمانية والدين والديمقراطية : المفاهيم والسياقات*** ، بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2008 .

45 -عمران (محمود سعيد) و(آخرون) ، ***النظم السياسية عبر العصور*** ، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، 1999.

46 -علي (سعيد إسماعيل) ، ***فلسفات تربوية معاصرة*** ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 198 ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1990

47 -الغنوشي(راشد) ، ***الحركة الإسلامية ومسألة التغيير*** ، تونس : دار قرطبة للنشر والتوزيع ،2003 .

48 -عوض(لويس) ، ***الثورة الفرنسية*** ، الاسكندرية : مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1992

49 -فيشر(هربرت) ، ***تاريخ أوربا في العصر الحديث***، ترجمة : أحمد نجيب هاشم ، القاهرة : دار المعارف، 1984 .

50 - الفيصل (سمر الروحي)، ***قضايا اللغة العربية في العصر الحديث*** ، دمشق: وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، 2010 .

51 - فرحات (محمد فاير) ،"***أبعاد التحول الديمقراطي في تونس***"، أحمد منيسي (محررا)،***التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي*** ، 2004.

52 -قدوح(إنعام أحمد)، ***العلمانية في الإسلام*** ، بيروت: دار السيرة ، 1995

53 -كونفورث (موريس) ، ***مدخل إلى المادية الجدلية*** ،ط3 ،ترجمة :محمد مستجير مصطفى ،لبنان :دار الفرابي ،1990 .

54 -الكيالي (عبد الوهاب)، ***موسوعة السياسة*** ، ج 7 ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1985

55 -كمال (محمد مصطفى)، نهرا(فؤاد) ،***صنع القرار في الاتحاد الأوروبي والعلاقات العربية-الأوروبية*** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ،2001 .

56 -لبيض (سالم)، ***الهوية: الإسلام ، العروبة، التونسة***، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ،2009

57 -لغويل(سليمان صالح) ، ***الدولة القومية : دراسة تحليلية مقارنة*** ،ط7 ، ليبيا : دار النهضة العربية، 2002

58 -مالكي(أمحمد) ، ***الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي*** ، ط 2 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1994

59 -مبروك(محمد ابراهيم)، ***المرجع في العلمانية: حقيقة العلمانية و الصراع بين الإسلاميين و العلمانيين***، ج1، مصر، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 2002

60 -متي (كوركيس)، ***تاريخ الكنسية : تاريخ الإصلاح حتى العصر الحاضر*** ، ج2 ،(د. م. ن) ، (د.د.ن)

61 -مسرحي(فارح)، ***الحداثة في فكر محمد أركون***، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2006

62 -المديني(توفيق)، ***المعارضة التونسية نشأتها وتطورها*** ، دمشق : منشورات إتحاد العرب ،2001

63-(-) ، ***سقوط الدولة البوليسية في تونس***، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون ،2010 .

64 -المسيري (عبد الوهاب) ، ***العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة*** ، المجلد 1 ،القاهرة : دار الشروق ،2002

65ـ ، ***دراسات معرفية في الحداثة الغربية*** ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، 2006

66ـ ، ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية***، المجلد 1 ، مصر :دار الشروق للنشر والتوزيع ،1999 .

67 -ميلنو(جون) ، ***ماهو التراث الماركسي الحقيقي*** ؟ تر: وحدة الترجمة ، مصر: مركز الدراسات الاشتراكية ، 1995.

68 -موسنييه (رولان) ، ***تاريخ الحضارات العام : القرنان السادس عشر والسابع عشر*** ، ترجمة : يوسف اسعد داغر ، فريد م داغر ، المجلد الرابع ، بيروت : عويدات للنشر والطباعة ،2006

69 - منيب(عبد المنعم)، ***الحركات الإسلامية في مصر*** ، القاهرة : (د د ن) ، 2009

70 -النحوي (عدنان علي رضا) ، ***نظرية تقويم الحداثة*** ، السعودية : دار النحوي للنشر والتوزيع ، 1992 .

71 -هونكة (زيغريد)، ***شمس العرب تسطع عن الغرب*** ، ترجمة : فاروق بيضون ، كمال الدسوقي ،بيروت : منشورات مكتب التجاري ، 1964 .

72 -النحوي (محمد)، الطائري (ياسر)، ***مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة : حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر*** ، بيروت : دار الطليعة ، 1996

73 - ياسين (السيد)، ***أسئلة القرن الحادي والعشرين : الكونية والأصولية وما بعد الحداثة*** ، ج2 ، القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، 1996

74 - يوسف (أحمد عبد الله) ، ***عن الخبرات حوار الحضارات ، قراءة في النماذج على الصعيد العالمي و الإقليمي و المغربي*** ، القاهرة :كلية الحقوق و العلوم السياسية 2006 .

IV. **المقالات** :

1 -جسيم (وفاء)،" ***التعاون الأورو متوسطي (عملية برشلونة)***"،الجزء 2، ، مجلة السياسة الدولية ، العدد137 ،1999

2 -بن شماش (عبد الحكيم)، " ***مستقبل حركات الإسلام السياسي في المغرب***"، المستقبل العربي : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 325 ، 3 مارس 2006

3 -السعيداني(المنجي) ،" ***المدرسة الصادقية في تونس تحتفل بمرور 135 سنة على تأسيسها***"، الشرق الأوسط، عدد 11505 ،29ماي 2010

4 -سالمان (محمد)، ***السياسة المتوسطية للاتحاد الأوروبي*** ،الجزء 2 ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 137

5 -شمام (عبد الوهاب) ،***العلاقات الاقتصادية أوروبية– المغاربية*** ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد22 ، ديسمبر 2004

6 -الشيخ (سامي) ،" ***الإصلاح البروتستانتي من المفهوم إلى الشمولية*** " ، سلسلة الفكر السياسي.

7 -شوقي(أحمد) ، "***حوار الثقافات ضرورة مستقبلية أم رفاهية*** "، سلسلة كراسات مستقبلية ، القاهرة : المكتبة الأكاديمية ،2001 .

8 -شعيب (مختار) ،" ***مؤتمر شتوتجارت رؤية تقييميه لمسيرة برشلونة*** " ، **مجلة السياسة الدولية ، العدد 73**، جويلية 1999.

9 -الشلماني(سعد)، " ***التغير الاقتصادي والسياسي في تونس: من بورقيبة إلى بن علي***"، المستقبل العربي، العدد 255، 23 ماي 2000.

10 -عبد السلام (رفيق) ، ***السياسة و الدين في الغرب الحديث"*** ، بحث مقدم للدورة 16 للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ، تركيا،، يوليو 2006

11 -زكريا (جاسم محمد)، " ***امن المتوسط بين المفهوم الأوروبي والقلق العربي من مشروعات الشرق الشرق الأوسط الكبير والشراكة المتوسطية*** " ، الملتقى الدولي حول : الجزائر والأمن في المتوسط واقع وآفاق ، الجزائر : جامعة منتوري قسنطينة ، 29-30 أفريل 2008

12 -لعجال أعجال (محمد الأمين) ، "***مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في الأبعاد الأمنية الجديدة المتوسط***"، الملتقى الدولي : الجزائر والأمن في المتوسط واقع وآفاق ، جامعة منتوري قسنطينة ، يومي29 و30 أفريل 2008

13 **–النجار (مهدي) ،**" *الإطار المفهومي للعلمنة*"**، مجلة المدى الثقافي ، بغداد: تشرين الثاني 2004 .**

14 **–قاشا (بيوس) ،**" ***رواد وكنائس : مارتن هانس لوثر رائد الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية***" **، مجلة الزنبقة ، عدد50 ،2006**

15 – صحراوي (عز الدين)، ***"اللغة العربية في الجزائر : التاريخ والهوية "***، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة بسكرة ، العدد5 ،جوان 2006 .

16 **–*حوار مع زعيم حركة النهضة راشد الغنوشي***" ، صحيفة الأمان ، بيروت ، العدد 229 بتاريخ 01 تشرين الثاني –1991.

V. التقارير

1 -التقرير العربي الاقتصادي الموحد لسنة 2009.

2 – صندوق النقد العربي ، النشرة الإحصائية لسنة 2010.

VI. المعاجم والقواميس

1 إسماعيل عبد الفتاح، ***معجم المصطلحات السياسية والإستراتيجية***، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع،2008

2 – مارتن غريفيش، تيري أوكالاهان، ***المفاهيم السياسية في العلاقات الدولية*** ، دبي : مركز الخليج للأبحاث ،2008

3-Oxford Advanced learners' dictionary, (Oxforduniversity press,2000,6th ed

4- Le petit harasse, libraire Larousse, canada, 1990 - 1

VII. مواقع الانترنيت :

1 – الجليند(محمد السيد) ، ***العلمانية المصطلح وظروف النشأة*** ، موقع المختار الإسلامي نقلا عن :بتاريخ http://www.islamselect.com/mat/864232011/06/15:

2 جنداري (إدريس) ،" ***الفرانكفونية إيديولوجية إستعمارية فيما بعد الكولونيالية : الفراكوفونية في المغرب العربي"***، الحوار المتمدن ، عدد 3050 ، 01 جويلية 2010 نقلا عن : بتاريخ 16/ 07 2011/ http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=221090

3 خروبات محمد ، ***الفرونكوفونية المفروضة والصبغة المرفوضة*** ، مجلة البيان ، العدد 238 نقلا عن : بتاريخ :2011/06/16 .http://islamport.com/w/amm/Web/135/4313.htm

4 زعتور ٪منير) ، *المجتمع المدني التونسي من نهاية* الحرب العالمية الثانية *إلى نهاية الحكم البورقيبي* ، مجلة الطريق الجديد ،تاريخ 28 أفريل 2010 نقلا عن : http://www.attariq.org/spip.php?article919

5 – عرفاوي (جمال) ، ***ندوة حول الانتقال الديموقراطي في تونس*** ، بتاريخ 2011/05/23 نقلا عن : http://magharebia.com/cocoon/awi/xhtml1/ar/features/awi/features/2011/03/08/feature-03

6 لكريني(إدريس) ، '***اليسار ، الديمقراطية والعلمانية في المغرب العربي*** " ، الحوار المتمدن ، عدد 2160 ، 14 جانفي 2008 بتاريخ 2011/06/16 نقلا عن : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=121611

7 مصباح(محمد) ،" ***السلفيون في دول المغرب العربي : التطور الفكري والسياسي*** "، جريدة التجديد ، الخميس 12 ماي 2011 نقلا عن : http://www.alkhabar.maa36990.html بتاريخ 2011/06/05 .

8 ***الإسلام في بلاد المغرب ودور تلمسان في نشره*** ، ملتقي دولي ، تلمسان : وزارة الثقافة ، أيام 21 ،22 و23 مارس 2011.
www.tlemcen2011.org/userfiles/file/argumantaire_col3.pdf

9 الثورة التونسية 2011 ، مركز الأخبار نقلا عن :
www.aldjazira.net– بتاريخ 2011/01/14

10 - http://www.aljazeera.net/mritems/images/2001/1/26/image_map341_4.jpg

ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية

Livers /Books

1- Bainton, R.H***, The Age of the Reformation***, Van Noster and Company Inc. Princeton, New Jersey, Toronto, New York, London, 1965 .

2- , chentouf Tayeb, ***« La décolonisation , un Essai D'interprétation***, Dans ***Le Maghreb Au Présent*** , Alger : office des Publication Universitaires , 2003 .

3- J, Mackinnon , ***Luther and The Reformation***, Vol. III, Longmans, Green Co. London, New York, Toronto, 1929.

4- 5- Haarscher Guy , ***Valeur Laïques et Droitsde l homme*** , edite par Michèle Mat et Van Haecht , ***Valeurs laïques Valeur religieuses*** , Belgique : Univercity de bruxelle,1985 .

5- Liauza Claude, "Bourguiba héritier de Tahar Haddad et des militants des années 1920" , Michel Camau et Vincent Geisser , ***Habib Bourguiba la trace et héritage***

6- Marcou Gerard , ***«L'administration Territorialeen Tunisie Les Enjeux de la Décentralisation «*** ,Hafedh Ben Salah et Gérard Marcou , ***Décentralisation Et Démocratie En Tunisie ,*** France (centre de recherche administrative,politique et sociales université de lille2)

7- Mohhieddine Hadhri , ***« La Tunisie Méditerranéenne. Un pont Entre Les Deux Rives***, *Dans* ***La méditerranée et le Monde arabo-Méditerranéen aux port du XXI siècle*** ,Tunisie ; centre du publication , Universitaire ,2003 .

8- Olivier Roy ,***Secularism Confronts Islam*** , Translated by George Holoch , New York, Columbia university Press,2007 .

Les articles :

1- Jean Baubérot, **Analyses et réflescions la laïcité** ; France ; Janvier 2001
2- Josiane Boulad – Ayoub,***les grandes figures du monde moderne ,***collection les sciences *so*ciales contemporaines,2003
3- Fregosi Frank,La régulation institutionnelle l'islam en Tunisie :entre audace moderne tutelle étatique ,Policy paper ,n 11,07/03/2005
4- Saba Mahmoud, ***Secularism, Hermeutics, and Empire: the Politics of Islamic Reformation,*** Public Cultur, duke Univercity Press,2006

Internet :

- Laurence Weerts,quatre modèle théorique pour penser la société civile dans l ordre juridique[1]
International http :www.ubd.ac.be/droit/cdi /fichiers/ modèle théorique

الفهرس

مقدمة .....

الفصل الأول: التأصيل المفاهيمي و النظري للدراسة 8

المبحث الأول : العلمانية مفهومها. نشأتها.أنواعها.....10

المطلب الأول: مفهوم العلمانية.....10

الفرع الأول: التحديد اللغوي.....10

الفرع الثاني : تعريف العلمانية في الفكر العربي المعاصر.....11

الفرع الثالث : مفاهيم مشابهة(اللائكية والمادية).....13

المطلب الثاني: اثر التطورات التاريخية على ظهور العلمانية.....15

الفرع الأول: تأثير ممارسات المؤسسة الكنسية 16

الفرع الثاني: اثر حركة الإصلاح الديني اللوثري على ظهور العلمانية.....22

المطلب الثالث : أسباب ظهور العلمانية.....24

الفرع الأول: طغيان رجال الكنيسة. 24

الفرع الثاني: الصراع بين الكنيسة والعلم.....26

الفرع الثالث: دور معاهدة واستفاليا في ظهور العلمانية.....28

الفرع الرابع : دور الثورة الفرنسية (1789 -1799).....29

المطلب الرابع: أنواع العلمانية.....31

الفرع الأول: العلمانية الجزئية.....32

الفرع الثاني : العلمانية الشاملة 32

المبحث الثاني : المقاربات النظرية للعلمانية.....34

المطلب الأول : المدارس المعاصرة للعلمانية 34

الفرع الأول: المدرسة البراجماتية. 35

الفرع الثاني: المدرسة الوضعية (العقلية المنطقية).....36

الفرع الثالث: المدرسة العضوية (نظرية التطور).....37

المطلب الثاني : النظرية الماركسية.....40

الفرع الأول: مصادر الاشتراكية 41

الفرع الثاني: الاشتراكية العلمية لدى كارل ماركس Karl Marx.....41
المطلب الثالث : نظرية الحداثة و ما بعد الحداثة.....44
الفرع الأول: تعريف الحداثة 44
الفرع الثاني: مابعد الحداثة .....46.
الفرع الثالث: العلمانية والحداثة لدى ماكس فيبر Max Feber 47
خلاصة الفصل الأول 50

الفصل الثاني: التأثيرات السياسية والمرجعيات الفكرية للعلمانية في منطقة المغرب العربي 51
المبحث الأول : المكانة الجيوسياسية لمنطقة المغرب العربي.....54
المطلب الأول: الحقبات التاريخية للأقطار المغاربية.....54
الفرع الأول: الموقع الاستراتيجي لمنطقة المغرب العربي 54
الفرع الثاني : المغرب العربي ما قبل الإسلام.....60
الفرع الثالث : الفتح الإسلامي للمغرب الكبير 61
المطلب الثاني : الموارد الطبيعية لدول الغرب العربي 62
الفرع الأول : الإنتاج الزراعي 62
الفرع الثاني: الإمكانيات الصناعية للمغرب العربي 63
المطلب الثالث:الخصوصيات الثقافية للمنطقة المغاربية 66
الفرع الأول :اللغة العربية.....66
الفرع الثاني: الدين الإسلامي.....68
المبحث الثاني :االتأثيرات الداخلية والخارجية للتوجه العلماني في المنطقة المغاربية.....70
المطلب الأول: التأثيرات الداخلية للعلمانية في المنطقة المغاربية.....70
الفرع الأول : الفترة الاستعمارية.....70
الفرع الثاني : النخبة الفرانكفونية و طبيعة القيادة السياسية 71
المطلب الثاني: المحددات الخارجية للعلمانية 77

الفرع الأول: العلاقات الأورومغاربية 77
الفرع الثاني: السياسات الأمريكية في المنطقة المغاربية..... ..87
المبحث الثالث : التيارات السياسية الرئيسية في منطقة المغرب العربي.....90
المطلب الأول : تيار التنوير العلماني **90**
المطلب الثاني : تيار الإصلاح الديني_ ..... .93
خلاصة الفصل الثاني..... 97
الفصل الثالث: العلمانية في تونس 98
لمحة عامة عن إفريقيا.....**99**
المبحث الأول : مظاهر النهج العلماني في البنية العامة للنظام السياسي
التونسي.....103
المطلب الأول: مظاهرالعلمانية من الناحية القانونية..... 103
الفرع الأول: دستور الجمهورية التونسية..... 103
الفرع الثاني : مجلة الأحوال الشخصية..... 105
المطلب الثاني: مظاهر العلمانية من الناحية السياسية..... 106
الفرع الأول: عهد الرئيس بورقيبة 106
الفرع الثاني: عهد الرئيس زين العابدين بن علي..... 110
المطلب الثالث : مظاهر العلمانية من الناحية الثقافية 115
الفرع الأول: المجتمع المدني 115
الفرع الثاني: المشاركة السياسية والاجتماعية للمرأة في تونس.....116.
المبحث الثاني : الحركات السياسية في تونس.....118
المطلب الأول : حركة الإصلاح..... 118
الفرع الأول : التيارات الرئيسة للحزب الإسلامي في المغرب العربي 118
الفرع الثاني : أزمة مشاركة النخبة الدينية في السلطة التونسية.....119
المطلب الثاني : حركة العلمنة.....**128**
الفرع الأول :التيار العلماني البورقيبي المعارض.....128

الفرع الثاني: التيار العلماني الوطني **128**
الفرع الثالث: بعض التيارات الاخرى.....129
المبحث الثالث : الخيار العلماني في تونس آثاره وسيناريوهاته..... 132
المطلب الأول: أثر الخيار العلماني على النظام السياسي التونسي.....132
الفرع الأول : الآثار السياسة 133
الفرع الثاني: الآثار الاجتماعية.....135
المطلب الثاني: السيناريوهات المستقبلية للعلمنة في تونس.....139
الفرع الأول: تبني التوجه العلماني 142
الفرع الثاني : تبني الخيار الإسلامي.....143
الفرع الثالث : تبني الخيار الديمقراطي 144
الخاتمة..... 146